العــــدد ٣٦٩ السـنة الثانية والثلاثون أغسطس ١٩٨٩

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

العربي
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٤٧١٤١
برقيًا "العربي" الكويت
تلفون فاكسمي ٢٤٤٤٣٧٥ - تلكس MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No. 369 August 1989 - P.O. Box : 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

ترسل الطلبات الى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د ك أو ٣٠ دولارًا

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشا	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكا
السودان ٢٥ قرشا	لبنان ٥٠ ليرة	أميركا ٣ دولارات

العدد ٣٦٩ اغسطس (آب) ١٩٨٩ م

العربي



■ مصايف العراق
الطبيعة والتاريخ !



جزائر
١٫٢٠



أبناني - للفنان الألماني جوته

العدد ٣٦٩ أغسطس (آب) ١٩٨٩ م

محتويات العدد

قضايا عامة :

■ حديث الشهر : أوراق صيف
ـ د . محمد الرميحي ٨
■ من دفتر الذكريات : أنا والوزير
ـ د . عبدالسلام العجيلي ٢٠
■ أرقام : صناعة الحرب
ـ محمود المراغي ٤٠
■ النمو الاقتصادي : لماذا يتعثر في الوطن العربي ؟
ـ د . نعيم الشربيني ٣٠

عروبة وإسلام :

■ حوار حول التاريخ القطري
ـ د . شاكر مصطفى ٢٣

طب وعلوم :

■ العادات العربية الأصيلة : هل لها علاقة بأمراض المفاصل ؟
ـ د . زياد محمد الزعبي ٤٢
■ حكايات طبية
ـ د . غسان حتاحت ٤٦
■ أخلاق العلماء : من نيوتن الى هوكنج .
ـ د . عبدالعظيم أنيس ٥٧
■ هل تختفي الغابة الاستوائية
ـ رجب سعد السيد ٩١
■ التعرف على حالات القلق
ـ د. عبدالستار ابراهيم ١١٦
■ الجديد في العلم والطب
ـ إعداد : يوسف زعبلاوي ١٢٧
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٣٠
■ الاندماج النووي البارد وقائع اكتشاف القرن
ـ د . سعود عياش ١٥٤

استطلاعات مصورة :

■ اليونان : وجه آخر بلا أقنعة ! .
ـ محمود عبدالوهاب ٦٨
■ مصايف العراق : الطبيعة والتاريخ ! .
ـ سليمان الشيخ ١٣٢

أدب وفنون :

■ تقاسيم (قصيدة)
ـ جمال عبدالجبار علوش ٢٩



● اليونان وجه آخر بلا أقنعة ٦٨



● مصايف العراق الطبعة والتاريخ ١٣٢

■ شمائل المغني وآداب الغناء في التراث العربي
- د. محمد الأسعد قريعة ٣٦

■ الخيال العلمي في الادب الشعبي
- فاروق خورشيد ٥٢

■ أفكار لا تموت : معارضة الثقافة.
- سلامة موسى ٦٠

■ حوار كوب من الماء (قصة قصيرة).
- عبده جبير ٨٨

■ قراءة نقدية في كتاب : « عشيق الليدي تشاترلي »
- د. أمين العيوطي ١٠٤

■ في حضرة مولانا النهر (قصيدة)
- محمود عبدالصمد زكريا . . . ١١٠

■ الشتاء والحب (قصة مترجمة)
- ملك حاج عبيد ١١٢

■ جمال العربية :
- صفحة لغة : مترادفات أسلوبية
- د . حسن عباس ١٧٦
- صفحة شعر : بعض محاسن «اليتيمة» ١٧٨

■ نظرات نقدية في صناعة المعجم العربي.
- د. حامد صادق قنيبي ١٨١

منتدى العربي :

■ قضية : بين الفكر والثقافة
- د. مصطفى النشار ١٢١





وجها لوجه : د. عبدالرحمن حيدة ونديم شمسين ص٩٧

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء.

■ تعقيب : طه حسين في ميزان النقد العلمي
ـ د. محمد الدسوقي ١٢٤

تاريخ وتراث وأشخاص :

■ مواقف إنسانية : ليلة لا تنسى !
ـ د. عبدالوهاب حومد ٤٨
■ فارس بلنسية : مدافع، أبو الحملات، قائد الأعنة
ـ د . شاكر الفحام ٦٢
■ وجها لوجه : د. عبدالرحمن حميدة و نديم شمسين ٩٧

مكتبة العربي :

■ كتاب الشهر : نقاش حول القوة العاملة النسائية في الوطن العربي
ـ عرض : د. ابراهيم أبو ربيع .. ١٨٥
■ من المكتبة العربية : ما مشكلة طفلي ؟
ـ عرض : د. عادل عبدالكريم ياسين ١٩٠
■ مكتبة العربي : (مختارات) ١٩٤

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القارىء ٧
■ واحة العربي ٦٦
■ الكلمات المتقاطعة ١٨٤
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦
■ حل مسابقة العدد (٣٦٦) ١٩٨
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٠
■ حوار القراء ٢٠٢



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ موسيقا الرحم والحياة اللغوية للطفل
ـ د. سامي محمود علي ١٦٢
■ أجيال لا تعرف صحبة الأبوين
ـ نادية يوسف .. ١٦٦
■ هو ... هي .. ١٧٠
■ طبيب الأسرة : الطبيب مريضا
ـ د. حسن فريد أبوغزالة ... ١٧٠
■ مساحة ود : اختيار
ـ صلاح حزين .. ١٧٥

عزيزي القارئ

السياحة على الورق

ونحن نعد موضوعات هذا العدد ، ونضعها بعضا مع بعض ، ونوازنها في ميزان الاختيار والتنقيح ، حرصنا أن يكون عدداً مقروءاً في معظمه لمعظم القراء ، فقراءة الصيف تحتاج إلى ميزان دقيق ، إذ هي تختلف عن قراءة الفصول الأخرى من العام . القارىء في تصورنا يريد أن يقرأ موضوعات تشبعه ولا ترهقه . . وهكذا كان .

فالاستطلاعان اللذان ننشرهما في هذا العدد فيهما عامل مشترك واحد ، هو إجازة الصيف ، وإذا كان الاستطلاع الأول عن اليونان ، وهي بلاد قريبة منا ، يؤمها السياح العرب ، ويعرفها كثيرون منذ فترة ليست بالقصيرة ، فإننا نقدمها هنا أكثر إشراقاً . أما الاستطلاع الثاني فهو يعرض كنوز العراق السياحية ، فالأقطار العربية غنية بالأماكن السياحية الجميلة التي تضاهي مثيلاتها في الخارج ، وقد آن الأوان أن نعرف تلك الأماكن ، ونحث أنفسنا على تطويرها ، كي تكون مقصداً للسائحين .

والسياحة لها علاقة بالنمو الاقتصادي ، لذلك فإن مقال د . نعيم الشربيني عن قضية تطوير الاقتصاد الوطني ، وتلبية احتياجات السكان المتنامية ، ليس اقتصادا فقط ، ولكنه يعرض نظرة مستقبلية للاقتصاد العربي ، متحررة من القيود النظرية . وهو إضافة للقارىء المتأني .

وإذا كانت الإضافة في الاقتصاد هنا عربية ، فإن بعض عاداتنا تقينا شر بعض الأمراض ، كما يشرح الدكتور زياد الزعبي في مقاله « تآكل المفاصل والعادات العربية الأصيلة » ، حيث يتناول أسباب الالتهاب العظمي الغضروفي ، وعلاقة ذلك بالجلوس على الأرض ، وممارسة الرياضة . ويشاركنا في العدد أيضا د . عبد الوهاب حومد ، فيكتب عن ذكرى ليلة لا تنسى ، مضى عليها أكثر من خمسين عاماً ، حين كان طالبا في باريس كما يشاركنا د . شاكر مصطفى ، فيحاورنا حول التاريخ القطري في وطننا العربي ، ويكشف لنا عن مسئوليتنا فيما يجري اليوم على الساحة العربية من تمزقات أو تجمعات .

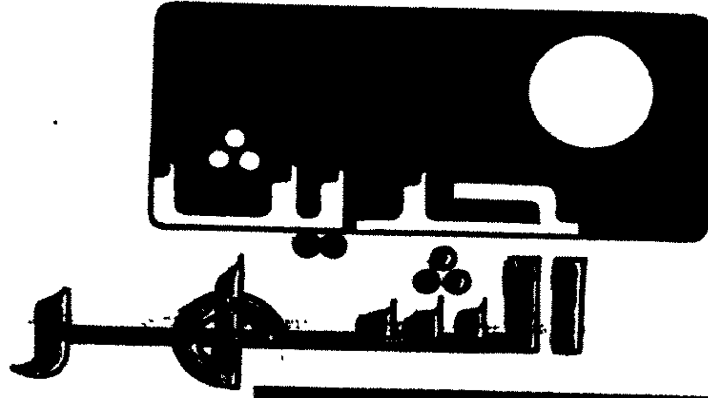
وعن التراث الشعبي وعنصر الخيال العلمي فيه يكتب لنا فاروق خورشيد ، مبيناً كيف حاول الإنسان بقوة التخيل الوصول إلى مايعوزه حتى حققه في دنيانا المعاصرة .

وعلى الرغم من أن الصيف يبعد القلق فإننا اخترنا أن ننشر مقالاً عن التعرف على حالات القلق ، تحسباً لما يجيء في الخريف والشتاء . أما الموضوع الذي أحدث ضجة في الأشهر القليلة الأخيرة ، في مجال العلم الحديث ، فهو الاندماج النووي البارد الذي لو نجحت تجاربه بشكل نهائي فسوف يحدث ثورة في الطاقة ، ولقد طلبنا من كاتب متخصص ، هو الدكتور سعود عياش ، أن يكتب لنا فيه ، فكان المقال الذي ننشره في هذا العدد . أما في عرض الكتب فقد اخترنا موضوعين : أحدهما عن القوى العاملة النسائية ، من خلال وجهة نظر جديدة حول أوضاع المرأة العاملة في الوطن العربي ، وثانيهما عن مشكلة (طفلي) ومحاولة للإجابة عن السؤال الذي يتردد كثيراً ، عن الفرق بين التخلف والعجز عن التعلم . كل هذا إضافة إلى ما تحفل به « العربي » عادة من موضوعات ، وأبواب مثل : « وجها لوجه » و « البيت العربي » و « القصة القصيرة » ، والموضوعات العلمية والثقافية العامة .

ترى هل حققنا هدف القراءة للصيف ؟

نرجو ذلك ، ونرجو لك ـ عزيزي القارىء ـ إجازة صيف ممتعة .

المحرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

أوراق صيف



الصيف هو ذروة حركة الشمس ، تتصاعد الشمس في حركتها حتى تصبح أقرب مايمكن منا ، فيصيبنا وهجها وقيظها ولفحها ، والصيف كذروة حركة هو كالحرب ذروة الدراما الانسانية ، وكالحب ذروة مشاعر الانسان ، وكما أن للحب قوانين خاصة به غير قانون الحياة اليومي ، وللحرب قوانين غير قوانين الأيام العادية ، فإن للصيف قوانينه وعاداته وإيقاعه ، وهي قوانين وعادات تولد من تأثرنا بذرى ايقاعه ، وبعذاباته وهجيره .

وفي الصيف يحلو لي أن أتنقل من كتاب إلى كتاب ، ومن موضوع إلى آخر ، تغييراً في عادة القراءة المنهجية المتصلة في بقية الفصول ، ومع الانتقال تتقافز الأفكار وتتنوع وتتعدد ، فأسجلها في مفكرة صغيرة تلازمني دوماً . وفي صيفنا هذا أعدت قراءة ماخطته يدي في هذه المفكرة ، فوجدت أنها مشروعات لم تتم ، ورؤوس أقلام لم تستوف ،

والتقاطات حادة حدة اللهيب ، بعضها يحتاج إلى إعادة نظر ، وبعضها الآخر قديم جديد . وهكذا تنوعت الأوراق ، كل ورقة هي لحظة إنسانية خالصة ، ارتبطت باللحظة التي كُتبت فيها ، بتوهج الروح ، ويقظة العقل ساعتها . ولأننا حين نكتب نعترف على أنفسنا ، فقد قررت أن أشرك القراء في هذه الاعترافات ، أنشرها ، وماكنت أظن لحظة كتابتها أنها للنشر ، ولكن الصيف يجعلنا نفعل كثيراً مما لم نكن نظن أنفسنا بقادرين على فعله .

ورقة أولى .

حكمت المحكمة

مطلوب من البقرة "حميدة" دفع تعويض عما تسببه من أضرار !

القضية بسيطة ـ أو هكذا تبدو أول وهلة ـ فقد نشرت إحدى الصحف الغربية أن إحدى المحاكم الامريكية قد حكمت بمبلغ من المال لابأس به على إحدى شركات التبغ الامريكية لأحد المدخنين تعويضاً له عن الضرر الذي أصابه من جراء التدخين . وكان الخبر جديداً ، فلأول مرة يصدر مثل هذا الحكم ، بعد أن تجاهلت المحاكم فترة طويلة مثل هذه القضايا ، أو حكمت بعدم المسئولية على شركات تبغ رفع بعض المتضررين عليها دعاوى مشابهة ، وإن سارت الأمور في هذا الاتجاه فلن نستغرب أن يرفع بعضهم قضية على (حميدة) البقرة ، يطالبونها فيها بدفع تعويض عن الأضرار التي سببتها زبدتها عندما يموت أحدهم بمضاعفات زيادة الكلوسترول !!

السؤال الذي أثار مخيلتي هو أن القانون يحكم دائما ـ أو كان يحكم على الأقل ـ بالتعويض عندما ينشأ ضرر ما ، ناتج عن سوء قصد غير معلن ، كأن يسقط أحدهم من على درجات السلم ، لخلل في صناعة ذلك السلم ، وعندما يصاب بالكسور والرضوض فإن القانون يفترض حمايته ، وبالتالي تعويضه ، ولكن أن يعوض شخص ما ، عن ضرر أصابه ، بفعل اقترفه بإرادته ، وهو يعرف مسبقاً أن ذلك الضرر واقع عليه إن فعل ، فهنا الجديد في الأمر . حيث ان التحذير من تدخين السجائر أصبح معروفاً للعامة والخاصة ، فمعظم الأطباء ، وكل الحكومات ، وجميع الآباء والأمهات ، وكل المدارس ، ومعظم شبكات التلفاز ـ إن أردنا أن نذكر بعضها فقط ـ تحذر ليل نهار من أخطار التدخين ، المباشرة وغير المباشرة .

هل تحكم المحكمة بالتعويض لشخص يقذف بنفسه من النافذة ؟

فأضرار التدخين معروفة ، فهل تعوض المحكمة شخصاً يقذف نفسه من نافذة في الدور الرابع ، وهو يصيح : هذا أسرع في النزول من المصعد ! بالطبع لن تنظر أي محكمة في الدنيا بتعويض هذا الشخص ، فليس هناك تعاطف مع أفكاره في سرعة النزول !

وقد يسأل بعض : ما العلاقة بين المدخن وقاذف نفسه من الدور الرابع ؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال أريد أن أسأل بدوري : هل نحن مسئولون عن حياتنا وتصرفاتنا أم لا ؟

إذا كان الجواب بنعم ـ وهو جواب معظم العقلاء ـ فإن المدخن وقاذف نفسه من الدور الرابع متساويان ، فهما يعرفان خطر فعلتيهما !

المشكلة أن هناك اعتقاداً يتزايد بأننا غير مسؤولين عن تصرفاتنا ، أو ـ على الأقل ـ هذا ماأوّلته تلك المحكمة التي حكمت للمدخن على شركة التبغ . هذا الاعتقاد المتزايد بأننا غير مسئولين عن تصرفاتنا تعززه مظاهر الحياة الحديثة أو العصر الذي نعيشه ، ففي هذا العصر يخضع الإنسان لأشكال شتى من الضغوط ، ضغوط النشأة ، وضغوط البيئة المحيطة ، وضغوط النظام الاقتصادي ، وضغوط النظام القيمي ، والنظام السياسي ، إلى درجة أن بعض المفكرين أعادوا النظر في المقولة التي سلمنا بها جميعاً من قبل : إن الإنسان مسئول عن حياته ، وبالتالي عن تصرفاته جميعها .

إذا أخذنا مثلاً واحداً فقط ، ولنقل الضغوط الاقتصادية ، فقد شهدت بريطانيا ضجة كبرى في سنة ١٩٨٦ ، حول ديون الأفراد ، فقد بلغت في ذلك العام اثنين وعشرين بليون جنيه ، وهي ديون أكثرها غير قابل للسداد ! كيف حدث ذلك ؟ حدث ببساطة نتيجة التسهيلات التي تقدمها المصارف وشركات البيع ومؤسساته ومحلاته ، عن طريق استخدام بطاقة التسهيلات الائتمانية البلاستيكية . فقد وجد كثيرون أنفسهم يصرفون ، أو قل يتبضعون ، أكثر من قدراتهم المالية ، وتراكمت عليهم ديون مع فوائدها التي تزداد يوماً بعد يوم . المشكلة كانت معقدة وخطيرة وضارة بالاقتصاد القومي البريطاني ، إلى درجة أن بعض المختصين طالبوا المؤسسات المالية بأن تقدم تبرعات لإنشاء مراكز خدمة عامة ، تسمى (مراكز النصائح المالية) ، يلجأ إليها الناس لتبصيرهم بالمشكلات التى يمكن أن يقعوا فيها إن هم تصرفوا مالياً بغير حذر كبير . القضية أن مشكلة بهذا الحجم لايحلها القانون ، فلو قرر كل دائنٍ ـ من المؤسسات ـ

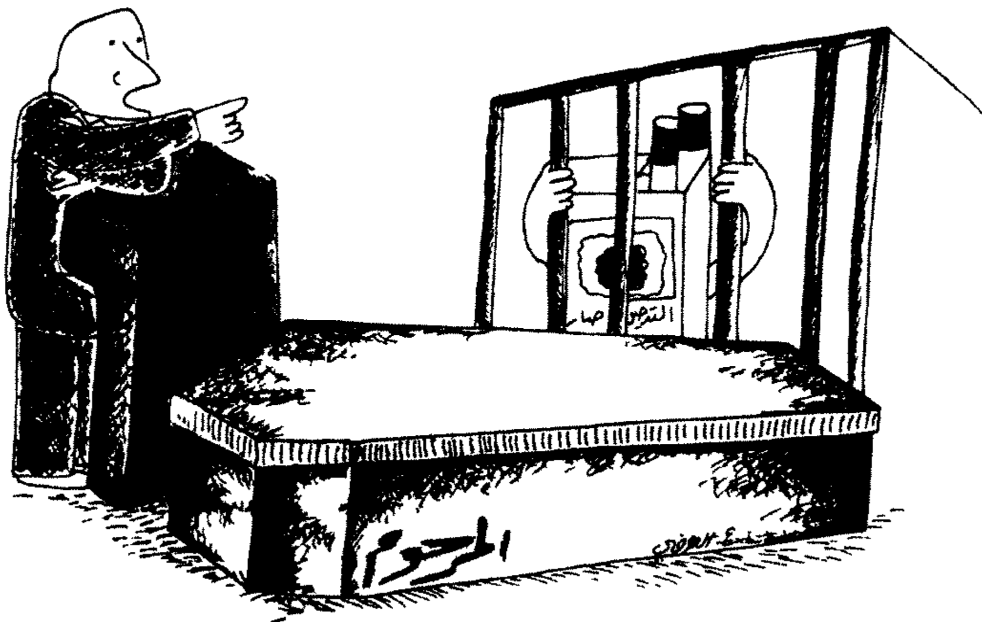
له دين على أفراد قلوا أو كثروا أن يرفع دعوى ضدهم لدخل نصف الشعب البريطاني السجن .

وبالمناسبة فإن الشعب البريطاني ليس هو الشعب الوحيد الواقع في هذه المشكلة ، فهنا في عالمنا الثالث قد وصلت الجرثومة نفسها ، جرثومة الشراء (بالأقساط) ، وهي تنتشر بشكل وبائي ، وهي لاتقف عند «تزوج اليوم وادفع غداً» أو «ادخل ابنك المدرسة اليوم وادفع غداً» أو «ابن بيتك وادفع غداً» ، أي أنها ليست مقصورة على تمويل الحاجات الأساسية للإنسان إنما هي ممتدة إلى الكماليات : اشتر سيارة اليوم وادفع غداً ، بل وسافر اليوم وادفع غداً . إذن هذه الضغوط التي تتراكم في البيئة الاقتصادية تدفع الناس دفعاً إلى الاقتراض ، دون وعي حقيقي بما يمكن أن يسببه هذا الاقتراض من مشكلات لاحقة .

جرثومة "العيش بالأقساط" تنتقل من الدول إلى الأفراد.. والعكس

الأهم من ذلك أن هذا الاقتراض ـ أو العيش بالأقساط ـ تحول من الفرد إلى الدولة ، وما مشكلة الديون الخارجية التي تنوء تحت كاهلها اليوم مئات الدول النامية ـ ومن بينها معظم أقطارنا العربية ـ إلا نتيجة هذه التسهيلات الائتمانية الدولية .

بيت القصيد أنه إذا كانت المسئولية الشخصية منتفية في حالة أضرار التدخين على المدخن على الرغم من علمه بها ، فترى أي مسئولية على الدول الفقيرة إن هي اقترضت لتقيم أود مواطنيها الجوعى ؟!

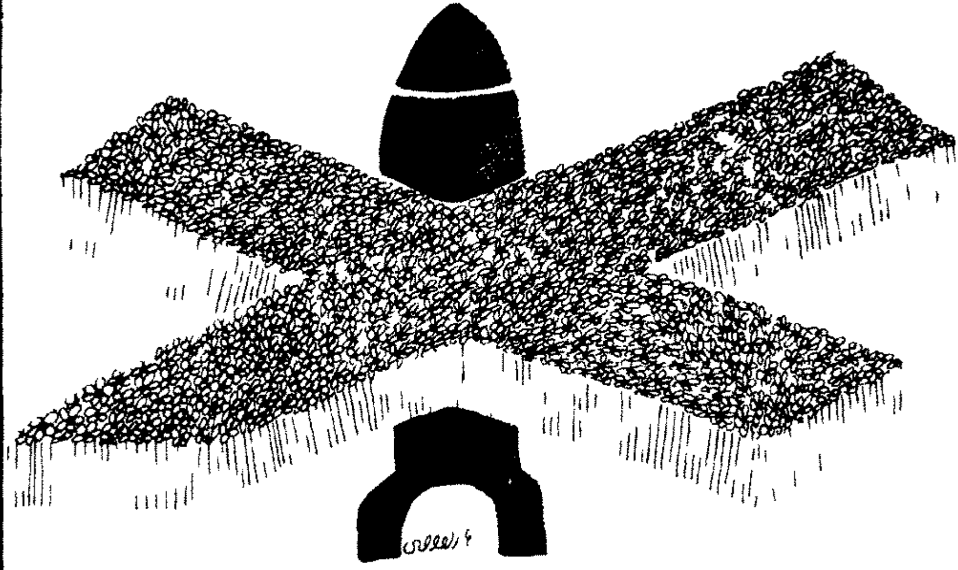


ورقـــة ثـانيـة :

أمنـــــا الأرض

شهدت بواكير هذا الصيف حدثاً مهماً على الصعيد السياسي الأوربي ، وهو قدوم (الخضر) ، والخضر هو الاختصار الذي أصبح معروفاً بأنه يرمز إلى أولئك الرجال والنساء في أوربا الذين لم يعودوا مقتنعين بسياسات دولهم وأحزابهم تجاه البيئة ومشكلاتها المتفاقمة التي تهدد الحياة الإنسانية برمتها بالخطر ، فقاموا ينادون بالإصلاحات البيئية ، وكان طريقهم السياسة ، فأسسوا الأحزاب ، وخاضوا الانتخابات ، وما أن ظهر عقد الثمانينات حتى أوجدوا لهم موطيء قدم في العمل السياسي الأوربي . كان دخولهم الأول على صعيد السياسة العليا في ألمانيا الغربية ، عندما سار في ٢٣ مارس ١٩٨٣ ، سبعة وعشرون شخصاً في شوارع بون ـ عاصمة ألمانيا الاتحادية ـ باتجاه البرلمان ، وكان السبعة والعشرون هم الأعضاء الجدد الممثلون لحزب الخضر في البرلمان الألماني . فكانوا أول حزب جديد في ألمانيا الغربية ـ منذ ثلاثين سنة وقتها ـ يدخل البرلمان . منذ ذلك الحين تصاعدت نشاطات حزب الخضر في معظم دول أوربا الغربية ، فأصبحوا أعضاء في المجالس المحلية ، وفي المجالس البلدية ، بل وفي البرلمانات الوطنية . وفي منتصف حزيران «يونيو» الماضي أصبح بعض (الخضر) أعضاء في البرلمان الأوربي . وقد أثارت نتائج تلك الانتخابات الأخيرة ـ انتخابات البرلمان الأوربي ـ حفيظة الأحزاب التقليدية في بلدان مثل فرنسا وايطاليا وبريطانيا ، فأخذوا يعيدون حساباتهم من جديد ، والخضر في تقدير الكثيرين هم ظاهرة المستقبل ، ليس في أوربا وحدها ـ وهذا هو الأهم ـ بل في العالم ، فقد كانت مشكلات عالمنا الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية ، في المائتي سنة الماضية ، على الأقل ، مشكلات محلية ، أو على أكثر تقدير مشكلات إقليمية ، بما في ذلك الحروب والكوارث ، أما المشكلات البيئية فهي مشكلات عالمية حقا وحقيقة ، فقد أثبتت حوادث مثل «شارنوبل» في الاتحاد السوفيتي ، و «جرين أيلند» في الولايات المتحدة ، أن ما يحدث من كوارث بيئية على بعد ألوف الأميال هناك يتأثر بها البحر والأرض والزرع والإنسان في أقصى المعمورة ، فلابد إذن من الدفاع عن البيئة بشكل واسع وعلى نطاق عالمي .

إنـــها جـريـمة نرتكبها في حـــق أمنـــا الأرض*!



لكن مشكلات البيئة مثلها مثل مشكلة الديون حتى الآن ، لم نحسن معرفة نتائجها علينا . وفي الوطن العربي نشرت عشرات المقالات ، كتبها نخبة من المتخصصين عن تلوث الهواء والماء والبيئة بشكل عام ، وخطورة هذا التلوث على حياتنا ، وكذلك نحن في «العربي» هنا نشرنا مقالات متخصصة حول الموضوع نفسه ، ولم نكن الوحيدين في هذا النشر ، فقد ساهمت معظم وسائل الإعلام العربية في بيان خطورة تدهور الوضع البيئي ، إلا أننا حتى الآن ـ جميعاً ـ لم ننهض بشكل جاد وحقيقي عن طريق مؤسسات أهلية فاعلة ، للتحذيرمن مخاطر تدمير البيئة ، واتخاذ الخطوات اللازمة لوقف تدهور بيئتنا ، أي تحويل (الكلام) إلى (فعل) ، و (اللغة) إلى (سلوك) !

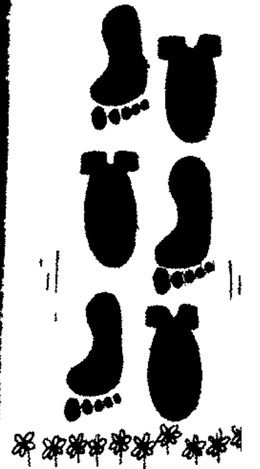
مجلة التايم الأسبوعية المعروفة ، أخذت منذ سنوات ، وفي أول كل عام ، تنشر على غلافها صورة لشخصية عامة ، (سواء كانت رجلا أو امرأة) ، اعترافاً بأهمية تلك الشخصية في التأثير على مجرى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع العالمي ، وفي هذا العام نشرت التايم صورة الكرة الأرضية على غلاف الأسبوع الأول من يناير الماضي ، مربوطة بمجموعة من الحبال ، تكاد تتهاوى من الإعياء ، وكتبت تحتها (كوكب العام) ، بدلاً من (رجل العام) ، ونشرت في معظم صفحاتها الداخلية مقالات تظهر خطورة تدهور البيئة على حياة الانسان ، تعبيراً عن المدى الخطر الذي وصل إليه تدهور البيئة .



لقد أصبح مفهوم تأثير البيت الزراعي الزجاجي (الدفيئة ـ الصوبة) مفهوماً متداولا في الغرب Green House effect ، ومعناه العام أن الأرض بمحيطها البيئي وغلافها الجوي أخذت تتأثر بهذا العبث غير المنضبط في البيئة الذي يكاد يفتك بالإطار الحيوي لحياة الإنسان ويدمره . لقد أخرجت حركة الخضر مفاهيم الحفاظ على البيئة من غبار المصانع ورائحة مشتقات النفط وغيوم مراكز التجارب النووية ، وسرعان ما اكتشفت هذه الحركة أن القضية ليست وطنية أو إقليمية على أبعد تقدير ، بل إنها عالمية ، فخرجت أمهات مدن الشمال الأوربي محتجة على تصدير شحنات حليب الأطفال الملوث لدول العالم الثالث ، وسرعان ما تنامت الحركة ، كي تصبح عالمية ، لقد أصبح معروفاً الآن وبشكل علمي أن جزراً في العالم مهددة بالغرق ، وأن هناك تشويشاً على المواصلات ، كل ذلك ناتج أساساً من العبث بالبيئة . لقد قرر (الخضر) أن يأخذوا الأمور بيدهم فأسسوا المصارف التي يوافقون طوعاً من خلالها على أن تحول بعض أرباحهم منها لحماية البيئة !

ولكن هل وصلت الرسالة إلينا ؟ ألا زلنا نتساءل بشيء من السذاجة : لماذا لم نر أمطاراً ، وإن جاءت فكسيل عارم ؟ ولماذا هذه الحرارة المرتفعة غير المألوفة ؟ ولماذا كل هذه الأشكال من الأمراض الجديدة التي تنتشر لدى الأطفال والنساء والرجال والتي لم نكن نعرفها من قبل ؟ إنها ببساطة نتيجة لزيادة تسخين الغلاف الجوي ، بما نفعله في أمنا الأرض .

وفي لاهاي في ابريل الماضي عقدت اتفاقية دولية لتأسيس هيئة ضمن الأمم المتحدة لصون الغلاف الجوي ، وقع عليها أقل من ربع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة فقط ، ولكن مازالت الدول الموافقة على هذه الاتفاقية محدودة العدد ومازالت الاتفاقية في حاجة إلى من يهتم بها بعد ذلك ، ويعول نشاط المؤسسات المزمع إقامتها من خلالها . إلا أن الرأي العام الغربي ـ يجب أن نعترف ـ قد بدأ يعي المشكلة ، وما نتائج الانتخابات في البرلمان الأوربي الأخير ، واكتساب الخضر لأصوات كثيرة ، إلا دليل على ذلك الوعي . ألا يجدر بنا نحن في الجامعة العربية ، وعلى المستوى الأهلي العربي ، وبالتعاون مع مؤسساتنا العلمية ، أن نتنبه إلى خطورة تدهور البيئة ، وخصوصا بيئتنا التي نعيش فيها ! والتي لم نستثمر كل إمكانياتها ، وانطلقنا لنصيبها بالتدهور



عندما يختنق التاريخ بين جدران مبنى يحيط به الإهمال

والإهمال ؟! وهل يكفي التنبيه إن آن الأوان لإنشاء إدارة خاصة في كل حكومة من حكوماتنا لتعنى بالتلوث البيئي وإدارة أخرى في جامعة الدول العربية .

الانفعال للمعرفة

لا أعرف كيف تذكرت وأنا أطوف مع صديقي الفنان حلمي التوني على معروضات المتحف الإسلامي بالقاهرة قبل أسابيع قليلة كلمات أستاذنا الكبير ، زكي نجيب محمود ، فقد قرأت عنه مرة قوله : (يجب أن نحرص على شحن المعرفة بالانفعال لها) . لقد كان ذلك اليوم مشهوداً عندما اقترح الصديق أن نذهب إلى شيء آخر ، ونرى أشياء أخرى في القاهرة ، المكتظة بالناس وبالمظاهر الحديثة ، فقضينا سحابة نهار كامل في المتحف الإسلامي ، نطوف بمقتنياته . بعض المعلومات عنها يشرحها المأذون عن هذا القسم أو ذاك ، ومعظمها يزيدها أو يصححها صديقي الفنان التوني . أخذنا نطوف بالأقسام المكتظة بالمعروضات ، وصور الحياة والناس في قاهرة المعز ، قاهرة المماليك ، قاهرة شجرة الدر ، تتزاحم ، لتخرج من مجرد كونها معروضات صماء إلى حد تكاد تنبض فيه بالحياة .

لقد كان درساً عميقاً عن الحياة والثقافة والتجارة والصناعة ، وعن السلم والحرب ، وعن السنوات السمان والسنوات العجاف ودورات النهر العظيم الذي يطفح أعواماً بالخير ويختبر حب الناس له أعواماً أخرى بالانحسار .

هذا التاريخ المكتظ بالأحداث والرجال العظام ينحصر في مبنى ، هو إلى الإهمال أقرب منه إلى التحديث ، في الوقت الذي نجد فيه جماعات من الناس على هذه الأرض ، أو شعوباً ، لاتجد لها تاريخاً ، فتتصيد لها أسطورة تحييها ، وتبعث فيها الروح ، كي تحرك الناس إلى العمل والجد ، ونحن نضع وراء ظهورنا كل هذا التاريخ الحقيقي الذي شهد على الزمان وشهد له ، وهو تاريخ ، كما يقول ـ مرة أخرى ـ زكي نجيب محمود : «لو قسمناه على أهل الأرض جميعاً لكفاهم دافعاً شريفاً نحو هدف شريف» . هذا التاريخ يحصر في مبنى يحتاج الى تجديد وتطوير للمعروضات ، ليستطيع الغريب قبل القريب أن يستمتع بالتطواف بها ،

يتفهمها وينصت بخياله إلى مطارق الحدادين والنجارين والحرفيين في كل فن وهم يضيفون إلى الخبرة الانسانية خبرة جديدة . وقفت أمام أحد الأبواب الضخمة التي يضمها المتحف ، ونقلت هذه العبارة المنقوشة على الخشب : (لمولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، محيي العدل في العالمين ، أبي الفقراء والمساكين ،خلد الله ملكه بمحمد وأهله) . قلت وأنا أغادر المكان بعد جولة مشبعة : ألا يحق لمثل هذه الآثار العظيمة أن توضع في مكان مناسب وطريقة تناسبها ؟ نظر إليّ صديقي الفنان التوني وابتسم ، دون أن يرد ، واكتفيت أنا بذلك .

ورقة رابعة :

أستاذنا الذي رحل سيد عويس

نعت أخبار القاهرة في شهر حزيران «يونيو» الماضي انتقال أحد أساتذة الاجتماع ، وهو المرحوم سيد عويس ، إلى الدار الآخرة ، وكتب بعض مريديه ومحبيه بعض ما عرفوه عنه ، وقد عرفت المرحوم عن قرب ، فقد كان لي شرف التتلمذ على يديه ، وأن تربطنا علاقة صداقة علمية ، امتدت سنوات .

كثير منا قد تعلم في مدارس وجامعات، وقام بتدريسه أساتذة أفاضل، ولكن بعض الاساتذة فقط نذكرهم بوضوح، ونذكر تأثرنا بهم، إنه الجانب الإنساني الذي شدني للمرحوم سيد عويس، فلم يكن التدريس عنده أو البحث عملاً «روتينياً» ، يبغي من ورائه مركزاً أو جاهاً، بل كان عشقه للمعرفة في صورة العلاقات الانسانية، وهذا ما تدلنا عليه الموضوعات التي كان يهتم ببحثها، ففي قمة عطائه أهدى المكتبة العربية، هتاف الصامتين : «ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الإمام الشافعي بالقاهرة»، و«الخلود في التراث الثقافي المصري»، ومجموعة اخرى من الكتب الاجتماعية القيمة، ثم أخيراً وقبل وفاته بسنوات كتب أول سيرة حياة اجتماعية هي «التاريخ الذي أحمله على ظهري» . والحديث عن سيد عويس رحمه الله يأخذنا باتجاهين : الأول ـ كما قلت ـ قدرته على التواصل الانساني ، فقد كان يحمل بين أضلعه قلباً كبيراً ، وكنت سألته مرة في إحدى المناسبات ، وهو يطلب أحد الكتب الحديثة التي تناولت الكتابة عنها في هذا المكان ، قلت له : ألا زلت تتابع

رحل عاشق الكلمة.. والمعرفة.. والتواصل الانساني



● د سيد عويس

وتقرأ بهذه الهمة ؟ قال : الباحث منا كصاحب رصيد في «بنك» إن سحب منه دون أن يضيف إليه أفلس ، فكانت حكمة جديدة ، تضاف الى ما سمعته منه من حكم .

ولكن ما سوف يحسب لسيد عويس في النهاية في مجال علم الاجتماع ، هو تأصيله المعرفي في هذا النوع الجديد من العلوم علينا ـ نحن العرب ـ فقد عرف مصادره الغربية دون انبهار ، وحاول تأصيله كعلم عربي ، فلم يخف عن سيد عويس أن علم الاجتماع قد نشأ في الغرب، نتيجة ازمة فعلية، سادت المجتمع الغربي ، وجاءت ابحاث علم الاجتماع الغربي بمثابة حلول ، واستجابة لتحديات مطروحة بالفعل ، كان يعاني منها ذاك المجتمع بمختلف تلوناته الاجتماعية

والسياسية ، وأن علم الاجتماع الغربي دخل بعد ذلك في خليط معرفي بين ما هو (ايديولوجي) عقائدي وبين ما هو انعكاس لواقع موضوعي . من هنا كان سيد عويس يرى خطورة النقل دون تفكير من علم اجتماع غربي إلى علم اجتماع عربي ، ومن هنا تأتي اهمية تأصيله في الدراسات التي قام بها ، لقد كان يرى أن علم الاجتماع العربي يجب أن يكون أداة تنويرية وأداة عقلنة للذهن العربي والواقع العربي .

وكان يعرف العقبات الكبيرة في إشكالية تكيف ومواءمة مفاهيم ومناهج ونظريات علم الاجتماع الغربي ، لتلائم خصوصية الواقع العربي النسبي ، وكان يرى ان ازمة العلوم الاجتماعية العربية ليست ازمة معرفية ، بمقدار ماهي ازمة حضارية . كانت المعادلة لديه واضحة لدارس العلوم الاجتماعية، عليه ان يتحرر من الآخر (الغرب)، ومن الذات التقليدية، وأن يكون ابن عصره ومجتمعه في آن واحد.

تحتاج كتابات سيد عويس ومفاهيمه التي طرحها، وأمضى حياته يدأب في متابعتها الى دراسة تحليلية اوسع من هذه العجالة ، وتبقى محاولاته في النهاية من ابرز أعمال علماء الاجتماع العرب ، رحمه الله رحمة واسعة ، بقدرما أضاء من عقول ، وأنار من بصائر. وعندما غادرنا في صمت أحاطت وسائل إعلامنا العربية موته بصمت مخجل . مرة ثانية فليرحمنا الله جميعاً .

ماذا يقرأ المسلمون الفرنسيّون ؟

الأزهري عون صديق عربي من تونس، يعيش في فرنسا منذ زمن طويل، مثله مثل عشرات الآلاف من أبناء الشمال الغربي الافريقي - أو قل الملايين - يبحث عن لقمة عيش له ولأولاده . هذا الصديق لا يتعاطى التجارة او الأعمال المعروفة الاخرى ، إنه كُتبي على الطريقة القديمة ، تتصل به في المنزل ، وتترك له خبراً أين أنت ، ثم يأتيك بقوائم الكتب التي لديه تختار منها ما تشاء . وهي دائماً أرخص من سعر الكتب في المكتبات . عندما أمر بباريس أقوم بمهاتفة الأزهري ، ونقضي بعض الوقت ، لا في اختيار الكتب إنما في الحديث الشامل ايضاً . سألته هذه المرة ماذا يقرأ قراؤك العرب في فرنسا ، أو قل لي : أي الكتب أكثر رواجاً



لديهم ؟ فقال دون تردد : إنها كتب التراث . كل أشكال التراث . ولا زالت كلماته منذ أن قالها تتردد في ذهني، فهناك في فرنسا مئات الألوف من العرب المسلمين الذين يحاولون جاهدين متابعة ثقافتهم العربية الاسلامية ، ونتيجة لوضعهم الاقتصادي والمعيشي المتدني لم ينظموا انفسهم حتى الآن في مجتمع غربي منظم ، كي يدافعوا عن حقوقهم الثقافية ، وما يصلهم من كتب ومطبوعات هي في اقل القليل ، لأنها كتجارة ليست رابحة ، بدليل صديقي الازهري الذي لا يزال ، منذ أن عرفته ، يستخدم رجليه في الانتقال ، ويوفر دريهمات محدودة لعياله بعد كل هذه المشقة.

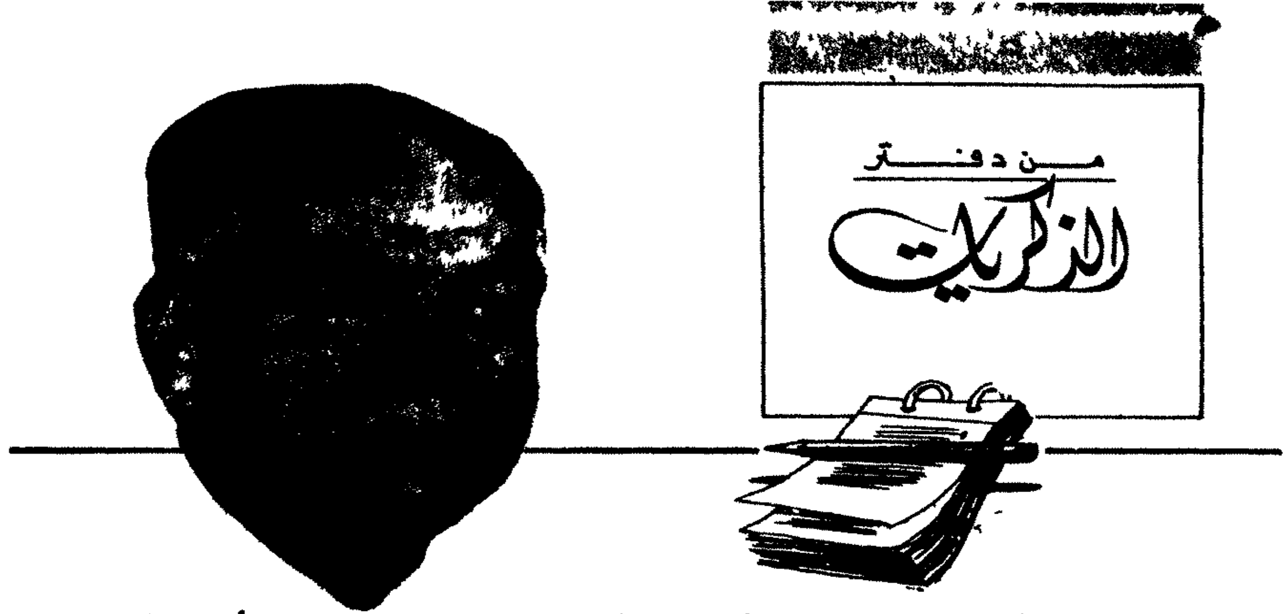
بيت القصيد هنا مئات الألوف ، هؤلاء الذين يحتاجون على الاقل الى رعاية ثقافية . هناك إذاعة محلية عربية في باريس ، تنقل لهم ثقافتهم ، وتسمعهم القرآن الكريم ، ولكن ذلك في باريس فقط ، وليس خارجها ، ومن العرب المسلمين خارج باريس من هم أضعاف من بداخلها . إن هذه التجمعات العربية والاسلامية في عواصم ومدن أوربية كبيرة هم أولى بالرعاية ، ورعايتهم تحتاج فقط الى جهود أولية للتنظيم ، ثم تترك أمورهم لهم يديرونها كما يريدون . والمتابع لما ينشر عن احوال المسلمين العرب في أوربا يعرف المشكلات الصعبة التي يواجهونها .

وعلى الرغم من ذلك فهم شديدو التمسك بدينهم ، ولا يبقى علينا من جهد إلا ربطهم بأوطانهم . في بريطانيا وحدها (١,٥) مليون ونصف مليون مسلم ، يذهب منهم ١,٢ مليون الى المساجد للصلاة ، بشكل منتظم . وهم بالمناسبة اربعة اضعاف عدد السكان اليهود في بريطانيا . ان المسلمين في بريطانيا، والعرب المسلمين في فرنسا ، قوة بشرية كبرى يمكن الاستفادة منها على كل الأصعدة ، تحتاج فقط الى تنظيم الاتصال بها ، ومساعدتها على تنظيم نفسها ، وقد تستطيع الجهود التطوعية العربية الأهلية ان تعطي الكثير في هذا المقام .



تلك أوراق صيف ، أردت أن أشارك القاريء فيها ، علها تثير في نفسه ما يستأهل التفكير . وكل صيف وأنتم طيبون .

محمد الرميحي



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

أنا والوزير

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

في يوم من أيام خريف عام ١٩٥٧ انزلقت السيارة التي كنت أقودها على الطريق في جبل لبنان ، بين صوفر وشتورا ، فتدهورت نحو هوة عميقة على أيمن الطريق ، إلى أن أوقفتها عن انحدارها قبل الهوة بقليل صخرة الصقت واقي الصدمة بعجلتيها الأماميتين . كان حادثا مروعا نجوت منه بأعجوبة ، إلا أن أعصابي تحملته في حينه بهدوء ، بل إنني وجدت فيه مادة لكتابة فصل جعلته مدخلا لرواية كنت - قبل يومين من ذلك الحادث - وعدت بكتابتها صديقي المرحوم رياض طه لينشرها مسلسلة في مجلة «الأحد» وهي الرواية التي ظهرت بعد ذلك باسم «باسمة بين الدموع» .

نعم ، تحملت أعصابي ذلك الحادث في حينه بهدوء، ولكنني حين أتذكر تفاصيله الآن ، بعد مرور أكثر من ثلاثين عاما ، أكاد أصاب برجفة من الهلع ، وأعجب من جمود أحاسيسي أمام ما كنت فيه على قاب قوسين أو أدنى من الهلاك . ومثل هذا العجب يتملكني عند تذكر الحادثة التي سأرويها في السطور التالية .

كنت في ربيع عام ١٩٣٧ طالبا في صف متقدم في مدرسة التجهيز في حلب ، وهي الثانوية الرسمية الوحيدة في تلك المدينة آنذاك ، كما كنت فيها رئيسا للجنة الطلاب . وكانت بلادنا ، سورية ، في ذلك الحين تغلي بالنقمة على فرنسا ، الدولة المنتدبة على وطننا ، لإتفاقها مع تركيا على تسليم هذه الأخيرة لواء الاسكندرونة السوري العربي . نظّمنا لذلك مظاهرات الاحتجاج الصاخبة التي كانت تنطلق من مدرستنا إلى قلب

المدينة فتغلق أسواقها ويشل الإضراب الحركة والمرافق المختلفة فيها ، ونحن نهتف في تظاهرنا بسقوط فرنسا المستعمرة ونطالب حكومتنا الوطنية بأن تنسحب من الحكم وتنضم إلى جانب الشعب في محاربته تلك الدولة الغاشمة .

وإذا كنت وصفت تلك الحكومة بالوطنية فلأنها كانت كذلك حقا . فقد تشكلت بعد نضال عنيف قبلت فرنسا بعده التفاوض مع الكتلة الوطنية التي قادت كفاح الشعب السورى من أجل الاستقلال ، فتألفت وزارة من هذه الكتلة أشرفت على المفاوضات . وكان وزير المعارف فيها هو الدكتور عبد الرحمن الكيالي ، ابن حلب نفسها . ولما تواصلت مظاهرات الطلاب وأخذت شكلا شاملا ، جاء الوزير الكيالي من العاصمة إلى مدينته ليهدىء الحال.

دعانا الوزير ، نحن أعضاء لجنة الطلاب ، إلى مقابلته وقال لنا ماأراد قوله في هذا المجال . وختم كلامه بأن الحكومة لاتملك الصبر على ما نسببه بتظاهراتنا من تشويش وفوضى وتعطيل في المرافق ، وإنه في حال استمرارنا فيها سيضطر إلى إغلاق كل مدرسة يشارك تلامذتها بها . تركناه على أن نلزم زملاءنا بالسكينة وأن نستأنف الدوام على الدروس بكل انتظام في الغد .

وجاء الغد بغير ما وعدنا به ، إذ لم تنفع محاولات التهدئة التي قمنا بها فيه عند رفاقنا .
وكان رد وزير المعارف على تصرفنا سريعاً ، إذ أصدر في الحال أمره بإيقاف الدروس في ثانويتنا التي هي رأس الحربة في كل التظاهرات اسبوعين كاملين قابلين للتمديد . . .

قد يستهين الكثيرون بخطورة هذه الضربة ، إلا أني كنت أقدرها في ذلك الحين حق التقدير . كانت الامتحانات العامة على الأبواب ، وهذا الإيقاف للدراسة يعني ضياع سنة كاملة على التلاميذ بكل فئاتهم . فتوجهت إلى حيث اتخذ الوزير مقره في مدرسة الصنائع قرب قلعة حلب الشهيرة ، وطلبت مقابلته .

تلقاني الدكتور عبد الرحمن الكيالي رحمه الله متجهما ، وبادرني بالتقريع على إخلاف ما وعدت به ، بصفتي ممثلا للطلاب ومتكلما باسمهم من التوقف عن التظاهر منذ اليوم . وعندما ترك لي مجال الكلام لم أحاول التنصل مما قاله،بل أعطيته الحق فيه ، ثم قلت : ولكنك يا سيدى اتخذت قرارا ظالما . قال : كيف ؟ قلت : أنزلت بالطلاب وهم غير مسؤولين العقاب الذي لايستحقه غير المسؤول عن الإخلاف ، وهو أنا ، وهذا هو الظلم يا صاحب المعالي !
فسألني : ماذا تعني ؟ قلت : أعني أن تعاقبني أنا . . اطردني من المدرسة اسبوعين أو أكثر ، وتكرّمْ بالغاء قرارك بإيقاف الدروس . تطلع الرجل إليّ بإمعان ثم قال : حسناً ، أنت طلبت هذا بلسانك . سآمر بفتح الثانوية ، أما أنت فاعتبر نفسك مفصولا من الدراسة فصلا نهائيا ، ولن تقبلك أي مدرسة في هذه البلاد ستجد قرار الطرد عند مدير مدرستك .

خرجت من مكتب الوزير فارغ الرأس ، أحس بخواء في تفكيري ، لا أستطيع معه أن أركّز به على موضوع ما . طُرِدت ، ضاع كل عمري السالف وتلاشت أمانيَّ وآمالي في المستقبل .
وحين انتهيت بعد سير طويل في أزقة حلب القديمة إلى ثانوية التجهيز ودخلت مكتب مديرها ، تلقاني هذا بوجه عابس وقال لي بلهجة بين التأنيب والاشفاق : أمَرَنا معالي الوزير باستئناف التدريس في كل الصفوف . فيما يتعلق بك ، سمح لك أن تعود إلى صفك ، وهو ينصحك بأن تحسن قيادة زملائك في الظروف الحرجة !

و هكذا عدت إلى الدراسة ولم أحرم منها . كان الخطر الذى حسبت أنه نزل بي آنذاك كبيرا ، إلا أني ما شعرت حياله بحزن ولا خوف . □

العربي

■ "مالي" والسنوات العجاف — استطلاع: صادق يلي
□ من قمم الأطلس إلى سواحل الأطلسي — استطلاع: سليمان مظهر
■ حق تقرير المصير: البعد الفلسطيني — د. أسعد عبدالرحمن
□ نحو فكر عربي جديد — د. محمود عبدالفضيل
■ النزاع على الموارد المائية — د. مصطفى مرسي
□ من دفتر الذكريات — فهد الدويري
■ "المياه الزرقاء" علاج بدون جراحة — د. سعيد السامرائي
□ حول مشكلة العامية — عبدالرزاق البصير
■ الصناعة الكونية اليوم وغدًا — د. ميخائيل تشيريشوف
□ سر تحدي حكومة جنوب أفريقيا للمواثيق الدولية — د. سعاد الشرقاوي

وجهًا لوجه: د. محمد عابد الجابري ود. فهمي جدعان

كتاب الشهر: ثلاثية الراحل د. سيد عويس

واقرأ أيضًا للكتاب:

★ د. محمد الرميحي ★ د. غسان حتاحت ★ خيرالدين حسين ★ غائب طعمة فرمان
★ د. وجيه مندو ★ صفوان الشلبي ★ خالد قشطيني ★ د. محمود الذوادي

حوار حول التاريخ القطري

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

كنا مجموعة ممن يعملون في التاريخ ، جمعتنا المصادفة على هامش مؤتمر ، ودار الحديث بين هزل وجد ، فأمر من هنا ونكتة من هناك ، وكانت أحاديثنا تتطاير تطاير بعض الأوز البري الذي يلتقط صيده من النهر في سرعة السهام ، ثم ينطلق هارباً في الفضاء . لكن التشويه المهني سرعان ما جرفنا ، فإذا بنا منخرطون في جدلية جادة حول دولنا العربية القطرية تاريخا وتكوينا . وكل واحد من الحاضرين يدلي بدلوه ، وقلت :

الذي أعرفه أن جميع دولنا على الإطلاق إنما قامت بأمر استعماري ، بتسوية بين الطامعين الأجانب . فنحن نمثل توازن التجزئات الاستعمارية التي دمرتنا في القرن التاسع عشر . كانوا يقررون ولا يطلبون حتى بصماتنا ! ما من حدود في الأقطار العربية على الإطلاق ، سواء بين بعضها بعضاً أو بينها وبين الدول الأخرى المجاورة وضعها عربي أو اشترك في وضعها عربي . كل التواقيع على وثائق الحدود التي نتمترس وراءها ، وندافع بشراسة عنها ، وضعها المستعمرون ، خاصة الانكليز والفرنسيون والطليان والأسبان ، خطان فقط نجيا ، في سنة ١٩٣٢م وضع العرب خطاً بين اليمن والسعودية . وفي أعقاب مشكلة البوريمي كانوا موجودين لوضع الخط الآخر . ومضحك حتى البكاء أن نكون ضدها حتى الموت منذ قرن أو أكثر ، وأن نكون معها حتى الموت بعد الاستقلالات وحرية المصير ! .

بين الأنانيات والرغبات

وانقسم القوم بين من يعد الحدود الإقليمية صورة عن الواقع الإقليمي ، وبين من يعدها الشؤم كله ، ويدعو إلى نسفها . وكل من الطرفين يأتي على رأيه بالشواهد . حتى « فيلم الحدود » لدريد لحام دخل في الجدل والاستشهاد ، وقال أحد الحاضرين :

المنطقة العربية كانت دواماً دولاً إقليمية ، ما عرفت الوحدة المركزية إلا في العهد الأموي العتيق القصير ، ثم انفرطت الدولة الكبرى دولاً ودويلات وأهواء ملوك ومغامرين .

وأجاب زميل كان يستمع ، وقد جعّدت السنون وجهه ، وإن أوقدت عينيه :

تلك نظرة قاصرة ، تنظر إلى شخوص المسرح على الخشبة ، ولا تنتبه إلى تكوين المسرح كله بمن فيه وما فيه التاريخ ليس هو الرشيد والمستعصم ونابليون وشارلكان . إنه نسيج لا أشد منه تعقيداً ولا أكثر منه تشابكا ، وما يظهر منه على السطح أقل كثيراً جداً مما يختفي . الحمديات التي تسلخ من المحيط المتجمد الشمالي تدس في الماء تسعة أعشارها ، وتبرز العشر فوق الماء الدول الإقليمية ـ ولو أعانتها الجغرافيا ـ كانت وما تزال إلى اليوم تمثل أنانيات الحكام وأهواءهم ، ولا تمثل رغبات الشعوب .

ويتهمون التاريخ العربي بالتفتت . ويقول قائلهم : إنه مجرد خصومات سياسية ، تنتهي بتلمظ السيوف بالدماء . ما جلست محلساً نفتح فيه هذا الحديث إلا سمعت ذلك . نحن لقّناهم التاريخ معارك وأنياباً . صورة تاريخنا في أنفسنا لا أبشع ولا أشد مأساوية وقتاما . السواد يحترقها ويعيش فيها ، وإن كان الذين يرددون ذلك لا يدرون عن التاريخ ، ولا عن تلك الصورة إلا أقل من اليسير ، وقد لا يدرون شيئاً ، ولكنها الصورة المريحة لمن لا يريد أن يلتفت إلى الوراء

وفي اعتقادي المتواضع أنه ليس هناك تاريخ متماسك أعمق التماسك ، موحد أقوى الوحدة ، وقد راعى مثله العليا ما استطاع كالتاريخ العربي . ما عليكم إلا أن تغيروا موقع آلة التصوير فقط ليتغير المنظر إلى عكسه !

إنا نكتفي بما يطفو على السطح من أقذار السياسة ، وننسى التيار العميق الذي يحرك النهر . الذين يسحون ذلك التاريخ على أساس نزاعاته السياسية فقط محقون كله نزاعات وخصومة كما تعض الثعابين بعضها بعضا كله تمزقات لا تكاد تتصل قطعة منه بأخرى (بالعرو أم نتيجة ضعف الحكام أم بالتراضي بينهم) إلا انقطعت قطعة ثالثة في جانب آخر ، فهي تُعرّى وتنهب وتدمر . ولا يكاد حاكم يموت حتى تتناول الأنياب تراثه بالمقاسمة أو بالاستيلاء لا تكاد تجد وحدة سياسية قامت إلا على أنقاض وحدة أخرى أو أكثر ، ولكن !



الوجـــه الآخـــر

ولكن أما ينظر هؤلاء أولاً إلى الوجه الآخر للتـاريخ ، إلى وجهـه الثقـافي ، والاجتمـاعي والاقتصادي ؟ الثقافة العربية في نسيجها المتين ما تزال تجمع ١٨٥ مليـون عربي في مـدى فكري واحد . ليكن القرآن الكريم قاعدتها الضخمة ، أو لتكن اللغة . ولكن أما كانت وما تزال توحد الناس بين مشرق ومغرب ؟ لقد كانت تنسج كل يوم ما تنقضه السياسـة كل يـوم . كزوجـة أوليس، بطل الالياذة، التي كانت تنفص في الليل ما تنسجه في النهار في انتظار زوجها ! الكتاب الذي كان يسافر ـ وهو مخطوط فرد ـ من أقصى بخارى وسمرقند إلى موريتانيا والأندلس كان حبالا غير منظورة ، متصلة بحبل القرآن ، تربط المشـرق والمغـرب . أما كتـاب ابن عبـد ربـه « العقـد الفريد » في المغـرب فقد كـان كتابـاً شامـلاً في الأدب ، فلما قرأه المشارقة قالوا : بضاعتنا ردت الينا ؟ والعلماء أما كانوا يهاجرون شرقاً وغرباً بين أقصى الأنـدلس وأقصى الهند وبـلاد التـرك ، ويجدون في كل مكـان ترحيبـاً ومورد رزق مـا شاءوا المقـام ؟ فابن بطوطة وهو الرحالة المتنقـل قد عمـل قاضيـاً في دمشق وفي الهنـد وسـرنـديب والصـين ، ولم يقل لـه أحـد : إنـك غـريب ! والحلاق العادي كان يهجر مصـر إلى البصرة أو فاس ، فيجد في صنف الحلاقين كل المعونة التي يريد . ويجد هنا وهناك من يعينه بالمال والعدة ، ليتابع العمل في مهنته ، وقد يجدون له الزوجة أيضـاً ، في تضامن تعجز عنه النقابات العمـالية الحالية . لا شأن له ولا لهم بعواصف السياسة التي تمر فوق رؤوسهـم بمصائبها . والتاجر تمر بضاعته في القوافل بجوار فريقين يتحاربان فلا يمسها أحد . دنيا السياسة لأهلها ، ودنيا الناس للناس الذين يوحدهم موقف واحد من الثقـافة والحياة ! .

غابـــة واحـــدة

ويحدثونك عن اللؤم والغدر وخيانات الحكام بعضهم لبعض بين إقليم وإقليم ، بل يتحدثون عن جرائم ظلم ونهب وعدوان . أنا لا أنكر شيئاً من ذلك ، ولكن هل قرأ هؤلاء الذين يزدرون تاريخهم الخاص لهذه المفاسد فيه ، تواريخ الأمم الأخـرى ؟ لو فعلوا لـوجـدوا تـاريخنـا تـاريـخ القديسين أحياناً أمام الآخرين . ليس ثمة تاريخ لأمة على الأرض لم ينتهك فيه « قدس » الإنسان بأقل مما انتهك في التاريخ العربي . ولم يصب من الأحقاد والتمزق والدسائس والجرائم الدنيئة ما يزري ، لكل ما جرى عبـر التاريـخ العربي في أقـطاره المختلفة . هـل أتاك حـديث التـاريـخ الفرنسي في جرائمه وجنونه ودناءته ؟ هل أتاك حـديث الانكليزي أو الأسبـاني أو الـروسي أو الايطالي ؟ قذارة الإنسان واحدة بكـل مكان ، طينته التي صنع منها هي طين الأرض ، فأوحالها ما تزال عالقة به ، مؤثرة في أعماق وجدانـه ! فلمـاذا نطالب أنفسنـا ظلماً بأن نكـون وحدنـا المثاليين ؟ ولماذا هذه « الماسوشية » التي نجلد بها



أجسادنا صباح مساء ؟ التاريخ الإنساني كله غابة واحدة ، فيها النسر والقمري ، وفيها الخرتيت والضبع والأفاعي ذات الفحيح ! .

أقول هذا لأصل إلى أن الدول الاقليمية السابقة إنما قامت وكثرت وتقاتلت بسبب أنانيات الحكام ، دون أن ننسى بالطبع أبداً عامل التباعد الجغرافي الذي أعانهم على ما غرقوا فيه ومهد لهم .

على أن المشكلة ليست في التاريخ نفسه ، ولكن في معظم من كتبوا التاريخ . لقد سجلوا العابر السياسي ، وهو الأقذار الطافية على السطح ، ولم يروا ولا استطاعوا تسجيل التيار العميق . ربما كان الذين سجلوا التراجم منهم فعلوا شيئاً ، سجلوا من خلالها التاريخ الفكري للعرب كله ، كما لم يسجله أي تاريخ على الأرض دقة وشبكات متتالية من الأساتذة والطلاب وطلاب الطلاب ، وسجلوا خلاله وفي ثناياه الكثير من التاريخ الاقتصادي الاجتماعي ، لكنهم مع الأسف لم يصلوا ذلك كله بالتاريخ السياسي ، كأنهما عالمان مختلفان ، ذكروه عرضاً فهو على الرغم من شموله الأقطار العربية كلها من وراء كل الفسيفساء السياسية التي يصنعها الحكام ، كان فتاتاً من الفتات ، فنحن نتعامل مع ما كتبوا كالعميان في مصنع الخزف ، نلوح بالعصا لنعرف الطريق ، فإذا بنا نكسر الآنية .

وسأل سائل من القوم :

هذا قد يكون صحيحاً كله ، ولكن ألست ترى أن رواية التاريخ السياسي كانت العمود الفقري الذي قامت عليه تواريخ الناس ، وتاريخنا نحن معها ؟ ثم أليس التاريخ القطري حقيقة واقعة ، وقد كتبنا تواريخنا قطراً قطراً من قبل ، بل وقطراً منفصلاً عن الآخر أيضاً ؟

وانبرى الزميل يجيب . قال :

السؤال شقان ، وفي كل منها مغالطة فكر ! صحيح أن تواريخ الأمم الأخرى تقدم التاريخ السياسي ، ولكنها جهدت حتى فنيت العيون ، لتبرز بجانبه التاريخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي الذي يلمها ، ويجعل منها وحدة متماسكة ، يؤدي فيها التاريخ دوره الموحد . أما نحن فنتكلم عن صلاح الدين ألف مرة ، أكثر مما نتكلم عن أزمته الاقتصادية . ونحصي معارك الردة وما تلاها ، ولا نكاد نذكر الانقلاب الاجتماعي الذي رافقها ، وكان في قاعدتها . وتمر بنا شخوص المنصور أو الرشيد والبرامكة دون أن نتنبه أو ننبه إلى الخيوط النفسية أو المرضية أو الاقتصادية التي تحركها . . هذا شق !

عيال على الغرب

أما الثاني حول قطرية التاريخ التراثي ، فنحن فيه عيال على الغرب . وكاد بعض الحضور يصيح ، فطمأنه المتحدث بيده وتابع :

بلى ! نحن فيه عيال على الغرب أكثر منا على أنفسنا . صحيح أن كتبنا التراثية تتحدث عن الأقطار والدول فيها ، ولكننا لم نأخذ هذه الطريقة عنها كما أخذناها عن الغرب ، ولم نلتزم بشروطها التي كان يلتزم بها الأولون ، وهي شروط الربط بين الأقاليم والأقطار بقدر ما أخذناها عن الغرب الذي كان همه أن يقيم من كل قطر فينا كياناً مستقلاً منفصلاً عن غيره .

والأولون منا معذورون ، فالبعد الجغرافي كان يرهقهم عنتا ، ويمنعهم من رؤية ما وراءه في الأرض ، فهم يتلمسون ذلك تلمساً . ولكن ما عذرنا نحن بعد هذه الثورة في الاتصالات اليوم ؟ ولقد كانت حدود الدول في القديم محدودة الآفاق بالإطار الجغرافي ، وبإطار قوة الحاكم ، ومدى طول سيفه ، فهي تتسع تارة وتضمر أخرى ، وتشمل اليوم منطقة وتدع غدا أخرى ، لم تكن ذات إطار محدد . يصل الفاطميون شمالي الشام ، ثم ينكفئون فيتقوقعون في مصر . ويمتد المرابطون ثم الموحدون إلى الأندلس ، ثم يكتفون بالمغرب الأقصى . ويمتد العباسيون ما بين تونس والهند

وتركستان ، ثم يصبحون إمارة صغيرة حول بغداد . وكلها دول . ويسجلها الأقدمون دولاً في إطار الإسلام الموحد والثقافة العربية الشاملة .

أما اليوم فنحن نؤرخ الدولة الإقليمية على أنها كيان قائم بذاته ، كما يؤرخ الفرنسي لفرنسا والأسباني لمملكته الخاصة . لا نسجل الوشائج العميقة التي تربط المغربي بالمشرقي ، ولا نأبه بها ، مع أنها الأصل والأساس . بهذا المفهوم والمنهج نحن . بلى ! عيال على الغرب ، نقلده ونحن مسرورون ، وينظر إلى حماستنا ويبتسم . لقد انتصر على الوحدة العربية بأيدي أبنائها أنفسهم ، وباسم الحداثة والموضوعية ! نحن في ذلك نساهم دون أن ندري في تمزيق أنفسنا .

المنظـــور الوحدوي

لست أريد بهذا ألا يكتب كاتب أو مؤرخ عن قطره ، أبدا ما إلى هذا أقصد ، ولكنني بلى أريد أن يبقى المنظور الوحدوي في خلفية جميع تواريخنا القطرية . هل رأيتم مؤرخاً فرنسياً يسجل تاريخ البروفانس إلا وعينه ترمق فرنسا كلها ؟ وهل يكتب انكليزي تاريخ ويلز أو اسكوتلنده دون أن يصله رحميا بالتاريخ الانكليزي ؟ ومن ذا الذي يكتب في ايطاليا تاريخ صقلية وحدها ، ويهمل التاريخ الايطالي كله ؟ إن المنظور الوحدوي هو الذي نفتقده ، وافتقاده هو الذي يسهم في زيادة الحواجز الاقليمية بين أقطارنا ، ويفتح أعيننا دهشة كالمبهورين حين نشهد لقاء أحدها بالآخر لقاء أخوة صحيح !

إنني لأترحم على الطبري وابن الجوزي وابن الأثير والعيني ، حتى لأكاد أنتهج منهجهم الحولي ، كتبوا تاريخنا ممزقاً سنة بعد سنة ، ولكن كتبوه شاملاً ، كانت نظراتهم تقوم على وحدة الوطن العربي الإسلامي . حتى المؤرخين الاقليميين ، وحتى مؤرخي المدن لم يكونوا يفتقدون هذا المنظور الشامل شرقاً وغرباً ، سواء في الأحداث السياسية أو في تراجم الرجال . لم يكن تفتت السلطة يستتبع في وعيهم التاريخي تفتيت الأقطار وانفصال بعضها عن بعض .

البنية التاريخية الواحدة كانت على الدوام سائلة على أقلامهم وفي جباههم . وقال المتسائل :

كأنك تقول : إن ظهور تواريخ باسم المغرب أو العراق أو اليمن هو قفزة إلى الوراء ، إن لم تشمل التاريخ العربي ، وأنا أراه ضرورة وقفزة إلى الأمام في كل الأحوال . إنه على الأقل يمهد السبيل ، لجمع هذه التواريخ الإقليمية فيما بعد ، تماماً كما نشهد اليوم لقاء الدول الاقليمية وتعاونها أو اتحادها .

لو كان الأمر بهذه السهولة الساذجة لحمدته . ولكننا لا ندري أننا بهذه العملية التجزيئية القادمة إلينا مع العواصف الغربية (واسمحوا لي أن أكرر هذا) إنما نبني بأيدينا ، وبشكل عميق ونهائي ، الاقليمية السياسية .

نعطيها الأسس الراسخة ومبررات الوجود ، ندمر وحدتنا الثقافية الاجتماعية . إن هدم الحواجز بعد بنائها في نفوس الأبناء والناس أصعب كثيراً وأدهى بكثير مما نتصور ، إنها تترك جروحاً وتشوهات في الروح القومية ، ما تصيبها هزة إلا وتعود فتنكسر . إن تسجيل وجهات النظر التي تؤيد الوضع القطري ، وتعمل على بلورته ، ولا تنظر إلى المدى الرحب الذي يتصل به رحميا ، لا يقزم الرؤية فحسب ، ولكن يقتلها .

إنها جراح في الروح ! إننا لا نتعامل مع حجر واسمنت نشيده ونحطه ونغير شكله ، ولكن نتعامل مع أبنية فكرية إنسانية ، متى استقرت فمالها من هادم ولا مغير . إننا ننتحر عربياً ولا ندري ! فإما كتابة التاريخ العربي من منطلق وحدوي أو فليبق ممزقاً لدى الطبري وابن الأثير حتى يأتي من يكتبه تاريخ أمة واحدة .

أربع مقولات

وقال قائل :

كأنك بهذه الخطبة العصماء دون كيشوت العصر ، تدين . . .

أنا لا أدين أحدا أبداً ، وإنما أدين النظرة الضيقة ، أدين هذه الغواية التي ركضت بنا ، فنحن عاكفون عليها . أدين ذلك التناقض الذي نعيشه ، نثبت الحدود الإقليمية بأيدينا وأسناننا ، ونريد بعد هذا أن نقيم الوحدة من فوق ذلك . اقتسمنا كالورثة الفاسدين إرثنا ، وراح كل فريق منا ينفرد بقطعة منه ، والهوة بين الأقطار تعمق وتعمق . وإذا كان المستقبل لأهل الكتل الكبرى فإننا نصنع قبورنا بأيدينا ، فالناس تمشي إلى التجمع والتكتل ونحن نسير بالعكس الى التمزق والكتل الصغرى ، كالذي يروى الحديث النبوي عن القوم الذين ركبوا سفينة ، فقال كل منهم هذا مكاني أصنع به ما أشاء فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا .

وسأل سائل مَلّ الحديث والاستماع :

إلى أين تريد أن تصل بنا في هذا الحديث السياسي التاريخي في وقت معاً ؟ لقد ضاع علينا الطريق !

بول فاليري ، الشاعر الفرنسي المشهور ، له كلمة في التاريخ ، قال : إنه أخطر كيمياء ابتدعها العقل البشري ، إنه يقدم الأدلة والحجج لكل من يطلبها ، ويبيع وثائقه لكل مشتر . وإنما أردت إلى مقولات أربع :

الأولى : أن كل تمزقاتنا التي نشهدها ونعاني في تاريخها . وكل جماعة تصوغها على هواها ، فللإقليمي تاريخه ، وللماروني تاريخه ، وللبربري وللقبطي أيضاً . المستقبل تبنيه التواريخ الكبرى ! المنطلقة من الأرواح الكبرى الشاملة ، لا المجتمعات الثانوية الفسيفسائية .

الثانية : أن التاريخ الحقيقي ليس تاريخ الحكام ، فإنهم أهون شيء فيه ، فخصوماتهم التي سالت بها السيوف ، وذبحت الشرايين ، وحفيت سنابك الخيل ، كانت أشباحاً عابرة في التاريخ ، أما التاريخ الحقيقي فهو تاريخ مئات الألوف من رجال العلم الذين نسجوا وحدة هذه الأمة بين شرق وغرب ، وهو تاريخ الملايين بعد الملايين من الصناع والتجار والزراع الذين آمنوا وظلوا يؤمنون بأمرين : الانتاج وأخوة العربي للعربي ، وهو تاريخ الفنانين ومشيدي الأبنية الخالدة وصاغة السيوف المجوهرة والأباريق والمحراب المزخرف والمئذنة التي تعلو لتذكر الناس أن الله أكبر ! . إن تاريخنا موحد بهم . ولو أنك لا تستطيع أن تتبين ملامح واحد منهم ! هؤلاء هم هيكل البناء التاريخي وحجارته وأعمدته . أما الحكام فليسوا أكثر من الزخارف السطحية على الجدران ، تبهر ولكنها لا تقيم هيكلا .

الثالثة : أن كتابة التاريخ القطري دون منظور عربي شامل ليس نقصاً فحسب ، ولكنه إساءة للتاريخ القومي وجرح لعنفوانه ! ، إنه توطيد وتدعيم للقطرية ، ولتجزئة ما وحده الله والدين والثقافة .

الرابعة : أن بناء الإقليمية والقطرية تاريخياً ، ثم الاتجاه إلى الوحدة ، أمران متناقضان ، فالبنية الفكرية تغوص في الأعماق لتصبح جزءاً من التكوين ، وهيهات أن يستعاد التكوين ! .

ونظر المتحدث أخيراً في أصحابه وقال :

هل كشفتم يا ترى مسؤليتكم في هذا الذي يجري اليوم على الساحة العربية من تمزقات أو تجمعات ؟ وهل كشفت موقفي ؟ □

تعريفات

● المواجهة هي أقصر الطرق للوصول إلى الهدف .

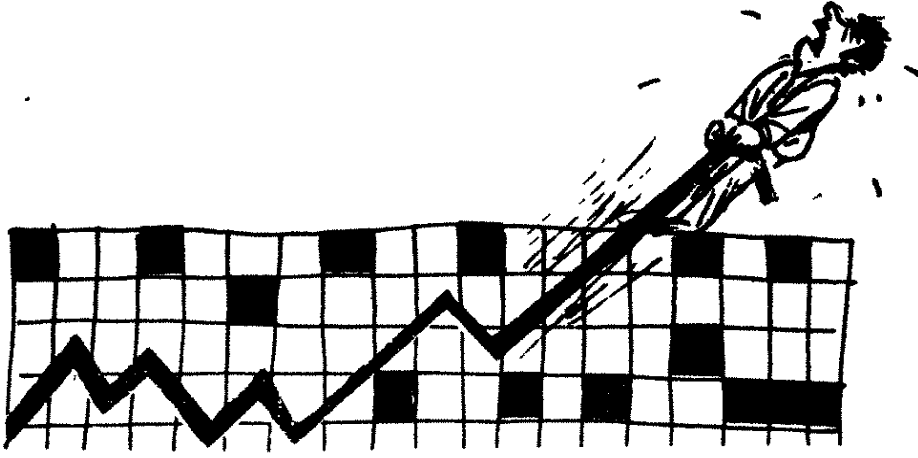
● الطفولة هي أصدق فترة يمر بها الإنسان على امتداد رحلة حياته .

غَنَّيْتُ حُسْنَكِ ، لا غَنَّيْتُ أحزاني
أمضيتُ خلفَكِ مُذْ عَلَّقْتِني عُمُراً
ما كان أسعدني فيه وأشْقاني
وصنْتُ وجهَكِ بِمَّا قَدْ يُحيطُ بِهِ
بما تَقَدَّس مِنْ آياتِ حرماني
غَذَّيْتُهُ في لَظَى الأوقاتِ ما وَسِعَتْ
أنساغُه البيضُ مِنْ شرياني الفاني
وحينَ عُجْتُ صباحَ الوعد أسْأَلُهُ
وِرْداً تَبَسَّمَ عنْ أنيابِ شيطانِ !
في أعْلَى الشرفةِ عصفوُرٌ
في الأسفلِ نافذةٌ حَيْرَى
يبتهجُ العصفُور بفجرٍ يحمل طاقَتَهُ
من لغةِ الموتِ
وتصطفقُ النافذةُ الحَيْرَى
حينَ يَئِنُّ سجينٌ مَنْ لَسْع سِيَاط
الحقدِ ويبكي
زوجَتَهُ
والطفلَ السابع
والعَفْو الدَّوْلِيّ
وأشياءَ أُخرَى .
في أعْلَى الشرفةِ عصفورٌ
في الأسْفَلِ نافذةٌ
في القلب الفاجعةُ الكُبْرَى !

ترَدِّينَ آلآءنَا في المساءْ
تقولينَ :
عِلُّوا دِمَاءَ الضَّحَايَا
وَغَنُّوا مَعَ الريحِ عَنْ موطنٍ
صارَ في الراحلينْ
وَمَا زَال مِنْهُ عَلَى وَجْنَةِ الإنْتِظَارِ
بَقَايا !
ترَدِّينَ آلآءنَا
تضحكينْ
تقولينَ : كُلُّ التقاريرِ مَوْبُوءَةٌ
والبسوسُ
لها عَوْدَةٌ للديارِ
ولعبةُ موتٍ جديدِ التفاصيلِ
يَمْتَدُّ مِنْ (طَنْجَةَ) الروحِ
حتى (ظفارْ)
تقولينَ عَنْ كاهِنِ الحَيِّ أشياءَ :
يأتي صباحٌ
ولكنْ بلا دهشةٍ أو ضياءْ
ويأتي زمانٌ تَئِنُّ لَهُ أَضْلُعُ
البيدِ
تبكي الرُّبَى
حينَ يَكْتَظُّ وادي الغَضَا
بالدماءْ !



* شاعر من دير الزور ـ القطر السوري .



النمو الاقتصادي

لماذا يتعثر في الوطن العربي؟

بقلم: الدكتور نعيم الشربيني *

إذا كانت قضية تطوير الاقتصاد الوطني، وتلبية احتياجات السكان المتنامية، هي أخطر التحديات التي تواجهها دول العالم الثالث، وفي قلبها الوطن العربي، فإن التجارب العالمية المختلفة، تؤكد ضرورة توافر شروط أساسية، لتصل عملية النمو الاقتصادي إلى مستواها المنشود، فما هذه الشروط؟ وهل أخذت بها التجارب العربية في النمو الاقتصادي..؟



كان العرب في صدر الإسلام يعملون في الزراعة والرعي والتجارة، والعالم من حولهم لا يختلف كثيرا عنهم. وكانوا في القرون الوسطى يعملون في صناعات الحديد والزجاج والتشييد، ويحملون مشاعل الحضارة والنور المعرفي، والعالم من حولهم مبهور، ينهل من ذلك المصدر، ويتعلم وينقل ويتثقف ويتطور على أيديهم. العرب على مشارف القرن الواحد والعشرين مازالوا يعملون في الزراعة والرعي والتجارة، والعالم من حولهم يعمل في صناعات المحركات النفاثة والطاقة النووية والاتصالات الالكترونية. ماذا حدث؟ وكيف نستفيد مما حدث لنطور أنفسنا ومجتمعاتنا؟

إن أهمية معرفة ماحدث، وكيف نستفيد

* اقتصادي أول بدائرة غرب افريقيا الاستوائية بالبنك الدولي بواشنطن.

منه ، ليس من أجل حياة أفضل للجيل الحاضر فقط ، لكن من أجل أجيال قادمة لمّا تولد بعد . هذه هي مسئولية المثقفين العرب إزاء أنفسهم وأمتهم .

وإن إثارة الأسئلة حول مشاكلنا الاقتصادية ، لابد أن تدفعنا للاستفادة من تجارب عالمية عديدة ، تراكمت خلال القرنين الماضيين . ولاشك أن الاقتصاديين سيتوقفون كثيرا عند ظاهرة النمو الاقتصادي ، بحسبانها من أهم الظواهر ذات التأثير المتميز على الاقتصاد العالمي خلال تلك الفترة الطويلة ، فالنمو الاقتصادي محصلة عدة عوامل ، تتضافر فيما بينها ، لتوسيع القاعدة الانتاجية في المجتمع توسيعا مستمرا على مر الزمن ، وعلى الرغم من تباين هذه العوامل باختلاف البلاد ، بل حتى بالنسبة للبلد الواحد في فترات زمنية متفاوتة ، فإننا نجد قاسما مشتركا بينها .

ما النمو الاقتصادي ؟

هناك خاصيتان متلازمتان للنمو ، لايجوز التفكير في واحدة منهما دون الأخرى . الخاصية الأولى الاستهلاك المتزايد للسلع والخدمات على مر الزمن . ويظهر هذا بوضوح في الاستهلاك العائلي ، خاصة للسلع المعمرة ، والخدمات المتميزة . فاستهلاك سلع مثل السيارات والثلاجات والغسالات الميكانيكية وكل المعدات للأعمال المنزلية والأغراض الترفيهية يتباين بين الأسر المختلفة وفقا لمستوى الدخل في كل منها .

أما الخدمات المتميزة ، مثل السياحة الداخلية والدولية ، أو التعليم الأجنبي ، أو العلاج المتخصص ، فيتباين استهلاكها كذلك بين الأسر المختلفة وفقا لمستوى الدخل في كل منها ، بل حتى بالنسبة للأسرة الواحدة على مر الزمن . الخاصية الأولى في عملية النمو الاقتصادي إذن هي الزيادة المطردة للاستهلاك ، سواء في السلع (المعمرة وغير المعمرة) أو الخدمات وبخاصة المتميزة منها .

أما الخاصية الثانية فتتمثل في زيادة إنتاج المجتمع سنة بعد أخرى ، وعقدا بعد آخر ، وذلك عن طريق خلق وحدات إنتاجية جديدة ، أو التوسع في حجم الوحدات الانتاجية القائمة . ويتحقق ذلك التوسع الانتاجي عن طريق زيادة استثمارات المجتمع التي يتم تمويلها من مدخرات الأسر على مر الزمن . وبطبيعة الحال يؤدي هذا التوسع الانتاجي إلى زيادة العمالة وارتفاع دخول العاملين ، وهو ما يسمح بزيادة الاستهلاك وزيادة الاستثمار ، وهو ما يؤدي مرة أخرى إلى زيادة الانتاج . ، وبعبارة أخرى فإن النمو الاقتصادي يحتوي على آلية ذاتية ، تسمح بالاستمرار فيه على مر الزمن .

من هنا تتضح غرابة الوضع الاقتصادي في الأقطار العربية النفطية التي حصلت على ريع غير متوقع بارتفاع أسعار النفط أثناء السبعينيات ، مما سمح للمجتمع ككل بالتوسع السريع في الاستهلاك دون أن يقابله توسع يذكر في الانتاج ، لأن إشباع الحاجات الاستهلاكية قد تم عن طريق الاستيراد ، وعلى الرغم من توسع القاعدة الانتاجية في الأقطار النفطية خلال الخمسة عشر عاما الماضية فإن معظم الحاجات الاستهلاكية في تلك الأقطار مازال يتم إشباعه عن طريق الاستيراد .

علاقات «ديناميكية» دائرية

وبالنظر إلى عدة مجتمعات مارست النمو الاقتصادي قبل غيرها ، مثل المجتمعات الصناعية القديمة والحديثة ، استطاع الاقتصاديون الوصول إلى نتائج مهمة ، يمكن أن تنطبق على المجتمعات النامية ، مثل مجتمعنا العربي ، من أهم هذه النتائج وجود علاقة طردية بين حجم الانتاج في المجتمع من ناحية ، وحجم السكان ومستوى دخل الفرد في المتوسط

من ناحية أخرى . العلاقة بين الانتاج والسكان علاقة «ديناميكية» ، دائرية ، فنمو حجم الانتاج يتطلب نمو حجم العمالة ، وهذا يؤدي بالضرورة إلى نمو حجم السكان الذي يؤدي بدوره إلى نمو الاستهلاك ، وهو ما يؤدي إلى اتساع الأسواق أمام الوحدات الانتاجية ، بما يحفزها لزيادة حجم الانتاج ، وهكذا . والمحك الحقيقي لنجاح عملية النمو الاقتصادي هو الزيادة المطردة لمستوى دخل الفرد في المتوسط ، وهو ما يتوقف على العلاقة بين معدل نمو الانتاج ومعدل نمو السكان ، فإذا زاد الانتاج بمعدل أعلى من زيادة السكان ارتفع دخل الفرد في المتوسط ، وإذا حدث العكس تدهور مستوى دخل الفرد في المتوسط .

واصطلاح الانتاج ينطبق على النشاط الاقتصادي في الوحدات الانتاجية الصغيرة التي يعمل فيها فرد واحد أو أسرة واحدة بمعدات بدائية وطاقات حيوانية لتغطية بعض حاجاتهم الاستهلاكية ، مثلما ينطبق على المصانع العظيمة التي يعمل فيها عدة آلاف من العمال بمعدات الكترونية وطاقات كهربائية هائلة . ولا يقتصر الانتاج على سلع مثل الغذاء والملابس ومواد البناء ، وإنما يشمل الخدمات ، كالتعليم والصحة والاتصالات . وبالنظر إلى المجتمع ككل ، فإنه إذا ما أضفنا جميع السلع والخدمات التي تنتجها الوحدات الانتاجية باختلاف أشكالها وأحجامها على مدى فترة معينة (اصطلح على أن تكون عاما كاملا) فإننا نصل إلى ما يطلق عليه الاقتصاديون «الناتج القومي الاجمالي» . هذا التعميم من مستوى الوحدة الانتاجية إلى مستوى المجتمع ينطبق على المجتمعات الإنسانية ، بغض النظر عن مستوى التقدم الاقتصادي فيها ، أو التنظيم السياسي الذي يحكمها . ومجموع الناتج القومي الاجمالي في هذه البلاد جميعا هو الانتاج العالمي .

ولقد بلغ حجم الانتاج العالمي عام ١٩٨٥ مايقرب من (١٠٦٠٠) عشرة آلاف وستمائة مليار دولار ، منها حوالي (٢٠٠٠) ألفي مليار دولار ، نصيب البلاد النامية ، أي ١٩٪ من المجموع . والجدير بالذكر أن حجم الناتج في العام نفسه في الأقطار العربية مجتمعة كان في حدود ٣٣٠ مليار دولار ، وهو ما يعادل ٣٪ من حجم الانتاج العالمي .

وإذا كان من الصعب تقييم عملية النمو الاقتصادي في وطننا العربي قبل الخمسينيات لعدم توافر البيانات الاحصائية من ناحية ، ولأن فكرة القومية العربية المنادية بوطن واحد لم تكن قد توطدت في عقول الناس من ناحية أخرى ، لكن من الثابت أنه لو نظرنا إلى الأقطار العربية النفطية كمجموعة ، والأقطار العربية غير النفطية كمجموعة أخرى ، فإننا نلاحظ أنه في عام ١٩٦٠ كان مجموع الناتج القومي الإجمالي في الأقطار غير النفطية ككل يزيد عن مثيله في الأقطار النفطية مجتمعة . على أن تباين معدلات النمو في المجموعتين أثناء الستينيات قد أدى إلى انعكاس هذه الصورة . ففي خلال فترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ زاد مجموع الناتج القومي الاجمالي في الأقطار غير النفطية بمعدل ٣,٣٪ سنويا ، بينما زاد مجموع الناتج القومي الاجمالي في الأقطار النفطية بمعدل ٦,٨٪ سنويا . وكانت النتيجة أن الناتج القومي في الأقطار النفطية قد زاد عن نظيره في البلاد غير النفطية عام ١٩٧٠ بما يعادل الخمس ، أما في السبعينيات (١٩٧٠ ـ ١٩٧٩) فقد ارتفع معدل نمو الناتج القومي في المجموعتين ، لكنه كان في حدود ١٦٪ سنويا في الأقطار النفطية ، بينما وصل إلى حوالي ٦,٥٪ سنويا في الأقطار غير النفطية ، وهو ما أدى إلى ارتفاع الناتج القومي في الأقطار النفطية إلى مايقرب من ثلاثة أمثال نظيره في الأقطار غير النفطية عام ١٩٨٠ م .

وبعبارة أخرى ، فإنه ابتداء من عام

١٩٦٠ ، قد ضاعفت الأقطار العربية غير النفطية الناتج القومي بحلول عام ١٩٧٥ ، أي خلال ١٥ سنة ، بينما استطاعت الأقطار النفطية مضاعفة ناتجها القومي بحلول عام ١٩٧٠ ، أي خلال ١٠ سنوات فقط ، ثم ضاعفته بعد ذلك بمرتين بحلول عام ١٩٧٥ ، أي خلال خمس سنوات فقط ، وذلك نتيجة لأعلى معدلات نمو في السبعينيات حظيت بها أي مجموعة من الدول .

العمل البشري يتقدم على رأس المال

حتى نفهم طبيعة عوامل النمو الاقتصادي في الأقطار العربية عموما، ربما كان من الأفضل إلقاء نظرة على الساحة العالمية ، فلقد تبين من الدراسات العديدة عن الاقتصاديات الصناعية في غرب أوربا وأمريكا الشمالية واستراليا أن نمو الناتج القومي كان نتيجة تضافر ثلاثة عوامل أساسية : أولها زيادة حجم قوة العمل وتحسن نوعيتها ، وثانيها استمرار تراكم رأس المال ، وثالثها تحسن حالة المعرفة على وجه العموم ، والمعرفة الفنية على وجه الخصوص ، وانتشار تطبيقاتها ، سواء في المهارات المتطورة أو في المعدات التقنية الجديدة ، وهو مايطلق عليه مجازا اصطلاح «التقدم التقني» .

بل لقد أمكن قياس المساهمات النسبية لكل من هذه العوامل ، واتضح منها أن عنصر العمل (كمّا ومهارات) كان يعد مسئولا عن أكبر مساهمة نسبية فى نمو الناتج القومي . تزيد عن النصف في كل البلاد التي تمت دراستها ، وتصل إلى الثلثين في عدد لابأس به من تلك الدراسات . بينما ساهم عنصر رأس المال (بما يحتويه من تقدم تقني) في نمو الناتج القومي بنسبة تتراوح بين الثلث وأقل من النصف بقليل .

والجدير بالذكر أن هذا النوع من الدراسات الكمية عن نمو الاقتصاد العربي لما يتم بعد ، نتيجة لعدم توافر البيانات الاحصائية اللازمة لفترات طويلة عن المتغيرات الكلية من الناتج القومي إلى المدخلات اللازمة من عمل ورأس مال . وربما كان الاستثناء الوحيد ـ حسب علم الكاتب ـ هو الدراسات الكمية التي تمت في الخمسينيات عن نمو الزراعة المصرية ، والتي قامت بها مدرسة من الاقتصاديين القياسيين ، بقيادة أستاذنا الدكتور محمد محمود الإمام ، ومنها يتضح أهمية عنصر العمل في نمو الانتاج الزراعي .

ويمكن تلخيص نتائج دراسات النمو الاقتصادي التي ظهرت عالميا خلال الثلاثين عاما الماضية في عدة أمور ذات أهمية خاصة في مجال رسم السياسات الاقتصادية :

أولا : أن التقدم الفني والمعرفي من أهم عناصر النمو الاقتصادي في العالم بأسره .

ولابد من الإشارة إلى أنه حتى تساهم هذه المعرفة في التطور الاقتصادي كان لابد من امتصاص هذه المعرفة ، وتطبيقها في ثلاثة مجالات : في مجال رأس المال ، حيث تظهر الأفكار الجديدة في صورة مخترعات ، تترجم عاجلا أو آجلا إلى معدات رأسمالية جديدة ، قادرة على إنتاج سلع جديدة تماما ، أو انتاج سلع قديمة بكفاءة أعلى وتكاليف أقل . وفي مجال العمل ، حيث تتطلب الطاقات الانتاجية المتطورة تحسنا في المهارات الموجودة عن طريق التدريب أو مهارات جديدة يفرزها النظام القائم . وفي مجال التنظيم والإدارة ، حيث يربط رجال الأعمال ما يظهر في الأسواق من معدات جديدة بما هو مطلوب في أسواق العمل من مهارات متطورة . ومساهمة المعرفة في النمو الاقتصادي تتوقف على هذه التطبيقات جميعا ، وفي آن واحد .

ثانيا : أن تراكم رأس المال الذي كان مصاحبا لعملية النمو الاقتصادي حدث بطبيعته في صورتين متلازمتين :

زيادة حجم المدخرات (رأسمال نقدي) ،

واستخدام المدخرات المتزايدة في تمويل الإنشاءات والمعدات الرأسمالية والبنية التحتية اللازمة لعملية الانتاج (رأسمال عيني) . بعبارة أخرى ، فإن ازدياد المدخرات كان شرطا ضروريا ، لكنه لم يكن كافيا لتراكم رأس المال على الصعيد الدولي . أما الشرط الكافي فكان في استثمار تلك المدخرات في إنشاء المصانع والموانىء والمطارات ، وتركيب المعدات والآلات ، ومد الطرق والجسور وشبكات الكهرباء ، واقامة المساكن والمدارس والمستشفيات . ولقد حدث هذا في الأقطار العربية منذ الخمسينيات ، لكن معدلات التغير كانت ملحوظة في الأقطار النفطية على الأخص منذ السبعينيات ، حينما قفز حجم المدخرات قفزات كبيرة مع ارتفاع أسعار النفط ، وهو ما أتاح الموارد اللازمة مباشرة لتمويل الاستثمارات الضخمة في البنية التحتية لتلك المجتمعات .

عناصر أساسية تنقصنا

ثالثا : أن كثيرا من الوحدات الانتاجية الكبيرة والحكومات المستنيرة في مختلف البلاد أصبحت تخصص موارد لايستهان بها لتطوير الأبحاث والمعرفة الفنية ، من أجل إفراز مخترعات جديدة ، تساهم في تعميق عملية التنمية الاقتصادية ، وفي زيادة أرباح المساهمين ، سواء عن طريق المنتجات الحديثة أو تحسين أداء الوحدات الانتاجية القائمة وكفاءتها .

هذا الاتجاه ، وإن كان قد بدأ في الشركات الأمريكية ، ودعمته اتفاقات الحكومة الفيدرالية الأمريكية خلال الأربعين سنة الماضية ، إلا أنه قد انتشر بسرعة ، سواء في الشركات العالمية الكبرى ، أو في بعض الحكومات الجادة في دعم الصناعة في بلادها . والجدير بالذكر هنا أن هذا الاتجاه لما يبدأ بعد في الوطن العربي بصورة جادة ، أو على النطاق الذي يستحقه .

رابعا : أن تطوير مهارات العاملين أصبح الشغل الشاغل للحكومات والشركات الكبرى ، فزاد الانفاق على التعليم العام والفني . ولا تكاد أي شركة تخلو من نظم تدريب العاملين فيها على استخدام التقنية الجديدة . صحيح أن حكومات كثيرة قد رفعت شعار الاهتمام بالتعليم ، لكن العبرة في كيفية استخدام نظام التعليم لدفع عجلة التنمية الاقتصادية ، فمجرد زيادة الإنفاق القومي على التعليم بأوجهه المختلفة لايضمن بالضرورة خدمة أهداف التنمية ، أو الإسراع بمعدلات النمو الاقتصادي . وفي وطننا العربي ، على الرغم من ارتفاع الانفاق الحكومي على التعليم ، وعلى الرغم من تخرج أعداد متزايدة من الطلبة ، فإن نظم التعليم عندنا تمر بأزمة ، لعدم قدرتها على الوفاء باحتياجات التنمية الاقتصادية من القوة العاملة والمهارات من ناحية ، وتزايد البطالة المقنعة والسافرة بين صفوف المتعلمين من ناحية أخرى .

خامسا : أنه حتى لو توافرت كل العناصر السابقة ، فقد أوضحت الدراسات العديدة أن التنمية الاقتصادية لاتتم مالم تتوافر الأعداد الكافية والنوعيات المتميزة من المنظمين ورجال الأعمال القادرين على تحمل المخاطر اللازمة لإقامة المشروعات الانتاجية وإدارتها لإشباع حاجات المستهلكين . والمخاطرة هي المحك الأساسي لقدرات رجال الأعمال ، فعن طريقها يتم تصنيفهم وفرزهم إلى قادرين وغير قادرين . غير القادرين يتم استبعادهم بطريقة أو بأخرى عن مجالات الانتاج ، أما القادرون فيتم تصنيف قدراتهم وفرزها وفقا لمقاييس أخرى ، من أهمها المعرفة الفنية والمالية والإنسانية . المعرفة الفنية لا تنحصر في تقنية الإنتاج وحسب ، وإنما تمتد إلى تطورات الأسواق والأذواق . أما المعرفة المالية فتشمل التخطيط المالي والإدارة المالية التي تربط النواحي الفنية بتكاليف المشروعات وإيراداتها ، لضمان تحقيق الأرباح في الأمد

الطويل ، أما المعرفة الإنسانية فتقوم على تنظيم العاملين ، وترتيب الحوافز لهم ، بما يحقق كفاءة إنتاجية عالية للمشروعات . هذه الأنواع المختلفة من المعرفة تحدد في النهاية حجم المشروعات التي يضطلع بها رجال الأعمال ، وفقا لتباين قدراتهم . والجدير بالذكر هنا أنه في وطننا العربي ، نتيجة تدخل الدولة في المجال الإنتاجي ، فإن عامل المخاطرة في كثير من الأحيان أصبح شبه معدوم ، وبالتالي فإن مديري المشروعات الانتاجية ليسوا دائما من خيرة المهيئين للإدارة ، كما أن اختيار مديري المشروعات لايتم ، في معظم الأحيان ، وفقا لقدراتهم المعرفية ، وإنما لاتصالاتهم بالسلطة ، أو لعلاقاتهم العائلية . من هنا نستطيع فهم فشل معظم مشروعات القطاع العام في كثير من الأقطار ، كما نستطيع فهم صعوبات مشروعات القطاع الخاص ، وعدم قدرتها على إشباع حاجات السوق المحلي ، أو على الدخول في السوق العالمي بثقة ونجاح .

وهكذا ، نصل في نهاية المطاف إلى التعرف على بعض العوامل الموضوعية التي تستطيع شرح (لماذا تنمو بعض المجتمعات ، ولماذا يتعثر بعضها الآخر ؟)، ولما كان التعثر هو حظ أقطارنا حتى الآن ، فلا يسعنا إلا أن نحاول أن نفهم بوضوح طبيعة كل عنصر من العناصر الانتاجية التي تؤثر على نمو الاقتصاد العربي . لابد لنا أولا أن نفهم «ديناميكية» عنصر العمل كمًّا ونوعا ، تلك التي تدخل في النمو الاقتصادي بما تعارف الاقتصاديون على تسميته رأس المال البشري .

كما لابد لنا ثانيا أن نفهم قضية تكوين رأس المال بشقيه المالي والعيني ، حتى ندرك لماذا أخطأت بعض النظريات الاقتصادية (النيوكلاسيكية) ، عندما افترضت أن التنمية وتراكم رأس المال مرادفان مرتبطان . كما لابد لنا أخيرا أن ننظر إلى التقدم المعرفي والتقني ومدى مساهمته في النمو الاقتصادي ، من منظور عالمي ، حتى نقتنع بأن التعثر ليس بالضرورة مكتوبا علينا إلى الأبد . لابد لنا أن نحلل ، أو ندقق في هذه القضايا المصيرية ، حتى نتعرف أين نحن ، وأين العالم من حولنا ، حتى نستطيع اللحاق بالركب العالمي . □

- لايحق لأحد تربية أولاده دون إحاطتهم بالكتب لا سيما إذا كان يستطيع شراءها . (هنرى بيتشر)
- أعرف شيئا واحدا هو أن الوحيدين بينكم الذين سيكونون سعداء بالفعل هم أولئك الذين سعوا وعرفوا كيف يخدمون .
(البرت شوايتزر)
- الفن الحقيقي ليس هو أن تقول الشيء الصحيح في الموضع الصحيح فقط ، بل أن تمتنع عن قول الشيء الخطأ في اللحظة الحرجة . (دوروتي نفل)
- إنني أوجس خيفة من ثلاث جرائد ، أكثر مما أوجس ذلك من مائة ألف مقاتل . (نابليون)
- الجمال كفاكهة الصيف ، يسهل الحصول عليها ، ويصعب الاحتفاظ بها . (فرنسيس بيكون)


نابليون

شمائل المغني وآداب الغناء في التراث العربي

بقلم : محمد الأسعد قريعة*

مثلما للموسيقا قواعدها و « سلالمها » ، فإن للمغني وللموسيقي شمائل وصفات ، ولمهنة الغناء آداب وقواعد ، كتب عنها العرب من قبل وضمنوها كتبهم وتراثهم . فهل يلتزم الطرب والغناء السائدان في أيامنا هذه بالقواعد التي جاءت في كتب أسلافنا ؟

قال أحمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف المعروف بتلميذ الكندي : « لم تزل هذه الصناعة ـ صناعة الموسيقا ـ إذا طلبت حق الطلب ، وتبع كل محمول ـ مجهول ـ فيها حتى يحاط بمعرفته ، تتقدم سائر التعاليم عند الفلاسفة بالشرف ، فإنهم كانوا يرون أن علم العدد وعلم الهندسة وعلم النجوم دون علم اللحون في الشرف » .

وللغناء في الإنسان أثر عجيب ، من تصفية الذهن ، وتهدئة الأعصاب ، ودفع السأم ،



* أستاذ التربية الموسيقية بالمعهد الصادقي في القطر العربي التونسي .

وبعث السرور ، بل وله قدرة على دفع بعض الأمراض النفسية والعصبية . ولعل ذلك من الأسباب التي جعلت الغناء يرافق الإنسان ، ويحظى عنده بالعناية والاهتمام منذ تفطن لتأثيره السحري هذا عليه ، في أزمنة موغلة في القدم .

وما كان للغناء أن ينفذ إلى أعماق النفس ، وأن يحرك وشائجها مهما بلغت الألحان من السحر والجمال ، ما لم تتهيأ له الأداة الصالحة ، وهي المغني المُجيد .

فالمغني ركن أساسي ومهم في العمل الموسيقي ، ويتحمل قسطاً كبيراً من المسؤولية في نجاح العمل أو فشله ، خاصة في التقاليد الموسيقية المقامية التي تعتمد في جانب كبير منها على الصوت البشري ، وإمكانياته في الأداء والتعبير . وكم من لحن ثري جيد مرّ بنا مرّ الكرام ، دون أن يترك فينا أثراً يذكر ، وكم من لحن ترنّمنا به ورددناه ، على بساطة فيه ، والفضل في ذلك يرجع الى المغني الذي أعطاه من روحه ومن ذوقه ما جعل النفوس تتعلق به وتطرب له .

وقد وضع بعض أسلافنا من العرب ، ممن اهتموا بالكتابة عن الفن الموسيقي ، جملة من الشروط والشمائل الواجب توافرها عند المغني ، حتى يقترب من الكمال في هذه الصناعة التي تدعو ـ حسب رأي ابن خلدون ـ « إلى مخالطة الملوك والأعاظم في خلواتهم ، ومجالس أنسهم ، ولها بذلك شرف ليس لغيرها » . ونسوق من بين هؤلاء الحسن بن أحمد علي الكاتب ، (عاش في القرن السادس للهجرة) ، وأحمد بن الطيب العلمي المغربي ، صاحب كتاب « الأنيس المطرب » .

وتنقسم هذه الشروط والشمائل إلى ثلاثة أقسام : أولها الشمائل الخِلْقية ، وثانيها المهارات الفنية ، وثالثها الصفات الذاتية . سنتناولها فيما يلي واحداً واحداً بشيء من الإيجاز .

الشمائل الخِلْقية :

لعل أول ما يجب أن يتصف به المغني حسن الصوت وجماله ، وهو من مستلزمات الغناء العربي ، وبدونه يستحيل على المغني أداء الألحان بطريقة يطرب لها السامع . وقد ميز العرب الأصوات الجميلة تمييزاً دقيقاً ، وعدوها نعمة سامية ، يختص بها بعض الناس دون بعضهم الآخر . غير أن الصوت ـ وشأنه في ذلك شأن كل ما يتصل بجسم الإنسان ـ يسير إلى الضعف وذهاب الرونق والحُسن ، ما لم يتعهده صاحبه بالعناية اللازمة ، والرعاية المتواصلة ، ومن ذلك مثلاً النوم الكافي ، والرياضة المعتدلة ، والهواء النقي ، وكثرة الغناء ، والتمارين على الغناء ، والأكل الصحي ، واجتناب السهر الطويل ، واجتناب ترك الغناء ، وعدم الغناء بطبقة تعلو طبقة الصوت الطبيعية ، والابتعاد عن الخمر والتدخين والماء المثلج .

وقد أخبرنا التاريخ أن زرياب كان يختبر أصوات التلاميذ المراد تعليمهم ، متبعاً في ذلك طريقة علمية مضبوطة دقيقة ، وكان لا يقبل إلا أصحاب الصوت الندي الصافي .

والصفة الخِلْقية الثانية الواجب توافرها عند المغني ، سلامة النطق من كل عيب ظاهر ، إلى جانب القدرة على إظهار الحروف عامة ، وحروف الصفير خاصة ، وهي : « السين ، والصاد ، والزاي ، فإنها إذا ظهرت وخرجت صافية زادت في بهاء الصوت وحُسنه جداً ، ووقعت موقعاً مستحباً مستلذاً » .



المهـــارة الفنيـــة :

تحتاج كـل صناعـة إلى جملة من المهـارات والتقنيات التي يتحتم إتقانها والإحاطة بها ، بما يضمن النجاح والتفوق . على أن التفوق يحتاج فيها يحتاج إلى روح الخلق والابتكـار ، وموهبـة الخيال الواسع والذوق الرفيع ، وهي أشيـاء لا تتأتى لكل الناس ، ولهم فيها درجات مختلفة

والغناء من الصنائـع التي تحتـاج إلى كثير من المهـارات والخبرات التي تكتسب بمـرور السنين الطوال ، وبكثير من الجهد والعناء والصبر ، الى جانب وجود الدافع الذاتي القوي ، والاستعداد الفطري لممارسة هذه الصناعة . ولعـل أول ما يحتاجه المغني معرفة أسرار الموسيقا ودقائقها ، من حيث أنها علم ينقسم إلى علمين ، أولهما : علم التأليف الذي يبحث في كل ما يتصل بالأنغام ، من حيث حدوثها ونسبها وائتلافهـا وتنافـرها ، وتـركيباتهـا وأنمـاطهـا التي تعـرف اليـوم بـاسم (الطبوع والمقامات) . ولا شك في أن اكتساب مهـارة العزف عـلى إحـدى الآلات اللحنيـة ، وبخاصة آلة العود ، يساعد كثيـراً ، بل ويعـد ضرورياً للإحاطة بعلم التأليف . وقلّ ما نجد في تاريخ الغناء العربي القديم والمتوسط مغنياً لا يجيد العـزف على آلـة العود ، وإن وجـد فلا يسمى مغنياً ، بل كان يطلق عليه اسم « الشادي » .

والعلم الثاني علم الإيقاع الذي يعرّفـه ابن سينا بأنه « تقدير مالزمان النقـرات » . ويعرفـه الفارابي بأنه « النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير » ، فيحتاج الإحساس به إلى طبع سليم مستقيم . غـير أن معـرفـة طبيعـة الإيقـاعـات والنسب الـواقعة بين نقـراتهـا ومـواقـع القـوة والضعف فيها تساعد المغني على حسن التصرف في الحليات والزخارف اللحنية ، وحسن تصريف الهواء المدفـوع إلى خـارج الفم والأنف أثنـاء الغناء ، بما يضمن الأداء السليم من كل تقطع يخرج به عن القصد والاعتدال .

ويحسن بنا ونحن نتحدث عن المهارات الفنية للمغني ، أن نورد نصاً روي عن ابن سريج مغني مكة (٦٣٤ - ٧٢٦م) الذي قال عنه معبـد ، مغني المدينة المتوفي (٧٤٣م) على تنـافس كان بينهـا : « لو جـاء في الغناء قـرآن مـا جـاء إلا هكذا » . تقول الرواية : « قـال مالـك بن أبي السمح : سألت ابن سريج عن قـول الناس : فلان يصيب وفلان يخطيء ، وفلان يحسن وفلان يسيء ، فقال : المصيب المحسن من المغنين هو الـذي يُشْبِع الألحـان ويملأ الأنفـاس ، ويعدل الأوزان ، ويفخّم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الإعـراب ، ويستـوفي النغم الـطوال ، ويحسن مقاطيع النغم القصار ، ويصيب أجناس الإيقاع ، ويختلس مواقع النبرات ، ويستوفي ما يشـاكلهـا في الضـرب من النقـرات » (كتـاب الأغاني ، ١ : ٣١٥) .

وينتهي بنا المطاف في القسم الثاني إلى الحديث عن الزخارف الصوتية التي يحلي بها المغني غناءه ، ولا غنى له عنها إذا رام الإجادة ، وبعث الطرب في النفـوس ، والـزخـارف بنـوعيهـا ، اللحني والإيقاعي تعد عنصراً مهماً وثابتاً في كل التقاليد الموسيقية المنتمية إلى العائلة المقـامية التي تتميـز بتحـركهـا وفق خط لحني أفقي ، بـل إن دور الزخارف اللحنية يتجاوز أحياناً مجرد التحلية إلى إعطاء الطابع المميز لمقام ما ، أو للون موسيقي معين . وقد تفطن العرب المتقدمون لهذه الخاصية وأولوها ما تستحق من الاهتمام والعناية . فنرى زريـاب يقسم عمله في تعليم الغناء إلى ثـلاث مراحل ، فيبدأ التلميذ بإلقاء القصيد أو الموشح بمصاحبة دفٍ ، حتى يتعلم مختلف مواقع النَّبر في الإيقاع ، ثم يقوم الأستاذ بتعليم اللحن بأبسط أشكاله ، وفي مرحلة ثالثة - وهي الأخيرة - يقع إتقـان الـزائـدة اللحنيـة ؛ أي الحليـات والزخارف . وهـذا ما يـدلنا عـلى أهمية إتقان الزخارف في الغنـاء العربي ، وقـد اهتم بعض المؤلفين الموسيقيين العرب بإعطاء اسم لكل نوع

من الزخارف ،و المواضع المُعينة ، نورد فيها يلي بعضها ، وهي :
النبرات ، والشذرات ، والصرخات ، والنهدات ، والضجرات ، والزجرات ، والتدريج ، والتغليفة ، والتفخيم ، والتأوه ، والنوح ، والاستغاثة ، والقهقهة ، والشهقات ، والهمزة .

الصفات الذاتية :

لئن كان المغني يسعى في العصور المتقدمة إلى الاتصاف بجملة من الشمائل والمناقب ، تؤهله لمجالسة الملوك والأمراء والأعيان ، فهو اليوم مطالب بالجد في اكتساب الكثير منها ، لأنه ـ مع غزو وسائل الإعلام المرئية والمسموعة كل البيوت ـ أصبح محط أنظار الملايين ، وأصبح في كثير من الأحيان قدوة لملايين الشباب في لباسه ومظاهر حياته العامة ، بل حتى الخاصة ، وكم من تسريحة شعر أو « موضة » غزت العالم تقليداً لهذا المغني أو لتلك المغنية . ولم تهمل الكتب التراثية هذا الجانب أيضاً ، وأولته ما يستحق من الاهتمام والاعتناء ، بل وتشددت في المزايا الذاتية والصفات النفسية والأخلاقية التي يتحتم على المغني الاتصاف بها ، حتى يحافظ على نبل هذه الصناعة وشرفها .

ومن ذلك مثلاً ما أورده محمد بن الطيب العلمي المغربي في كتابه « الأنيس المطرب » ، إذ يقول : « ينبغي أن يكون المغني حسن الخلق ، جميل الخُلق ، له حلاوة ، وعليه طلاوة ، لطيف الإشارة ، مستعذب العبارة ، حافظاً للمُلح والأخبار والنوادر والأشعار ، عالماً بمعاني الكلام ، عارفاً بما يليق بكل مقام ، غير عتاب ولا نمّام ، كتوما للأسرار ، راغباً في الأخيار وعن الأشرار ، وجوارحه سالمة من العيوب ، وشمائله تميل القلوب ، صنعته معجبة ، وأحاديثه مطربة » .

ويقول الحسن : « يستحب من المغني أن لا يلوي شدقه ، ولا يعوج عنقه ، ولا ينحني ، ولا يتقاعس ، ولا يحرك بدنه أجمع ، ولا يشنج عينيه ، ولا يتحرك البتة من جهة إلى جهة . وأحسن الإشارة ما كانت بالعين والحاجب والكف والمناكب والرأس قليلاً » .

ونختم هذا القسم الثالث بمقتطف من فقرة أوردها الحاج إدريس بن جلون المغربي ، في مقدمة « كتاب الدروس الأولية في الموسيقا الأندلسية » ، تحدث فيها عن الصفات التي يجمل بالمغني التحلي بها ، يقول : « يجب على المنشد التمسك بالوقار والحشمة ، غير أن ذلك لا يمنع المغني من رسم معاني الكلمات على صفحة وجهه ، فيكون مبتسماً في المكان الذي يعبر عن الفرح والسرور ، متأثراً في محل الألم والأسى ، منشرحاً عند وصف الطبيعة وإقبالها والتلذذ بجمالها ، منقبضاً ساعة توديعها ، وعند ذكر الفراق والبعاد . وهكذا من المعاني وما تعبر عنها هذه الأنغام » .

ويحسن بنا ونحن نتنهي من هذا المقال أن نورد تتمة النص الذي كنّا استهللنا به حديثنا هذا ، لانطباقه على الكثير من أحوال الغناء والمغنين عندنا في هذه الأيام . يواصل ابن الطيب السرخسي قائلاً : « ولما تعلقّ باسم هذه الصناعة دون معناها ، سقّاط العوام فادعوا منها ما لا يحسنون، واكتسبوا بها من قوم لا يفهمون ، وضعها ذلك عند من عدم التحصيل ، فأما المُحصلون ، فإنهم لم يروا أن يُلزموا من أصاب عَتْب من أخطأ ولا من علم نقص من جهل ، بل وفّوا الصناعة حقها ، وعرفوا لها قدرها ، ونظروا إلى علمها بعين التعظيم والتكرمة ، وقصدوا من صنعها بالبر والمواساة » . □

---

* حب الجمال هو : حب لكل شيء في أسمى الصور .
(عباس محمود العقاد)

أرقام

بقلم : محمود المراغي

صناعة الحرب

يتفق كثيرون حول أن العالم يدخل عصراً جديداً ، تتراجع فيه فكرة المواجهة ، إنه عصر من طراز خاص ، يزداد فيه الاعتماد على العقل ، حتى باتت التقنية المتقدمة والمعلومات المبرمجة أغلى وأهم سلعة في التداول ، بل أصبحت في الوقت نفسه مبرراً للتواصل ، « والاعتماد المتبادل » بين الدول ، كما أصبحت عاملاً يساعد على تقليل أهمية الحدود السياسية ، كحدود فاصلة ، تحتضن الأمة والشعب الواحد الذي يعتمد على الذات .

إنه عالم جديد ، أو هكذا تبدو بوادره الآن ، وهو عالم تأخذ فيه القوة معنى آخر ، غير امتلاك أكبر « ترسانة » للسلاح ، وأكبر حجم من الجيوش .

السؤال : قبل أن تمضي جهود خفض التسلح ، وخفض التوتر ، كيف كانت هذه الساحة التي ترتكز على فكرة دمار الآخرين ، والتفوق عن طريق تحطيمهم ؟

الأرقام الأخيرة للبنك الدولي تقدم الإجابة .

من يدفع أكثر ؟

لنأخذ عاما يسبق سنوات التحول ، ولنقل عام ١٩٨٥ .

في ذلك العام القريب أنفق العالم (٩٠٠) مليار دولار على الأغراض العسكرية ، بما يساوي ٦٪ من الإنفاق العام .

وبمعنى آخر فإن بين كل ستة عشر دولاراً تنفقها الدول دولاراً واحداً لأغراض الدفاع ، وخمسة عشر دولاراً لكل أغراض الحياة الأخرى ، ولم تكن هذه النسبة واحدة في كل مناطق العالم .

كان الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية خارج دائرة الحصر ، فحتى ذلك التاريخ (١٩٨٥) لم يكن الاتحاد السوفيتي قد أذاع أرقام إنفاقه العسكري (وهو ما تم أخيراً) . وحتى ذلك التاريخ وبالأخذ في الحسبان فترة زمنية مناسبة (١٩٧٤ ـ ١٩٨٥) كانت الدول الصناعية بطبيعة الحال تستأثر بأكبر حجم من الإنفاق العسكري ، وكانت الولايات المتحدة تتصدر المجموعة ، بينما كانت الدول النامية التي تنفق قدراً أقل تسجل نسبة أعلى من الإنفاق ، بالقياس لناتجها القومي .

بالأرقام كانت أمريكا اللاتينية استثناء يلفت النظر ، فإنفاقها العسكري لم يتجاوز (١,٥٪) من ناتجها القومي ، بينما سجلت منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا أعلى معدل ، حيث يتراوح الإنفاق على الأغراض العسكرية فيهما بين (١١٪) و (١٤٪) من الناتج القومي ، خلال

سنوات (٧٤ ـ ١٩٨٥) ، وكانت النسبة في شرق آسيا (٧٪) وفي جنوبها (٤٪) .

وبمقياس آخر هو : انفاق الحكومة المركزية ، فإننا نجد أن النفقات العسكرية تصل إلى ربع الميزانية في الولايات المتحدة ، وتهبط إلى ١٨٪ في بعض الأقطار العربية ، كمصر ، بينما ترتفع إلى ثلث الميزانية في بعض الأقطار التي تواجه أزمات أمنية .

في كل الأحوال كانت ميزانية الدفاع عبئا غير قليل ، ليس بالنسبة للإنفاق العام فقط ، بل بالنسبة للعبء على موازين المدفوعات ، وحصيلة العملة الأجنبية أيضاً . ووفقاً للأرقام المتاحة فإن (٥٪) من واردات الدول النامية أسلحة .

آثار مختلفة :

يختلف رجال الاقتصاد حول أثر الإنفاق العسكري ، فبعضهم يعتقد أنه أثر إيجابي ، فمن خلال الاستعداد العسكري تشهد البلدان تطوراً تقنياً ضرورياً ، ويجري تدريب الأفراد وتزويدهم بالمهارات ، بل وتتوافر فرص للعمل ، وتدفع الصناعات العسكرية الصناعة المدنية وراءها .

على الجانب الآخر ، يعتقد بعضهم أن الأثر سلبي ، فالبديل للإنفاق العسكري المرتفع مشروعات ضرورية للتنمية . ومن خلال دراسة حول حقبتي الخمسينيات والستينيات في (٦٩) بلداً ، اتضح أن زيادة الإنفاق العسكري تأتي على حساب النمو الاقتصادي والإنتاج الزراعي ، وتزداد وطأة السلبيات ، وتقل الإيجابيات ، بالنسبة للدول النامية ، فالإنفاق لايتجه لتصنيع وتقنية ، بل يتجه ، في معظم الأحيان ، لبندين فقط : رواتب العسكر ، واستيراد السلاح .

هل تتغير هذه الصورة تحت تأثير مايجري الآن ؟ وهل ينكمش الإنفاق العسكري ، وتتجه الجهود للتنمية والرفاهية ؟

الواضح أن ذلك هو الهدف بالنسبة للدول المتقدمة ، ولكن ماذا عن الدول النامية ؟

يرتبط الأمر حسب ظننا بثلاثة عوامل :

الأول : القدرة الاقتصادية ، حيث تراكمت الديون ، وتفاقمت أزمات الغذاء ، وزاد الاعتماد على الخارج ، وأصبح ضغط الإنفاق وإعادة توجيه الموارد أمرين ضروريين في معظم بلدان العالم الثالث .

الثاني : مدى الحاجة ، وأي قدر من التوتر والأزمات يدفع لمزيد من التسلح أو لمزيد من الاسترخاء .

الثالث : العامل الخارجي ، فعلى احتكارات السلاح الآن أن تتخذ قراراً : هل توجه جهودها لصناعات أخرى ، أم تتجه لأسواق الدول النامية ، فتصدر لها الأزمات ، ومن بعدها السلاح ؟

وقد يقول بعض : إن العديد من مناطق التوتر يشهد الآن انفراجاً وتراجعاً للأزمة . والسؤال : أي المناطق وأي الأزمات ؟ هل كل المناطق ، وكل الأزمات ، أم تلك المناطق التي تشهد مواجهة أو خطر مواجهة بين العملاقين ؟

إن روح « التعاون بدلا من المجابهة » ، و « التنمية بدلاً من التسلح » ، تنتشر الآن ، وإذا كانت البداية من الشمال ، فإن الأمل أن يمتد ذلك الى الجنوب ، فليست دولة قوية تلك التي تملك الصواريخ ولاتملك القمح اللازم للرغيف ، وليست أمة رشيدة تلك التي تستطيع أن تحل مشاكلها بالسياسة فتلجأ الى الحرب .

إن القرن الواحد والعشرين لابد أن يكون شيئاً آخر . هكذا علمتنا تجربة القرن العشرين التي شهدت أكبر قدر من الحروب ، وأكبر قدر من الدمار ، وأوسع تدمير للموارد . □



العادات العربية هل لها علاقة بأمراض المفاصل ؟

بقلم : الدكتور زياد محمد الزعبي *

اكتسح دول العالم الثالث ـ نتيجة لانفتاحها على الدول الغربية ـ كثير من سلوكيات الحياة ، وعاداتها اليومية ، منها استبدال الأرض بالمقاعد الوثيرة عند الجلوس للراحة أو تناول الطعام ، وممارسة العمل الوظيفي ويرى بعض أطباء العظام أن هذا التبديل له انعكاسات صحية سلبية ـ كتآكل المفاصل ـ تعاني منها الدول الغربية ، وينصحون بالعودة للعادات القديمة فهل هذا ممكن ؟!

في مارس عام ١٩٨٩ ، قامت الأميرة ديانا وزوجها ، ولي العهد البريطاني ، الأمير تشارلز ، بزيارة إلى منطقة الخليج العربي ، في الوقت الذي كان فيه الانجليز ـ بصفة عامة ـ يتندرون على أميرتهم الجميلة التي كانوا يرونها من خلال التلفاز البريطاني ، حيث كانت تضطر للجلوس على الأرض مجاملة لأهل المنطقة ، وكانت هناك أيضا تعليقات يومية ساخرة ، تطلقها الصحافة الشعبية الانجليزية في ذلك الوقت كان حوار مختلف يدور في أحد المعاهد

* جراح عظام وباحث في الطب بمستشفى أبوظبي المركزي

العلمية المتخصصة في لندن ، بين باحث عربي ومجموعة من كبار جراحي العظام اللندنيين وأساتذة علم الأمراض وميكانيكا المفاصل ، حول ظاهرة انتشار مرض تآكل مفصل الورك عند سكان أوربا وأمريكا من البيض ، وندرته أو انعدامه في المناطق الأخرى من العالم ، ومنها وطننا العربي.

وظيفة مفصل الورك

ومفصل الورك يربط بين رأس عظمة الفخذ - وهي عظمة كروية الشكل تقريبا - وبين الحق ، وهو نقرة في عظام الحوض ، ويقوم هذا المفصل بوظيفتين رئيسيتين -

الأولى حمل الجسم أثناء الوقوف والحركة ، والثانية تحريك الرجلين في جميع الاتجاهات ولكي يستطيع هذا المفصل القيام بهاتين الوظيفتين لابد له من أن يتصف بصفات خاصة ، أولها تشكله كدائرة عظمية وسط نقرة مجوفة ، قطرها أوسع بقليل من قطر الدائرة العظمية وتأتي هذه الصفات الأربطة القوية التي تحيط بهذا المفصل ، وتقوي الجراب المحيط به ، مما يمنع خلعه وتاليتها تلك العضلات القوية التي نراها ممتدة من الحوض إلى عظم الفخذ من جميع جوانب هذا المفصل ، وحين انقباضها يتحرك هذا المفصل في الاتجاه الذي تنقبض فيه هذه العضلات أو تنبسط ، واتساع هذه الحركات يختلف من شخص لآخر ، ومن الطفولة إلى الكهولة ، حيث تتناقص هذه الحركات مع مرور الزمن وتقدم العمر ، وذلك بسبب تيبّس العضلات ، وهدم الغضروف المغطي للعظم وعلاوة على القدرة على الحركة التي يتمتع بها هذا المفصل ، والمرونة العالية التي يمتاز بها ، فإنه يعد من أعقد المفاصل من حيث ميكانيكية عمله ، والقوى المتحكمة فيه وإلى وقت قريب كانت معرفة القوى المتحكمة في عمل هذا المفصل وآلية حركتها من الموضوعات الشائكة في جراحة العظام ، وظلت هذه المعرفة **مبهمة** ، حتى بدأ جراحو العظام ، وبمساعدة هندسية كبيرة ، يفكرون في استعمال المفاصل الصناعية البديلة لهذا المفصل في حالة تلفه ومن أسباب تلف هذا المفصل الالتهاب الجرثومي الذي قد يصيبه ، ويسبب تدمير الغضروف الذي يغطي طرفي العظام في أي مفصل وهذا الغضروف يكون ناعم الملمس ليقوم بتسهيل حركة المفصل كما أن الخلع الوركي الولادي ، والكسور ، قد تؤدي بعد فترة طويلة إلى النتيجة نفسها

إن الغضروف الذي يبطن العظم عند المفصل هو من أهم عوامل محافظة المفصل على حيويته ويتراوح سمكه بين ملليمتر واحد وأربعة ملليمترات ، وهو على درجة عالية من النعومة ، وله قابلية غير محظورة للانضغاط ، لأن ٧٥٪ من مكوناته عند سن الطفولة ماء ، ولكن هذه الكمية من الماء تتناقص مع تقدم السن ، مما يؤدي إلى هبوط قدرة هذا المفصل على الانضغاط

وحتى نحافظ على ميزات هذا الغضروف لابد من دراسة كيفية بقائه حيا ، فمن المعروف أن تغذية النسيج الغضروفي تختلف عن بقية الأنسجة ، فهو لا يتغذى عن طريق الدم ، كما هو الحال في العضلات أو العظام أو الجلد ، إنما يتغذى بطريقتين ، الأولى عن طريق ارتشاح الموادالغذائية والاكسجين من الأنسجة المجاورة له ، مثل العظام ، والثانية عن طريق السائل اللزج الذي يتكون في المفصل ، ويساعد على الحركة وكي يستطيع هذا السائل اللزج ، المليء بالمواد الغذائية والاكسجين ، أن يغذي الغضروف ، فلا بد له من أن يصل إلى كل جزء منه ، وهذه الطريقة على درجة كبيرة من الأهمية لأنها تلعب دورا « كبيرا » في تغذية المفصل عند بعض الناس ، ولا تقوم بهذا الدور عند آخرين ، وهذا ما نعتقد أنه من أسباب التلف الذي يصيب بعض المفاصل ، إذ أن مفاصلهم لاتتغذى جيدا خلال سني عمرهم الطويلة ، وينتهي الحال إلى نشوء حالة الالتهاب العظمي الغضروفي الأولي ، أي دون سبب أولي معروف

وهذه الحالة المرضية هي التي تنتشر في أوربا وأمريكا وغير موجودة عندنا .

الالتهاب العظمي الغضروفي :

هو ذاك التغيير الذي يحدث في الغضروف المبطن للمفصل ، ويؤدي إلى خشونته أولا ، ثم تآكله ، حتى يصل إلى كشف العظم الذي يقع تحت هذا الغضروف ، وتعريته ، وهنا تبدأ مرحلة الألم والصعوبة في الحركة . ولقد صنف هذا المرض على أنه التهاب ، وإن كان لا تنطبق عليه مواصفات الالتهاب الجرثومي أو الروماتيزمي ، وما زالت البحوث والآراء تتوالى لمعرفة الأسباب ، ولترجيح مسبّب له على بقية الأسباب ، لكن المؤكد أن التلف الذي يصيب هذا المفصل أو غيره يختلف عن حالة التدمير الناتجة عن مرض الروماتويد . والعلماء أكثر ميلا « للتأكيد » بأن هذه الحالة إنما هي اهتراء ميكانيكي للغضروف الذي يغلف أطراف العظام عند المفاصل ، وما التغيرات الأخرى إلا نتائج جانبية لهذا الاهتراء .

وتقول البحوث الإحصائية : إن ٥٪ من البيض الذين يسكنون أمريكا وأوربا يصابون بهذا الالتهاب العظمي الغضروفي في سن الخمسين ، وأن هذه النسبة تزداد إلى ٤٠٪ في سن الثمانين .

وتؤكد الأبحاث والدراسات الإحصائية التي أجريت على سكان المناطق الآسيوية والافريقية أن فرصة حدوث الالتهاب العظمي الغضروفي في مفصل الورك نادرة جدا . وكذلك أكدت بعض البحوث الحديثة في الوطن العربي نتائج مشابهة .

ولدراسة هذه الظاهرة ، واستقراء نتائج البحوث ، والفوارق بينها ، ومحاولة إيجاد الأسباب ، تبين أن العرب بشكل خاص ، والآسيويين والأفارقة بشكل عام ، يستعملون ـ أو على الأقل كانوا يستعملون ـ مفاصل الورك بشكل مختلف عما يستعمله الأوربيون والأمريكيون .

الجلوس على الأرض يحمي

كان العربي الذي وصل الثمانينيات من عمره يمشي لقضاء حاجته ، ويركب الخيل والإبل ، وكان إذا جلس يجلس على الأرض ساعات طويلة من النهار والليل . أما الإنسان الأوربي من الجيل نفسه ، فإنه يمشي ، ويركض ، ويركب السيارة أو الحافلة ، وإذا جلس يجلس على مقعد ، سواء للراحة أو للطعام .

وبقليل من المقارنة ندرك أن معظم اللحظات الحياتية اليومية بين العربي والأوربي متشابهة ، ولكن الاختلاف يبرز عند الجلوس في أوقات الراحة أو تناول الطعام ، فالعرب كانوا يجلسون على الأرض ، والأوربيون على الكراسي . فهل لعب هذا الفارق دورا في وقاية العربي من الحالة « المرضية » المسماة الالتهاب العظمي الغضروفي ؟

للإجابة عن هذا السؤال حاولتُ دراسة جميع الأسباب المؤكدة والاحتمالية التي تؤدي لحدوث مثل هذه الحالة ، وتوصلت إلى أنه لاخلاف جوهري في هذه الأسباب بين العرب والغربيين ، وبقي السبب الميكانيكي ، حيث تتواصل حركة المفصل طوال اليوم ، خاصة عند الجلوس على الأرض ، هذه العادة العربية الأصيلة التي نقضي في ممارستها ساعات طويلة من النهار والليل ، وبخاصة عند البدو والفلاحين الذين ليس لديهم صالونات ومقاعد وثيرة .

وعند دراسة هذا السبب تبين وجود الاختلاف .

فالجلوس على الأرض يؤدي إلى ثني المفصل حتى النهاية ، وحتى تصل الركبة إلى الصدر ، وفي الجلسة التي سميت « التربيعة » تنفرج الرجلين . وإذا تخيلنا شكل المفصل نجد أن رأس عظمة الفخذ المستديرة قد دارت ١٨٠ درجة . أما الجلسة المفضلة لتناول الطعام فهي ثني إحدى الرجلين بشكل كامل ، والأخرى بشكل جزئي . ولقد ثبت بالتحليل الميكانيكي لهذه الحركات والأوضاع أن مفصل الورك يمكث



المجالس العربية في البيوت أوما يسمى في منطقة الخليج « بالديوانية »

في أوصاع محتلفة مدة ساعات ، أى أن كل حريئة مں حريئات رأس عطمة الفحد تلامس كل حريئه مں حريئات الممره

هدا الدوراں يىتح عىه ما يلى أولا اسمرارية تحرك السائل المعدي للممصل ، وبالتالي إمكانية وصوله إلى حميع أحراء العصاريف التي تعطي عطام المفصل وثانيا اسمرارية ليونة المفصل مع تقدم السں ولإثبات النتيحة الأولى درست بالتعاوں مع متحصصيں في ميكانيكية المفاصل هده الحركات ، ودور السائل في إطعام العصروف وتعديته ، ووصلنا إلى نتيحة حاسمة ، هي أن لهده الحركات والأوصاع دورا كبيرا في المحافطة على حيوية العصروف المعطي للممصل أما النتيحة الثانية ملقد كان إثباتها أسهل حيث درسنا قدرة العربي المسں على تحريك ممصل الورك ووحدنا أنها تموق قدرة الأوربي بكثير ، لكنها تتشابه مع ما وحده أحد الباحثيں في هونج كونج عند الصينيين

وللرياضة القديمة دور

وإدا كانت العادات العربية في الحلوس والحركة والرياضة ـ ركوب الحيل والإبل ـ وأداء الواحبات الدينية للمسلم تساعد على انعدام ـ أو ندرة حدوث ـ تلف ممصل الورك ، فما حال الأحيال العربية الشابة التي ابتعدت عں ممارسة هده العادات ، فاحتفت بالتالي المحالس العربيه مں البيوت ، بعد أن استبدلوها ـ تقليدا للأوربا ، بالمقاعد الوثيرة ، وبعد أن فرصت الحياة الوطيفية الحلوس على كرسي المكتب ساعات طويلة ، وبعد أن دحلت السيارة وسيلة للركوب ، وكرة القدم رياضة بديلة لركوب الحيل ؟ أعتقد أننا سنبدأ في مواحهة هده المشكلة بعد أعوام ، حيں يصل حيل الشباب الحالي إلى سں الشيحوحة

وقد يعترص بعص الباحثيں في طب العطام بأن الحلوس على الأرص يسبب تلف ممصل الركبة ، وفي عمر أقل بكثير مما يحدث عند الأوربيين ، ويكون بدلك حافطنا على ممصل ودمرنا الآخر ولكں الدراسات أثبتت أن التلف في ممصل الركبة عندنا لاتزيد نسبته عں نسبة المصابيں به في الدول المتقدمة ، كما أن الإصابة بالتلف عندنا لاتؤدي إلى النتيحة الأكلينيكية نفسها ، وأن الألم عند مرصانا أقل ، ومستوى حركة المفصل ودرحتها يقياں أفصل ، والسبب هو « الحلوس على الأرص أيصا » □

حكايات طبية

عندما بدأت أتذوق الجمال في الطب

بقلم : الدكتور غسان حتاحت *

يقول برتراند راسل : « في علم الرياضيات نستشعر ذلك الجمال البارد الذي نحس به عندما نتأمل تمثالا رائعا من الرخام » .

ولا أذيع سرا إذا قلت إنني خلال سني الدراسة لم يسعدني الحظ بتذوق هذا الجمال في علم الرياضيات وإن كنت أحسست كثيرا ببرودته . ولا عجب في ذلك ، فأذواق الناس متباينة مختلفة .

وليس اختلافي في تقدير الجمال مع برتراند راسل فقط ، بل إن هذا الاختلاف كان أكبر بكثير مع بعض أساتذتي في كلية الطب .

من هؤلاء أذكر أستاذا كان يدرسنا بعض الدروس السريرية ، أي أنه كان يأتي بمريض إلى قاعة الدرس ، ثم يشرح لنا عن حالته أثناء وجوده . وكالعادة ينتقي الأساتذة المرضى الوصفيين الذين تبدو عليهم أعراض المرض ، وعلاماته بصورة واضحة جلية ، وكان هذا الأستاذ يبدأ درسه بجملة لا أذكرها الآن إلا ويرتفع ضغط الدم لدى (في تلك الأيام لم يكن لدي ارتفاع في الضغط) ، إذ كان يستهل الدرس بقوله : إن حالة هذا المريض جميلة جدا ، بل هي في منتهى الجمال ، وننظر إلى المريض البائس ، وإلى القيح والصديد اللذين يغطيان موضع آفته ، ونعجز ـ ربما عن بلادة في الإحساس لدينا ـ عن تذوق الجمال في ذلك ، أو في حالته ككل .

لاشك أن مريضنا كان أشد عجزا منا عن تذوق ذلك الجمال أيضا .



ولا بأس أن تكون حالة المريض وصفية كما تذكرها الكتب ، لكن أن نصفها بالجمال وهي جد قبيحة فذلك أمر آخر . وحتى لو كانت جميلة حقا فليس ذلك بالكلام الذي يقال أمام المريض المسكين ، فما من أحد مريضا أو غير مريض ، يرضى بأن يقال إن مصيبته جميلة .

وأستاذ آخر كان يدرسنا عن « الحالات الجميلة » في العيادة الخارجية للمستشفى ، وجاءه أحد المرضى ، وكان شيخا عجوزا مصابا بضخامة البروستات التي تؤدي إلى صعوبة شديدة في التبول ، وتقطع فيه ، وطلب الأستاذ من هذا الشيخ العجوز أن يبول أمام الموجودين ، وهم عشرات من طلاب الطب وطالباته . وشعر المريض بالحرج الشديد ، وهو في أحسن الظروف لايستطيع أن يبول بيسر وسهولة ، فكيف به أمام جمع غير قليل من طلاب الطب وطالباته ؟ وتحامل على نفسه ، وحاول ، وعجز عن ذلك ، ثم رفض أن يتابع الفحص وخرج حزينا كسيراً .

لست أدرى أي حرص على العلم دفع أستاذنا إلى هذا الطلب الغريب ، نحن نصدق المريض إذ يصف شكواه ونصدق الأستاذ عندما يحكي عن طريقة التبول لدى المصابين بتلك الحالة ، ولكن أن نجبر إنسانا على أن يرينا « جمال » الحالة المرضية لديه أمام جمع كبير ، فتلك ـ فيما أعتقد ـ قسوة وأي قسوة .

من هنا ترون عجزي ـ حتى ذلك الوقت ـ عن تقدير الجمال في الطب ، لكن الشيء بالشيء يذكر . أحد أساتذتنا في أميركا ـ وهو كبير القدر مشهور الاسم ـ كان يطوف في جولة على الأطفال المرضى ، محاطا بمايشبه الجناحين الكبيرين من المقيمين والأطباء وطلاب الطب والممرضات ، ورأى طفلا صغيرا يبكي في سريره ـ ربما لأنه بلل ثيابه ـ فما كان من هذا الأستاذ جليل القدر إلا أن رفع الطفل الباكي إلى صدره ، وهو يرى ثيابه المتسخة ، ويشم الرائحة الكريهة المزعجة ، وأخذ يربت على ظهر الطفل ويناغيه ويداعبه ، حتى سكت الطفل ، غير مكترث بأن ثيابه ـ ثياب الأستاذ ـ غدت متسخة ، تنبعث منها الرائحة الكريهة .



وإذ أذكر تلك الحادثة بعد سنوات غير قليلة ،لا أشك أن كل الموجودين آنذاك شعروا بالاحترام المتزايد والاكبار لهذا الأستاذ الكبير .

وأعتقد أنني منذ تلك اللحظة بدأت أتذوق الجمال الحقيقي في الطب ، وأقدر اللمسة الانسانية فيه ، وذلك في الحقيقة هو منتهى الجمال ، الجمال الدافىء الحي . □

مواقف إنسانية

ليلة الأسى !

بقلم : الدكتور عبد الوهاب حومد

عندما تقوم الحروب وينتشر الدمار فإن أشياء كثيرة تتقوض وتنهار . إرادة الخير في الإنسان وحدها يمكن أن تقوم من بين الأنقاض ، لتقاوم وتبشر بقيم جديدة ، ووحدها يمكن أن تنشر رايتها بين أنقاض الخراب ، لتبشر بعالم آخر .

كانت تلك الليلة هي الثالثة والعشرين من حزيران عام ١٩٤٠ ، وقد مضى عليها الآن خمسون عاما ، ولكن كل خلية من خلايا جسدي لا تزال تحياها ، كلما عادت الى ساحة ذاكرتي أحاسيسها العنيفة .

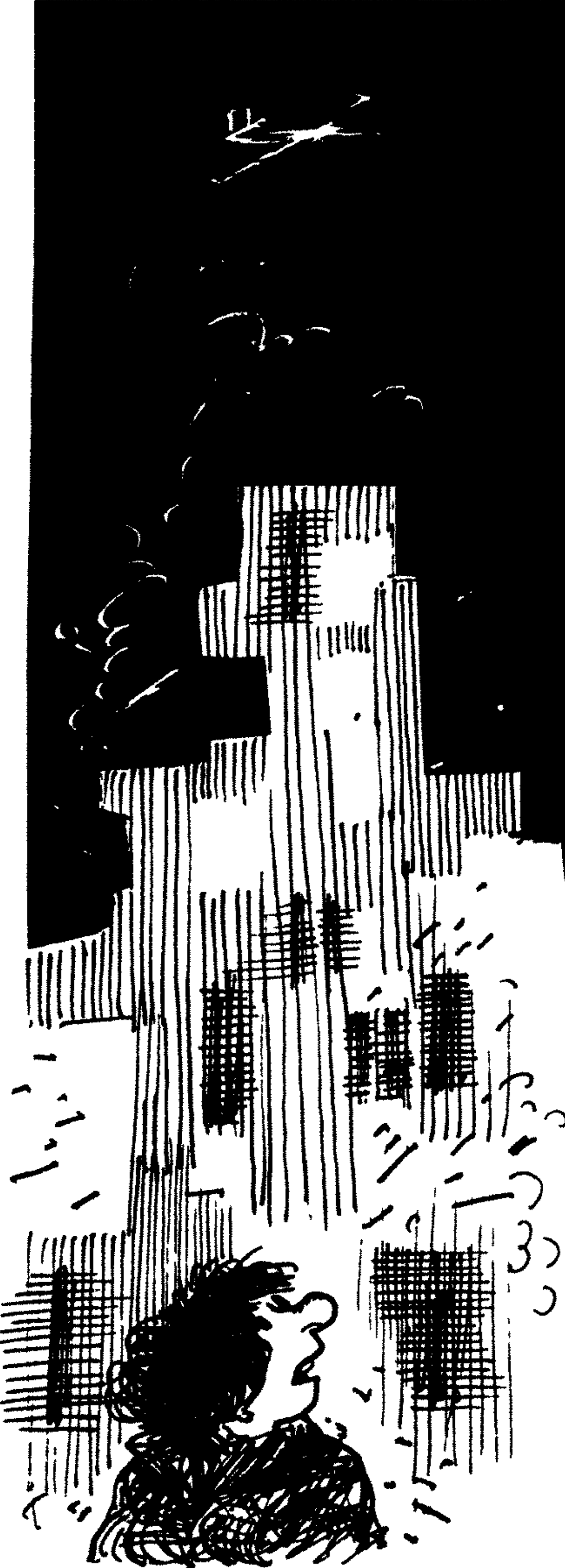
يومها كنت طالبا في جامعة باريس ، وكانت المدينة المتصابية تحيا حياتها الحلوة التي أكسبتها شهرتها كعاصمة للنور ، على الرغم من أنها كانت تعيش منذ تسعة شهور في أجواء الحرب العالمية الثانية .

حتى ذلك الوقت كانت جيوش « الفوهرر » النازي قد ابتلعت في نزهات عسكرية كلا من النمسا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وهولندا وبلجيكا ولوكسمبورغ ، وحطمت بولونيا الشجاعة بعد مجزرة رهيبة ، ثم قبعت على خطها الدفاعي (سيغفريد) تهضم فرائسها بهدوء ، وكأنها « لماظة أيام كأحلام نائم » وترقب بعيني ذئب جائع ما يجري وراء قباب « ماجينو » الفرنسي ، استعدادا لما تضمره لجارتها اللدودة من مفاجآت .

كأنها من كوكب آخر !

ومع ذلك فإن المدينة التي خبت في الشوارع أنوارها ، ظلت سادرة في غوايتها وأحلامها الوردية ، ولم تستطع الإذاعة التي بح صوتها ، من ايقاظها لتعيدها إلى عالم الواقع الملموس ، حتى خُيِّل إليّ أنها مدينة من كوكب آخر سقطت على كوكب لا تعرف شيئاً عما يجري فيه .

فمكتبة كلية الحقوق ، ومكتبة السانت جنيفييف اللتان تشرفان على قبة اليانيتون - مقبرة العظماء - ظلتا مشرعتي الأبواب لرواد العلم المتزاحمين على المقاعد والمراجع ، وأساتذتنا لا يتأخرون دقيقة واحدة عن القيام بأعباء مسئولياتهم الثقيلة . حتى هذا الأستاذ الذي تخطى الثمانين ، والمشهور بنكاته اللاذعة ، ظل يحضر الى المدرج مع دقات الساعة ، ويصعد إلى المنبر ثقيل الخطا مستندا إلى كتفي طالبين متطوعين ، وأمامه موظف « التشريفات » الذي يخطر ببذلته السوداء ، وملامحه الصارمة ، وسلسلته الحديدية الوهاجة ، الملتفة حول رقبته



وصدره ، لكي يجلسه على كرسيه الوثير ، ثم ينسحب ليعود بعد انتهاء المحاضرة . وهو تقليد خاص بهذه الجامعة العريقة ، من شأنه أن يمتع القلب ويبهج العين ، بمسحته الارستقراطية الكهنوتية .

وفي الحياة العادية ، كانت المقاهي تستقبل روادها كما كانت تفعل وهي في أكثر مواسمها ازدهاراً . وكانت سهرات « الأوبرا » تنشر كل ليلة في أجواء أبهائها وصالوناتها المترفة أحدث الأزياء وأشدها تحديا ، على قامات نصف عارية ، جاءت لتستمتع بسماع الموسيقا الكلاسيكية ، وتتقلب في الأجواء المخملية الناعمة .

وللأمانة لم تكن موسيقا فيردى أو بيتهوفن أو سان سيباستيان باخ هي التي تجذبني إلى أمسيات الأوبرا ، فأنا أنتمي إلى بيئة يشجيها الموال والعَتابا ، ويسكرها الموشح الأندلسي والقدود الحلبية ، وتتمايل على أنات المغني وهو يكرر مائة مرة يا ليل يا عين ، دون أن يكل أو يمل . ولكن الذي كان يغريني رغبة في زيادة الاطلاع على مدنية غريبة عنا ، في أرقى أوساطها وطبقاتها ، في وقت كنت لا زلت فيه حديث عهد بها .

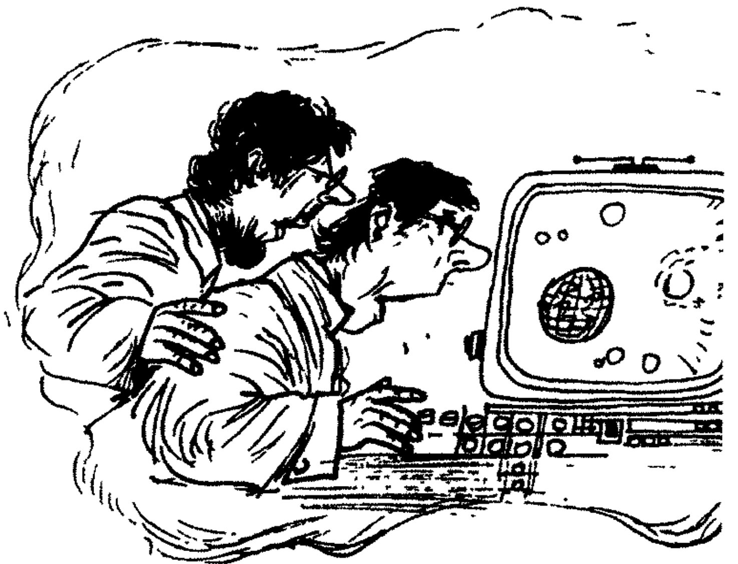
هكذا إذن كنا « نعيش الحرب » . وسوف تكشف محاكمة « ريوم » التي جرت لقادة « الجمهورية الثالثة » عن مدى التقصير الذي ارتكبوه في عدم إعداد الأمة لحرب لم تكن مفاجئة أو غير متوقعة .

ولم تعد الأوضاع مستقرة :

ولكن « الأوضاع المستقرة في الجبهة » - على حد تعابير البيانات العسكرية اليومية - لم تبق مستقرة . فقد فقدت صوابها ذات صباح من أيام حزيران هذا ، حينما انقضت بواشق الجو على أحياء باريس الغربية لتغرقها في جحيم من الحمم والمتفجرات ، ثم لتغادرها في أمان بعد أن خلّفت وراءها دماراً مفزعاً ، وألف قتيل تناثرت

أشلاؤهم ذات اليمين وذات اليسار . وفهمت فيالق دروع « البانزر » مغزى الضربة ، فانقضت من خنادقها الحصينة تقتلع المعاقل والحصون الفرنسية ، لا يقف أمامها جبل ولا يحد من تقدمها نهر ، حتى أغرقت الشمال كله ، ونزلت إلى العاصمة فأحاطت بها كما يحيط السوار بالمعصم . وإذن « فإن معركة فرنسا قد بدأت » كما جاء في بلاغ للقيادة العليا للقوات الحليفة . غير أن الحكومة تسللت في جنح الظلام الى مدينة « تور » ، بعد أن كانت قد أذاعت في النهار بأنها ستدافع عن باريس من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت . يومها فقط فهم الناس ما يختلج في ضمير الغد ، فقذفوا بأنفسهم في دروب الهجرة الجماعية إلى الأرياف والمدن الأخرى ، وعلى أي وسيلة نقل تيسرت .

وتغلبت اعتبارات السلامة على انفعالات النفس ، فألقيت بنفسي إلى أحضان المجهول ، وتسلقت آخر قطار قدر له أن يخرج من باريس إلى « بوردو » ، مع أواخر المغادرين . وحين وصلتها عرفت أن الحكومة قد سبقتنا إليها ، فقد غادرت « تور » لأنها لم تعد آمنة على سلامة قراراتها فيها ، وهي في مرمى المدافع الألمانية .



ولقد أذهلني وأقلقني ما لقيته من زحام في المدينة المحافظة حيثما اتجهت وأنى قصدت . وغصت الحدائق العامة « بنزلائها » الذين لم يجدوا مأوى يأوون إليه في فندق أو مدرسة . وكان بدهياً أن نقرأ لوحة على باب كل فندق كتب عليها (مكتمل) ومع ذلك فقد كنت أشعر بحسرة وألم حين أستدل على فندق ، وحين أصله بعد بحث ونصب تلطمني على وجهي هذه الكلمة الكريهة .

ولم يتخل الله عني في محنتي ، فيسر لي مسكناً مريحاً عند أسرة كريمة حقاً ، قبلتني ضيفاً عليها أكثر مني مستأجراً ، لأن الأجر الذي اقترحته عليّ بعيد جداً عن واقع الظروف التي كانت تبرر الاستغلال ، ربما لأنها عرفت أنني من المنطقة المباركة التي أنجبت المسيح عليه السلام ، فزينت لي الغرفة بالشموع والصلبان ، ولم يتغير سلوكها قط ، بعد أن عرفت بأنني مسلم . ولم تمض إلا أيام قليلة على وصول الحكومة ، حتى أحاطت الفرق الألمانية بمدينة بوردو ، ولكنها لم تدخلها بناء على طلب ملح من المريشال بيتان وجهه إلى هتلر . وبدأت مفاوضات الهدنة ، وتم التوقيع عليها ، وفرح من فرح ، وبكى من بكى ، ولكن يوم ٢٢ حزيران قد نشر نسائم من الآمال المعسولة في رئات الذين يحلمون برؤية أوطانهم ذات يوم ، بل وفي أوصال الذين يرغبون في البقاء أحياء .

العودة إلى الملاجيء :

ونام الناس على حرير ، يدغدغهم رجاء خادع بأن الكوابيس انتهت . ولكن ما إن حان منتصف الليل وأعلن المذيع نهاية نشرة الأخبار حتى أخذت أصوات انفجارات قوية تهز المباني بشدة خيل إلي معها ، وأنا أقفز من سريري أن زلزالاً قوياً ضرب المنطقة . وحين اندفعت إلى البهو وجدت الشيخ صاحب البيت وزوجته يتدافعان إلى غرفة كنتهما الحامل ليكونا إلى جانبها في شدتها ، وليحيطاها بالأمان الذي تفتقده من

جراء وجود زوجها في الجبهات القتالية . ولم يكن أمامنا من حل ، والقصف لا زال مستمراً ، إلا أن ننتقل إلى أقرب ملجأ ، وكان قبو كلية الآداب .

ولم تكن هذه أول مرة ننزل فيها إلى الملاجيء ، لتجنب القصف الجوي ، فقد سبق لنا أن بادرنا إليها مراراً في باريس ، إلا أنها كانت أقرب إلى النكتة منها الى الحماية ، وإلى عرض أزياء ملابس الليل منها إلى الاعتبارات الحربية ، أما الليلة ، فالذعر آخذ بالمفاصل وفي لون الوجوه ، وفي التصرفات الهستيرية . ولقد بقيت من تلك الليلة انطباعات انسانية في نفسي عن المعاني السامية التي تمثلت في حنو الأمهات على صغارهن، والمغامرة بحياتهن في سبيل بقائهم ، فكانت لوحة حية لن تقدر ريشة أي عبقري على تخليدها بالألوان ، أو بالصور الشعرية .

كان الملجأ واسعاً ، والملتجئون إليه كثراً ، وكان مضاءً بنور ضعيف باهت ، إلا أنني استطعت أن أرى التمديدات الصحية على سقفه ، وأن أميز الحجارة المستطيلة الضخمة التي يتشكل منها . وكان الوجوم يشل حركة العضلات في كل وجه نظرت إليه . ويقينا فإن الآخرين رأوا الظاهرة ذاتها على وجهي ولكن كان فرق بين خوفي وخوفهم . فقد كنت غريباً وفي مقتبل العمر ، وليس لي من أخاف عليه .

وكان أكثر ما يخيفنا أن تسقط قنبلة على البناء التاريخي أو على بناء مقابل ، فينسد باب الملجأ أو ينكسر أحد أنابيب الماء أو الغاز ، فنموت خنقاً أو غرقاً ، كما حدث قبل ذلك لكثير من الملاجيء .

وتوقف القصف في أخريات الليل ، وخرجنا من الملجأ ، واستقبلتنا نسمات الصبح الطرية التي أعادت إلى الوجوه ألوانها ، وإلى الأعصاب المتوترة هدوءها ، وإلى النفوس الشعور المتألق بحب الحياة وقيمتها .

نظرة وداع أخيرة :

بعد ذلك بساعات ، نقلت الاذاعة بياناً للقيادة الألمانية تقدم فيه اعتذارها عما حدث ، بسبب خطأ وقعت فيه القيادة الميدانية . وزحف الأحياء في اليوم التالي إلى ساحة الكتدرائية الكبرى ليلقوا نظرة وداعية أخيرة على ألفي تابوت مجللة بالسواد ، صفت صفوفاً متوازية وألقيت نظرة أخيرة مثلهم ، دون أن يكون لي بينهم واحد أبكيه ، غير أنني أحسست بأنني أبكيهم جميعاً كإخوة في الانسانية ظلمتهم السياسة . ومع ذلك فقد وقفت إلى جانب دخول بلادي الحرب بعد تلك الليلة بستة عشر عاماً في مجلس الوزراء .

رداً للعدوان ، وذوداً عن حقوق قومية مهضومة ترخص الحياة في سبيلها . □

---

* زمان الغاب : طفل لاعب عذب جميل . وزمان الانسان : شيخ عابس الوجه ثقيل .

(أبو القاسم الشابي)

* المحطات الزمنية ثلاث : أمس دابر ، وحاضر مأمول ، وغد مرتقب .

(د . أحمد أمين)

* بعض الحركة عجز عن السكون ، وبعض السكون عجز عن الحركة .

(عباس العقاد)

* أصعب الأمور أن يعرف الانسان نفسه ، وأسهلها أن يعظ غيره .

(طاليس)


● عباس العقاد

الخيال العلمي في الأدب الشعبي

بقلم : فاروق خورشيد

الخيال الشعبي العلمي- بعد تحديد معنى العلم في دنيا الخيال - لم يقف عند حد ، بل حاول أن يستغل ما يعرف استغلالا روائيا بارعا ، ثم حاول بقوة التخيل الوصول إلى ما يعوزه نتيجة محدودية المعرفة ، ليحقق ما يحققه الخيال العلمي الروائي نفسه في دنيانا المعاصرة .

تميز الإنسان بطموحه الدائم إلى اكتشاف مالا يعرف ، وإلى ريادة ما يجهل ، وإلى الحلم بتخطي عجزه ومحدوديته ، وضآلة طاقته ، وقد قاده هذا إلى دنيا العلم ، وإلى المعرفة الكاملة بدنياه التي يعيش فيها ، ثم إلى معرفة ما حوله من عوالم وأكوان ، ثم قاده أيضا إلى أن ينتج كمًا هائلا من الأعمال الفنية التي تتخطى محدوديته وضآلة طاقته إلى الحلم بتجاوز هذه المحدودية ، وضآلة الطاقة ، إلى حيث يصول ويجول متخطيا عقبات الزمن والمكان ، ومثبتا - في دنيا الفن - قدرته على تجاوز المحدود ، والممنوع والمتعذر ، وسبق الخيال الفني في كل الأحيان المنجزات العلمية والثقافية للإنسان ، وحقق الإنسان في أدبه بعض أحلامه ورؤاه ، وظل بعضها الآخر قيد الاجتهاد العلمي الساعي إلى تحقيقه ، وجعله حقيقة واقعة وممارسة ، ومن هنا امتلأت مكتبة الأدب العالمي بنوع روائي مميز هو رواية الخيال العلمي .

الحقيقة والخيال

أدب الخيال العلمي هو ذلك الأدب الذي يقوم على حقيقة علمية معروفة ، ينطلق منها الخيال الروائي ، ويسخرها في تحقيق أحلام الإنسان وطموحاته ، والتمرد على محدوديته عن طريق خياله الروائي وقدرته القصصية . ومن هذا المفهوم نستطيع أن نقول : إن هذا الأدب على الرغم من تصدره المكتبات الحديثة ليس وليد اليوم ، وإنما عرفته آداب البشرية وإبداعاتها منذ البدء ، وأنه صحبها عبر مسيرتها الحضارية كلها ، فكانت كل مرحلة من مراحل التطور الحضاري تقيم أدب خيالها العلمي المبني على ما حققته في هذه المرحلة من كشوف علمية ، وتقدمات تقنية ، ويعكس مدى طموحها إلى المزيد من الكشوف التي تسخر كل الإمكانيات المتاحة للإنسان طموحه في أن ينقلب على محدوديته البشرية . وسنجد في أعمال سويف

وويلز وغيرهما من الكتاب صورة من صور انعكاس المرحلة على خيال كتاب أدب الخيال العلمي وطموحاتهم ، فرحلات جاليفر والرحلة إلى القمر والرحلة في باطن الأرض ، وآلة الزمان ، والرجل الخفي وخارق الجدران ، وعشرون فرسخا تحت سطح البحر ، تبدأ كلها من كشوف علمية محددة ، وتطمح بخيالها أن يتجاوزها الإنسان ويتخطاها ، وهناك أعمال روائية كثيرة ، استغلت المسلمات العلمية ، أو شبه العلمية المعروفة في عصر كتابها ، وأبدعت أدب الخيال العلمي . فإذا ما تركنا عصور العلم التجريبي إلى ما قبله مباشرة دخلنا في مرحلة العلم الحدسي الذي يقوم على المشاهدة والملاحظة ، مع إكمال هذه الملاحظات بتصورات غامضة ، غير محددة ، ترتبط بالديانات الوثنية القديمة ، وعالم الطقوس المعبدية ، ودنيا الكهانة والسحر ، فقد ارتبطت المعرفة في المرحلة البدائية لحياة الإنسان بالكهنة الذين احتكروها وسخروها لإحكام سيطرتهم على الناس ، وربطوا بين ما عندهم من علم وبين مكانتهم كوسطاء بين البشر وآلهتهم البدائية الأولى ، ولهذا فقد مزجوا معارفهم بكثير من الطقوس والكلمات الغامضة ، وغلفوها بالغطاء الديني الذي يبنى أساسا على الخوف ، فالآلهة البدائية آلهة قسوة وعنف ، وآلهة انتقام وتهديد ، ورضاها لا يتأتى إلا بالقرابين ، والعطاء الجزيل الذي يكوّن ثروات الكهنة ، ويحكم سيطرتهم الكاملة على العقول والضمائر ، ثم على القدرات الاقتصادية للناس . وهنا برزت كلمة السحر لتعبر عن هذه المعارف الغامضة والمحتكرة ، وهذه الممارسات التي تمتزج فيها الخرافات بالطقوس بالخوف ، وأخيراً بالمعارف التي اكتسبها هؤلاء الكهنة وتناقلوها نتيجة دراساتهم للآلهة البدائية ، ورموزها الحيوانية والمعدنية والنباتية والفلكية على السواء . ومن هنا نستطيع أن نقول : إن الأدب الشعبي الذي اعتمد في انطلاقاته الروائية والقصصية على السحر ، كان قريبا جدا ـ من حيث المنهج ـ من الأدب العلمي المعروف اليوم ، مع وضع الفارق بين السحر كعلم غيبي وبين العلم التجريبي اليقيني الذي هو العطاء العلمي اليوم ، في الاعتبار . ومن هنا فإن استخدام الطاقة ، والقوة الذرية ، والمعرفة الالكترونية ، تقابل عند أصحاب الخيال العلمي الآن ، استخدام الجن عند كتاب هذا اللون من الأوائل أو الشعبيين ، فقد أعلن الكهنة أنهم يسخرون الجان ـ هذه المخلوقات الخفية ذات القدرات التي تفوق قدرات البشر ـ في الاتصال بالآلهة ، وفي تحقيق الأعمال التي تبدو مستحيلة لعجز قوى الإنسان المحدودة عن إحداثها .

مراحل الثقافة الأولى

وجود الجان فكرة راسخة في المعتقد القديم ، فالإنسان في مراحل ثقافته الأولى كان يؤمن بوجود قوى أقوى منه ، تعيش معه على الأرض ، وتؤثر فيه وفي أعماله ومقدراته ، هذه القوى المخفية عن رؤيته هي القوى التي اختفت عن بصره هي ما سماه الجن ، والديانات كلها لم تنف هذه المسلمة التي رسخت منذ المعبد القديم في الضمير البشري ، بل لقد جعلت الأديان من (الجان) حقيقة ماثلة ، وساوت بينهم وبين الإنسان من حيث ضرورة خضوعهم للدين ، وإيمانهم بالرسالات ، وصحة عبادتهم لله ، وقسمتهم إلى جان مؤمن خير ، وجان شرير كافر . ويبرز نبي الله سليمان عليه السلام في المعتقد الديني باعتباره مسخر الجان لطاعته ، ومعاقب كل من خالفه من الجن الشرير أو الكافر ، يسجنه في قماقم مطلسمة بخاتم سليمان ، كعقوبة أزلية له على كفره وشره . وهكذا تكرس وجود الجان كقوى حقيقية ، وكمسلمة معترف بها . وانطلاق أدب الخيال العلمي الشعبي إلى استعمال الجان في تحقيق التفوق على الواقع الإنساني المجهض ، يبدو

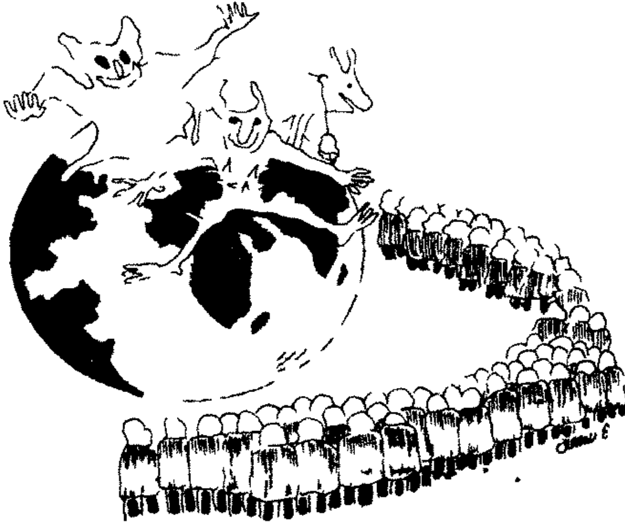
منطقيا في ضوء هذه المسلمة . ومن هنا فعلت روايات الخيال الشعبي بمحاولة تسخير الجان لخدمة الإنسان ، وتمكينه من التغلب على محدوديته ، فالجان أصحاب القدرات الخارقة كفيلون بكسر حواجز الزمان والمكان بالنسبة للإنسان . وقد سار استخدام الجان في هذه الأعمال في طريقين : الطريق الأول هو استخدام السحر ، أو علم الكهنة في إخضاعهم لإرادة البطل ، وهو هنا عادة البطل الشرير ، وهم هنا غالبا من الجن الكافر الشرير . والطريق الثاني هو استعمال ذخائر كفيلة بتسخيرهم كاللوح المرصود ، أو خاتم سليمان ، أو شعرات تحرق فترغم الجني على الظهور . وهذه الذخائر تكون عادة في حوزة البطل الخيّر الذي يدافع عن الحق والإيمان ، وهؤلاء الجان غالبا ما يكونون من الجان المؤمن الذي أخطأ خطأ ما ، ويقضي مدة عقوبته مسخرا لصاحب الرصد الذي يتحكم فيه ، يخدمه ويلبي كل مطالبه ، فإن انتهت مدة عقوبته تحرر ، وغدا من الجان الأحرار الخيرين .

ومن المفهوم أن هؤلاء الجان إنما حبسهم سيدنا سليمان عليه السلام عقوبة لهم على أخطائهم ، وأن الأقدار أو الصدف الروائية أو الإرادة الخيرة التي تعمل لصالح البطل هي التي وضعت هذه الذخائر في طريقه . وعن طريق تسخير هذا الجن الخادم يحقق الخيال الأدبي الشعبي ، ما يحققه الخيال العلمي الآن بتسخيره للمخترعات والصناعات الحديثة ، فالجني قادر على أن يحمل البطل عبر المكان وعبر الزمان أيضا ، والجني قادر على شن حروب لا تقل في تصوراتها عن حروب الصواريخ والقنابل الذرية ، والحروب الكيمياوية ، والجني قادر على أن يغوص بالبطل إلى أعماق المحيطات ، أو يعلو به إلى أجواز الفضاء . والجني آخر الأمر قادر على إحداث مالا يحدث ، أي مالا يحدث في حدود قدرات الإنسان المحدودة والعاجزة ، كنقل الصوت ، ونقل الإنسان نفسه في لحظات إلى أماكن الأحداث ، مهما بعدت ، ومهما تناءت .

التحول والطيران

لعل الخيال الشعبي تجاوز حدود الخيال العلمي حين حلم بظاهرة التحول ، فحولها إلى مقولة فنية يستخدمها في عمله الروائي ، فأقصى ما وصل إليه الخيال العلمي في هذا المجال هو فكرة الرجل الزائف ، أو فكرة الرجل المخلوق بصنع الإنسان مثل فرانكشتين ، ولكن الخيال الشعبي قفز إلى فكرة قدرة الإنسان على أن يحول إنسانا آخر ، أو كائنا حيا آخر من صورة إلى صورة ، وهو ما نعرفه في الليالي وغيرها بقدرة الساحر على (سخط) البطل الروائي إلى صورة كلب أو حمار أو بقرة ، وهذه الفكرة قائمة على فكرة (الطوطم) البدائية القديمة إلى حد ما ، كما هي قائمة على إيمان ديني راسخ ، بأن العقوبة الحاضرة في الدنيا هي (سخط) الكافر المتمرد إلى صخرة ، أو إلى صورة مشوهة تختلف عن صورته الأولى . وفكرة التحول هذه لعبت دورا بارزا ورئيسيا في الكثير من الحكايات الشعبية العربية القديمة ، وبخاصة في حكايات ألف ليلة وليلة ، وهي قائمة على مسلّمة دينية ، وعقائدية قديمة لدى الشعوب السامية بعامة .

والقدرة على قهر الشكل الإنساني نفسه مرتبطة ارتباطا كاملا بالقدرة على قهر المكان ،



بأن ينتقل بسرعة تفوق سرعة الضوء من مكان إلى مكان ، وهؤلاء - أي أصحاب هذه القدرات - هم من عرفوا في الحكايات الشعبية العربية ، أهل الخطوة ، وقد برزت هذه (التسمية) في أدب الصوفية ، وفي سيرة الظاهر بيبرس ، وفي سيرة سيف بن ذي يزن ، وفي العديد من الحكايات الشعبية السيارة ، وهي على غموضها في الكثير من الحكايات ، حيث تتركز على موهبة شخصية للبطل ، تظهر في غير هذه الأعمال طموحا إلى عبور السماء ، والطيران فيها من مكان إلى مكان ، أي أن إمكانية الطيران في السماء طموح شعبي قديم ، سواء على أرض الواقع ، حيث تبرز تجربة عباس بن فرناس وثوبه من الريش ، ومحاولته تطبيق دراسته على طيران الطيور ، وميكانيكية أجنحتها التي تحملها عبر السماء ، أو على أرض الخيال الشعبي الذي تحقق فيه الطيران عبر السماء ، إما عن طريق ركوب الجان المسخر لخدمة البطل ، أو عن طريق البساط السحري ، وهو الصورة المقابلة لبساط سيدنا سليمان عليه السلام الذي ملأ حديثه القصص الديني ، صاحب المعتقد الراسخ في أعماق الجماهير ، أو عن طريق الحصان الوهمي المصنوع بالحكمة الذي يحمل صاحبه طائرا في امتداد الفضاء بفضل لوالب معينة يحركها صاحبه فتتحرك ، وهنا نقترب كثيرا جدا من جو المخترع العلمي ، القائم على الصنعة الإنسانية ، لا على القدرات الخارقة للجان والسحرة ، فهذا الحصان السحري مصنوع بالحكمة والمعرفة ، وتركب أجزاؤه بعضها في بعض ، ويطير بصاحبه خاضعا لمجموعة من اللوالب والآلات ، وهو أقرب صورة إلى الطيران الآلي المعاصر .

اختلطت الرؤيتان

الخيال الشعبي هنا تجاوز دنيا المعجزات إلى تخيل دنيا المنجزات الإنسانية ، فكان متنبئا فنيا لما حققه الإنسان بفضل العلم و (الحكمة) ورغبة الإنسان في أن يرتاد عالمه كله ، وأن يعرف ما يدور في كل جزء من أجزائه ، وقاده طموحه إلى قهر حاجز المكان الذي يربطه بمكان لا يتحول عنه إلا بوسائل لا تسمح له بالمعرفة بمعناها الحقيقي ، وتحرك الإنسان في المكان طموح جريء ، ولكن ثبوته في مكانه ، لتأتي له كل الأمكنة حيث يكون ، فيعرف كل ما يدور حوله من أحداث في بقاع بعيدة عنه ، كان هذا هو التحدي للخيال الشعبي ، وقد حقق تغلبه عليه بفضل تطلعه إلى (صندوق التواجيه) الذي ظهر في سيرة « علي الزيبق » ، والذي هو نتاج حكمة الحكماء وصنعتهم لإنتاج سحر الكهان وجنهم ، ولو أنها مسبوقة في دنيا السحر والجن بفكرة البنورة المسحورة التي عرفها سحرة أوربا ، والمرآة المسحورة التي عرفت في أساطير الشرق الأقصى ، وفكرة غدير المياه الصافية التي مسها السحر ، وعرفت في أساطير الشعوب القديمة .

وقد اختلطت الرؤيتان معاً في كثير من الأحيان ، أعني رؤية (الحكمة) ورؤية (السحر) ، مما يؤكد أن الإنسان العربي القديم قد حاول إنجاز بعض المنجزات القائمة على المعرفة التجريبية ، إلى جوار امتلاء حياته بالمنجزات الخيالية التي تحققت في دنيا رؤياه الابداعية ، واستندت إلى العلم الغيبي أو السحر . وفي كتاب التيجان لوهب بن منبه حكاية المغارة واللصوص الثلاثة ، والحكاية تقول : إن هؤلاء اللصوص حين دخلوا المغارة خرج عليهم أسد مهول يسد عليهم الطريق ، ولكنهم لاحظوا أن الأسد يظهر حين يتعدون مكانا معينا ، ويختفي حين يتجاوزون هذا المكان ، وحين حفروا في هذا المكان وجدوا (دواليب ولواليب معقدة) حين حطموها بطلت حركة الأسد ، وأمكنهم أن يتجاوزوه إلى ما بعده ، ليظهر لهم تنين ينفث النار والشرار ، وبحكم التجربة السابقة يبحثون عن مكان حركة التنين ، ويبطلون حركته بتحطيم الآلات المتحكمة في هذه الحركة ، إلى أن يصلوا إلى كنز

المغارة . ونحن هنا أمام صناعة محكمة ، تقوم على معرفة بعدة علوم ، أهمها علم الميكانيكا . واستغلال القصاص لهذه المعارف القديمة يشابه تماما استغلال الروائي المعاصر لمنجزات التقنية الحديثة في أحداثه الروائية العلمية . وفكرة الاختفاء عالجتها روايات الخيال العلمي أكثر من مرة وبأكثر من طريقة ، واشتهرت روايات عن المادة التي تخفي جسد الإنسان بعد تناوله إياها ، وعن الأجهزة التي يوضع فيها جسد الإنسان لتسلط عليه أشعة بعينها فيختفي عن الأنظار ، واستندت كلها على نظرية الإبصار ، وانعكاس الضوء على الذرات الكثيفة ، ولكن الخيال الشعبي سبق هذا كله بحكاية (طاقية الاخفاء) التي تخفي من يلبسها عن العيون ، أو الخاتم الذي يديره لابسه في أصبعه فيختفي تماما عن الأنظار ، أو الكحل الذي يتكحل به صاحبه فيغدو خفيا ، وكلها أدوات صنعها السحرة ، أو الجان أو الحكماء ، في مزيج يؤكد اختلاف المعطيات الغيبية بمعلومات معروفة لدى طائفة معينة من الناس ، لتحقيق حلم يراود وجدان الناس كلهم .

اليقين منطلق للخيال

هذا الاختلاط بين عالم المعرفة التجريبية ، وعالم المعرفة الظنية ، زاد عليه بعد ثالث في بعض أعمال الخيال الشعبي ، وهو بعد المعرفة اليقينية ، وذلك في الروايات والقصص التي قامت حول دنيا البحر وعالمه ، فكثير من الأحداث الروائية التي جاءت بها ، وبخاصة في ألف ليلة ، وفي حكايات السندباد على الأخص ، تقوم أساسا على المعارف والمعلومات والملاحظات التي نقلها الجغرافيون العرب القدماء ، والبحارة والرحالة والتجار المغامرون ، مما شاهدوه وعاينوه في رحلاتهم من ظواهر غريبة في البحر أو في الجزر النائية فيه ، فالمعرفة اليقينية المشاهدة أساس لانطلاقات الخيال الروائى هنا ، ولكن تجاورها المعرفة التجريبية التي سمحت ببناء السفن العابرة للمحيطات ، وسمحت بالإبحار في هذه المحيطات على أسس من علوم الفلك ، وعلوم البحار أيضا ، ويجاورهما أو يغلفهما معاً المعرفة الظنية أو ما بقي في الأذهان والقلوب من معطيات السحر القديمة . والخيال الشعبي ـ في هذه القصص على الأخصّ ـ قام بتوظيف كل هذه المعارف بأنواعها المختلفة توظيفا روائيا بارعا ، ومزجها في نسيج مغامراته وأحداثه القصصية ، محاولا تحقيق أحلام الإنسان في الخلاص من محدوديته وعجزه ، ومحاولا أيضا تحقيق طموح الإنسان إلى المعرفة ، والمزيد من المعرفة ، وتوظيف هذه المعارف لتحقيق طموحاته وأحلامه في إحكام سيطرته على العالم الذي يعيش فيه حين يستطيع خياله الروائي أن يدخله في كل ماهو مجهول ، ليصبح بقدرة الإبداع معلوما وممارسا ومألوفا . ولعل أبرز صور هذا الطموح تتجلى في غوص الأديب الشعبي إلى أعماق الأرض ، في محاولته لتصور نوع الحياة الذي يمكن أن يكون موجودا في داخلها ، وقد قدم أعمالا روائية تتخيل وجود أشجار وأنهار ومساكن وحيوانات تعيش وتتحاب وتتصارع في وجود مشابه للحياة فوق سطح الأرض ، أو للحياة التي يعرفها هو ويمارسها . وهو الموقف نفسه الذي وقفه في الحياة في أعماق المحيطات ، تلك الحياة التي تخيل إمكان اشتراكه فيها بتناول عقار سحري معين ، يجعله قادرا على الحياة في الماء ، فإذا ما دخل هذه الحياة وجدها تشابه دنياه ، وجدها مليئة بالمهالك العديدة المليئة بالمخلوقات البحرية الغريبة العديدة التي تحكمها الغرائز نفسها التي تحكم الانسان ، فهي تتصارع على السيطرة والتفوق ، وتشن الحروب بعضها على بعض طمعا في إحكام السيطرة على كنوز البحر التي تخيل الإنسان أنها مدفونة هناك في انتظار الإنسان الجسور الذي يستطيع الاستيلاء عليها ، وإخراجها إلى سطح الأرض . □

أخلاق العلماء

من نيوتن إلى هوكنج

بقلم : الدكتور عبدالعظيم أنيس

لا شك أن النبوغ والعبقرية يجلبان المجد والخلود لأصحابها ، ولكنهما على الرغم من ذلك لا يحولان بين العبقري أو العالم وانحيازه لذاته البشرية ، مهما صغر الثمن أو تدنى الأسلوب الذي يشبع به أهواءه ونزعاته .

ولحظ العباقرة أن الذاكرة البشرية لا تحفظ لنا إلا ما يصدر عنهم ، حسنا كان أم سيئا .

في تاريخ المشادات العلمية بين العلماء حول « من اكتشف ماذا أولا » ، تحتل قصة المشادة بين نيوتن ، العالم البريطاني الرياضي الشهير وأحد مؤسسي الفيزياء الحديثة ، وبين الفيلسوف والرياضي الألماني الكبير ليبنتز وضعا خاصا ، لأنها أثارت في كل أوربا حساسيات وطنية خاصة ، وتورطت فيها أقلام عديدة في اتهامات لا صلة لها بالعلم ، وإنما لها صلة بالسياسة ومناخ التنافس البريطاني الألماني القائم آنذاك حول السيطرة على قلب أوربا وعلمها .

والقصة بدأت باكتشاف كل من العالمين الكبيرين ، نيوتن وليبنتز ، لفرع حديث في الرياضيات ، هو علم التفاضل والتكامل الذي مثل ثورة في العلوم الرياضية آنذاك ، وأصبح الأساس الصلب لمعظم أبحاث الفيزياء منذ ذلك الحين .

ولقد ادعى كل منهما أنه صاحب الاكتشاف الأول ، وأن الآخر أخذ عنه . وحول هذه القضية دار الجدل العنيف . لكن الثابت الآن من الناحية التاريخية أن كلا منهما قد اكتشف بشكل مستقل مبادىء هذا العلم ، وإن كان ليبنتز هو السابق في النشر العلمي لأبحاثه ، قبل نيوتن بسنوات طويلة ، على الرغم من أن نيوتن كان قد اكتشف تلك المبادىء قبله بسنوات .

إلا أن الملفت للنظر فهو سلوك نيوتن المشين من الناحية الشخصية في تلك المشادة ، وهو السلوك الذي يوضح أن العَالِم حتى وإن كان يحتل مركزا عالميا مرموقا ، مثل نيوتن ، ليس منزها عن التورط في أحط أساليب السلوك

الشخصي ، عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن مكتشفاته بالحق أو بالباطل .

ولقد لفت الأنظار إلى هذه القضية كتاب صدر حديثا للعالم البريطاني المقعد الفذ « ستيفن هوكنج » الذي يحتل اليوم كرسي الرياضيات نفسه الذي كان يشغله نيوتن في جامعة كمبردج . فقد أصدر « هوكنج » كتابا للرجل العادي عن تطورات الفيزياء الحديثة ، عنوانه « تاريخ موجز للزمن . . من الخبطة الكبيرة إلى الثقوب السوداء » ، ووضع في خاتمة الكتاب تعريفا بثلاثة علماء ، تمثل اكتشافاتهم في الفيزياء نقطة تحول رئيسية في تاريخ هذا العلم ، ومحاولاته لفهم الكون . وهم نيوتن وجاليليو وآينشتين !

ومع أن « هوكنج » يشغل كرسي نيوتن اليوم في جامعة كمبردج إلا أنه لم يتردد في فضح نيوتن وأساليبه فيما يتعلق بهذه المشادة التاريخية بينه وبين ليبنتز . ومن « هوكنج » نعرف أن معظم المقالات التي كتبت آنذاك دفاعا عن موقف نيوتن كانت في حقيقة الأمر بقلم نيوتن نفسه ، وإن نُشرت بتوقيع بعض أصدقائه !

وعندما اتسعت المشادة في أوربا ارتكب ليبنتز خطأ اللجوء إلى الجمعية الملكية البريطانية مناشدا إياها أن تتدخل في الأمر . وإذ كان نيوتن هو رئيس هذه الجمعية فقد قام بتشكيل لجنة « محايدة » للتحقيق في الأمر ، وإصدار تقرير عنه ، ولقد اتضح بعد ذلك أن كل أعضاء اللجنة هم من أصدقاء نيوتن . ولم يكتف هذا الأخير بذلك ، وإنما كتب بنفسه تقرير اللجنة ، وتولى نشره باسم الجمعية الملكية ، متهما ليبنتز بالسطو العلمي ! وبعد ذلك بسنوات قليلة مات ليبنتز ، فأعلن نيوتن شماتته في هذا الحدث ، لأنه نجح في « كسر قلب » خصمه !

ليست الأولى !

ولقد اتضح أن هذه المشادة العلمية بين نيوتن وليبنتز في أوربا لم تكن النزاع العلمي الأول بين نيوتن وزملائه من العلماء ، فقد سبقه نزاعه مع الفلكي البريطاني جون فلامستين .

كان فلامستين هو المسؤول عن المرصد الملكي البريطاني في « جرينتش » ، وبصفته هذه كانت لديه بيانات فلكية مهمة عن أرصاد تفيد نيوتن خلال تأليفه لكتابه العظيم « البرنسيبيا » . وفي مبدأ الأمر زود فلامستين زميله نيوتن بما كان يطلبه من بيانات ، وأشاد نيوتن بذلك في الطبعة الأولى من كتابه « البرنسيبيا » ، إلا أن فلامستين عاد فأحجم بعد ذلك عن تزويد نيوتن بمزيد من البيانات الفلكية .

ولم يكن نيوتن مستعدا لقبول هذا الموقف . ولذا سعى إلى تعيين نفسه عضوا في مجلس إدارة المرصد ، ومن هذا الموقع دبر في الخفاء عملية الاستيلاء على هذه البيانات ونشرها بواسطة عدو فلامستين اللدود ، الفلكي إدمون هالي .

ولم يتردد فلامستين في أن يلجأ إلى القضاء



● نيوتن

دفاعا عن موقفه ، ونجح في نهاية الأمر في الحصول على حكم من المحكمة ، يمنع نشر البيانات المسروقة . وقرر نيوتن أن ينتقم برفع اسم فلامستين من كل طبعات « البرنسيبيا » التالية !

خلال زمن هاتين المشادتين بين نيوتن وفلامستين من ناحية ، وبين نيوتن وليبنتز من ناحية أخرى ، كان نيوتن قد ترك جامعة كمبردج والعمل الأكاديمي عموما ، وشُغِلَ بالعمل السياسي المعادي للكاثوليكية في كمبردج ، ثم أصبح عضوا في البرلمان ، وكوفيء على مواقفه الموالية للسلطة الحاكمة بتعيينه مديرا لدار « سك النقود » في لندن ، وهو منصب ذو أهمية كبيرة آنذاك ، وذو راتب مغرٍ . ومن موقعه هذا ساق نيوتن الكثيرين إلى المقصلة بتهمة محاولة تزييف النقود !

ولقد شُغل نيوتن في أواخر حياته بمحاولة تحديد زمن بعض الأحداث المهمة التي وردت في التوراة ، والغريب أن صاحب كتاب « البرنسيبيا » الشهير عدّ تلك المحاولات العقيمة المتعلقة بالكتاب المقدس أهم إنجازات حياته العلمية !

يبقى بعد ذلك أن نتساءل : كيف طاوعت « هوكنج » نفسه أن يورد كل هذه الحقائق التاريخية عن نيوتن ، وهو العالم الذي يشغل كرسي نيوتن في جامعة كمبردج ؟

مقعد لكنه متفائل !

إن قصة « ستيفن هوكنج » وحياته الشخصية والعلمية تنبيء عن شخصية فذة ، تمتاز بالأمانة العلمية ، والاستقامة الشخصية ، والذكاء النادر . ولولا هذه الصفات ما استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه وهو الرجل المصاب بالشلل والعاجز عن الكلام ! .

والغريب أن « هوكنج » يقول في مقدمة كتابه أنه باستثناء المرض الذي أصابه في العشرينيات من عمره ، فإنه يحسب نفسه رجلا محظوظا في كل أمر آخر ! لقد أصابه مرض غريب في جهازه الحركي ، أقعده عن الحركة ، وألزمه البقاء في كرسيه معظم حياته ، ثم أصيب بالتهاب رئوي عام ١٩٨٥ واضطر الأطباء إلى إجراء عملية له لإنقاذ حياته ، فَقَدَ بسببها القدرة على الكلام . ومنذ ذلك الوقت أُعِدَّ له حاسوب « كمبيوتر » خاص يستخدمه في التخاطب مع تلاميذه في قاعة المحاضرات ، ومع الناس عموما . ولم يمنعه وضعه هذا من السفر إلى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ودول أوربا الأخرى ، والتباحث مع علمائها في أدق القضايا ، بل إنه يقول : إنه بدأ في إملاء كتابه هذا قبل إصابته بالالتهاب الرئوي ، وعندما أُجريت له العملية ، وظن الأطباء أنه قد لا يعيش ، كان « هوكنج » حزينا ، لأنه لن يكمل كتابه .

لكن « هوكنج » عاش على الرغم من ذلك ، وعاد إلى استخدام الحاسوب « الكمبيوتر » في إكمال هذا الكتاب وإصداره . وقد نجح الكتاب نجاحا منقطع النظير ، وعد كتاب « أفضل مبيعات » لعام ١٩٨٨ م ، فقد وزعت منه مئات الألوف من النسخ .

ومن يقرأ كتاب « هوكنج » سوف تدهشه - لا شك - روح التفاؤل الغريبة التي تسود حديثه ، والابتسامة التي تبدو من خلال كلامه ، بل وروح الفكاهة التي تأسر قارئه . على أن الأهم من كل ذلك هو المادة العلمية التي يحتويها الكتاب . □

إن الأداة التي تنتج الملك هي نفسها التي تنتج الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية .

جون كينيث غالبريث

العربي - العدد ٣٦٩ أغسطس (آب) ١٩٨٩ م

أفكار الأمس

(في فكرنا العربي قضايا وموضوعات تعيش بعد أصحابها ، من هذه القضايا والأفكار تختار العربي في كل عدد موضوعا يصل بين الماضي والحاضر ، وبين الأمس والغد) .

معارضة الثقافة

بقلم/ سلامة موسى
١٨٨٨ - ١٩٥٨

في كل أمة أفراد يؤثرون التفكير الأسلوبي الموروث ، ويلتزمون العادات ، ويخشون الابتداع . ومما يذكر عن جريدة « التيمس » التي تقرؤها الطبقة الثرية في انجلترا أنها كانت تقاطع كلمة « سفلس » إلى سنة ١٩١٦ ، لأن هذه الكلمة اسم لأحد المرضين الزهريين المشهورين . ولما كانت الطبقة التي تجد « التيمس » قراءها بينها تتجنب هذه الكلمة في حديث أفرادها الذين ربما يقعون في هذا المرض ، فإن « التيمس » جارتهم في هذا النفاق أكثر من قرنين .

والناس يتنفسون بعقولهم كما يتنفسون برئاتهم ، وهم يحتاجون إلى حركة الفكر كما يحتاجون إلى حركة الهواء ، كي يصحوا وينتعشوا . ولكنهم أيضاً يعتادون الأفكار المحبوسة ، كما يعتادون الهواء المحبوس ، وعندئذ يمرضون ، فيفقدون صحة الجسم والعقل . فلكي تنمو أذهاننا ، وكي نربي أنفسنا بالثقافة البشرية العامة يجب أن نعيش في جو حُرّ ، تكفل حريته وتصونها حكومة عصرية مستنيرة ، تعلم أنه ليس في الطبيعة قرار ، وأن كل ما فيها يتغير . وأننا لم نصل بعد إلى المجتمع الأمثل ، حتى نستقر على مؤسساته ، ونقول : إنه ليس في الدنيا ، ولن يكون ، أبدع منها . ولذلك يجب - كي

* من كتاب التثقيف الذاتي الطبعة الأولى ١٩٤٧

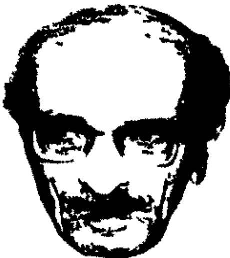
نحصل على ثقافة حرّة تربينا ـ أن نجيز النقد لجميع مؤسساتنا الاجتماعية ولا نضع أي قيد ، أو نعين أي حد ، بمنع التفكير الحر .

والحكومات المستبدة ، مثل حكومات ألمانيا وإيطاليا سابقاً ، وأسبانيا الآن ـ ونحن في عام ١٩٤٧ م ـ قد أحرقت الكتب ، ووضعت غرامات باهظة على كل من يرغب في إنشاء جريدة أو مجلة ، وجعلت للصحفيين والكتّاب عقوبات قاسية خاصة على ما ينشرونه . وهذا إلى قصر التعليم على عدد معين من الطلبة . ولا يمكن لشاب في مثل هذه الظروف أن يربي نفسه ، لأنه لن يجد الكتب الحرة النزيهة التي تربي ، ولن يجد الجرائد والمجلات الحرة التي تنير . فالشرط الأساسي للتثقيف الذاتي أن نعيش في جو فكري ، يجيز التأليف وإنشاء الجرائد والمجلات ، بدون فرض غرامة مالية ، أو إيجاد صعوبات قانونية ، يقصد منها إلى تقييد التأليف والنشر . ولا عبرة بالدعاوى التي تقال في فرض هذه الغرامات ، أو وصفها بأنها ضمانات ، كما لا عبرة بدعوى الحماية للتقاليد ، لأن النهاية التي نصل إليها من كل هذه الدعاوى هي تقييد الحرية الفكرية التي هي حق لكل أمة عصرية ، لا يصح أن يمس أو ينتهك ، بل هي حق لكل فرد ضد أمته ، ولكل أمة ضد حكومتها .

وحسب القاريء أن يعرف أن فنلندا يقل سكانها عن أربعة ملايين ، ومع ذلك فيها ٢٠٩ من الجرائد اليومية ، و ٥٥٧ مجلة أسبوعية وشهرية . ولكل من هذه الصحف قوة التوليد في الثقافة . هذا التوليد الذي هو الفرق الأساسي بين أمم الغرب الناهضة وأمم الشرق القاعدة .

ولا قيمة لاستقلال تناله أمة بعد التخلص من الاستعمار إذا كان المستبدون سيتولون الحكم ، ويثقلونها بقيود الفكر والحسم .

بل إني حين أقارن بين الشعوب العربية التي رزحت تحت الاستعمار ، وتعذبت به سنين ، وبين الشعوب العربية الأخرى التي لم تعرف الاستعمار ، بل عاشت « مستقلة » ، أجد أن كلمة النهضة تنطبق على تلك الشعوب التي أذلها الاستعمار ، ولكنه في الوقت نفسه بعث فيها حركات ناهضة ، بالاتصال بالثقافة الأوربية العصرية ، فاستطاعت أن تتخلص من بعض تقاليدها ، وأن تتمدن ، وتحيا الحياة العصرية .



* إني أعجب للإنسان الذي يغسل وجهه مرتين كل يوم، ولا يجرب غسل قلبه ولو مرة واحدة كل عام.

«ميخائيل نعيمة»

فارس بلنسية



مدافع ، أبو الحملات ، قائد الأعنّة

بقلم : الدكتور شاكر الفحام

بلنسية مدينة مشهورة ، من أمصار الأندلس الموصوفة ، وحواضرها المقدمة ، تقع في شرقي الأندلس ، في سهل فسيح منبسط ، كثير الخصب ، يرويه النهر الأبيض ، ولا يفصل بينها وبين ساحل البحر المتوسط الغربي سوى ثلاثة أميال . فيها تجلت عبقرية فارس بلنسية ، وعظمت بطولته وتضحيته . فهل أنصفه التاريخ ؟

لقد ورد في كتاب « المغرب » لابن سعيد عن بلنسية : « قد خصها الله بأحسن مكان ، وحفها بالأنهار والجنان ، فلا ترى إلا مياها تتفرع ، ولا تسمع إلا أطيارا تسجع ، ولا تستنشق إلا أزهارا تتفتح . . . ولها البحيرة التي تزيد في ضياء بلنسية ضحوة الشمس عليها. ويقال : إن ضياء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس . وجوها صقيل أبداً ، لا ترى فيه ما يكدر خاطراً ولا بصراً ، لأن الجنات والأنهار أحدقت بها ، فلم يثر بأرجائها تراب من

مسير الأرجل وهبوب الرياح فيكدر جوها . . . ولها البحر على القرب ، والبر المتسع . . . جامعة لخيرات البر والبحر . . . وأهلها خير أهل الأندلس ، يسمون عرب الأندلس . . . » .

وكانت مدينة بلنسية قصبة لكورة بلنسية ، تتبعها أقاليم كثيرة .

القنبيطور وبلنسية

لقيت بلنسية أياما صعابا ، نكدات في حروبها مع الاسبان الذين طمعوا فيها ، ووالوا غاراتهم عليها . ومن يقوى على نسيان تلك المأساة المروعة التي قام بها القنبيطور (المبارز) الذي حاصر بلنسية عشرين شهرا ، وبعد أن دخلها صلحاً سنة ٤٨٨ هـ قلب لأهلها ظهر المجن ، فنكث عهوداً قد أبرمها ، وعاث في بلنسية فساداً ، فانتهك حرماتها ، وأحرق أهلها ، وكان ممن أحرقهم القاضي ابن جحاف والي بلنسية ، والأديب أبو جعفر بن البني الشاعر المشهور ، ثم حول مسجدها الجامع إلى كنيسة .

ويكى ابن خفاجة ، شاعر الأندلس ، مصاب بلنسية أحر بكاء :

عاثَتْ بساحتِكِ الظِّبَا يا دارُ
ومحا محاسنَكِ البِلَى والنارُ
فإذا تَرَدَّدَ في جنابِكِ ناظِرٌ
طالَ اعتبارٌ فيكِ واستِعْبَارُ
أرضٌ تقاذَفَتِ الخطوبُ بأهلِهَا
وتَمَخَّضَتْ بخرابِهَا الأَقْدَارُ
كَتَبَتْ يدُ الحدثانِ في عرصَاتِهَا
« لا أنت أنت ولا الديارُ ديارُ »

ولم يصبر أهل بلنسية على ما نزل بهم من الظلم الفادح ، وما لقيهم من الحيف والجور ، فتذامروا وتداعوا لطرد المغتصب الدخيل ، واستعانوا بقوة من المرابطين هبت لنجدتهم ، فاستعادوا البلد الحبيب سنة ٤٩٥ هـ ، بعد أن ظل يرسف في أغلاله سبع سنين عجافاً مشؤومات ، فأنطقوا بأفعالهم الكريمة ألسنة الشعراء التي كانت حبيسة ، وبدأوا من جديد يبنون بلنسية العزيزة الغالية على قلوب أبنائها ، بعد أن غادرها الأعداء الحاقدون خراباً يباباً ، وقاعاً صفصفاً ، قد زرعوا في أرضها الحرائق والدمار والموت .

أفضل أيام بلنسية

ومضت بلنسية تعاني ما تعانيه الأندلس الصابرة من تقلب الأحداث ، حين اضطرب أمر المرابطين وخلفهم الموحدون ، وكثر الثائرون والمنتهزون في أطراف الأندلس ، واشتد عدوان الاسبان المغيرين .

ولعل أجمل أيامها في عهودها الأخيرة كانت بعد أن استطاع ملك الموحدين يوسف بن عبدالمؤمن أن يضم بلنسية إلى حوزته ، ثم اختار لها أبا الحجاج يوسف بن سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش ، من رجالات قبيلة جذام اليمنية ، والياً عليها وعلى جهاتها . واستقرت ولاية الرئيس أبي الحجاج بالبلاد الشرقية من الأندلس مدة حياته .

ولما توفي أبو الحجاج سنة ٥٨٢ هـ تخلف جلة من الولد الرؤساء ، تولوا ورأسوا وشهروا بالبلاد الأندلسية الشرقية .

ثم ضعفت سيطرة الموحدين على الأندلس بعد الملوك الثلاثة : يوسف بن عبدالمؤمن ، والمنصور ، والناصر ، ودبت الفتنة في بلاد الأندلس ، وهبت ريح الخلاف والشقاق بين أهلها ، وعادت نذر الشر قوية مرعبة ، وبدأت غارات الاسبان تغادي بلنسية وتراوحها ، وتراجعت في نفوس الأندلسيين روح الفتوة والفروسية والبذل والفداء ، بل توارت ، لتحل محلها روح الجبن والتخاذل والخور والهزيمة .

المحارب المنقذ

وفي ظلام هذا الليل الدامس من الضعف والاستخذاء ظهر مدافع ، أبو الحملات ، قائد الأعنة ، فتى عربيا ، قد ورث قيم البطولة ، بطولة العرب الكرام الأولين ، ولقن منذ نشأته أن الدفاع عن الحمى ، وأن مجاهدة المعتدين على أطراف الوطن أقدس المقدسات . كان لا ينفك يردد : (إِنْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً وجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وأَنْفُسِكُم في سَبِيلِ الله) (سورة التوبة ، الآية ٤١) .

عاش مدافع في كنف أبيه ، والي بلنسية ، أبي الحجاج يوسف بن سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي ، وترأس بعد وفاة أبيه ، كما ترأس إخوته ، ولكنه ظل الفتى الندب ، المؤمن بالمثل والقيم ، لم تغره مباهج الدنيا ، ومظاهر الملك والسلطة ، وأبى إلا أن يكون الوفي لمبادئه التي شب عليها ، الباذل نفسه ودمه فداء لها .

كان يحس دائما أن قدره أن يكون البطل المظفر ، أو الشهيد المكرم ، وكان دائم الترنم بسير الأبطال والشهداء الذين نذروا نفوسهم وقدموا أرواحهم دفاعاً عن الأندلس العربية . إنهم قدوته ومطمحه والغاية التي يتشوف إليها .

وكان لا يفتأ يذكر ما قام به جده سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش ، سنة ٥٢٨ هـ ، من الدفاع عن مدينة إفراغة التي حاصرها الاسبان الحصار الطويل الشديد ، واستطاع ببسالته وصبره ونجدته واستماتته ، أن يوقف تقدم الأعداء ، حتى وصلت نجدة المرابطين ، واستنقذ المدينة ، بمعونتهم ، من براثن العدو .

ثم كان لا يفتأ يذكر ما قام به والي بلنسية ، عبدالله بن محمد بن سعد بن مردنيش ، أخو جده ، من الاستبسال في مقاومة الأعداء ، حتى قضى شهيداً كريماً في معركة البسيط سنة ٥٤٠ هـ .

وهب مدافع يذود عن الأرض التي أحب . لم يهن ولم يجزع ، بل كان على رأس تلك الفئة القليلة التي نذرت نفسها للدفاع عن الوطن ، ووقفت تصد غارات الاسبان الذين استطالوا على البلاد ، واجترحوا من الجرائم أفدحها وأفظعها ، لا يذكرون إلاًّ ولا ذمة (قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِم وما تُخْفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ) (سورة آل عمران ، الآية ١١٨) .

صبر وصمود

كان مدافع لا ينفك يعارك ويقاتل ، لا تفل عزيمته قلة من معه ، واستخذاء الآخرين من حوله ، وتتابع العدوان الاسباني الذي لا يتوقف ولا يتلبث .

كان أبدا في المقدمة ، ينتظر الشهادة ، يراها قدره وقسمته . وفي معركة ضارية من تلك المعارك القاسية تكالب عليه الأعداء ، وأحاطوا به يطعنونه من كل جانب ، يشفون ما يغلي في صدورهم من حقد وغيظ ، وتألق وجه مدافع مشرقاً وضاء ، وتطلع إلى السماء يشهدها على ظلم الظالمين ، وأقدم إقدام بطل ما عرف التراجع والنكوص قط ، ومضى على غلوائه ، مشرع الراية ، كالعهد به دائما ، باسم الثغر ، طلق المحيا ، يهتف بصوت ملؤه الإيمان والثقة : (وعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ) (سورة طه ، الآية ٨٤) .

ولقي مدافع ما أحب ، وسقط شهيداً في معركة البطولة والفداء ، مقدما غير محجم . لقد قضى في ربيع العمر ، وريعان الفتوة ، أتمّ ما كان شبابا ونضارة ، وقدم نفسه ودمه فداء وطنه وبلده « إنّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنا » .

بكاه الشعر وأنكره التاريخ

وبكت بلنسية ابنها البار ، وبطلها العظيم الذي أبى إلا أن يكون النور الساطع في ظلمة الليل البهيم ، يهدي من أحب سلوك سبيل

الرشاد ، يدفع عن وطنه ، مستبسلاً مستميتاً ، دون أمل في النصر أو رجاء ، ولكن ليضرب مثلا ، ويكون قدوة للأجيال ، يعلمها كيف يكون القتال والاستماتة ، دفاعا عن الحمى ، وذودا عن الأرض .

وراح شعب بلنسية ، ومن ورائه شعب الأندلس ، يردد كلمات أبي الحسن علي بن حزمون التي قالها في رثاء مدافع أبي الحملات قائد الأعنة ، تمجيداً للبطولة ، وإذكاء للحماسة ، وإشادة بالبطل الذي سل سيفه ، ووقف حياته مرابطاً مثاغراً ، يدفع العدوان عن أرضه وبلاده حتى وافاه اليقين :

يا عينُ بكّي السراج الأزهرا النّيرا اللامعْ
وكان نعم الرتاجْ فكُسِّرا كي تنثرا مدامعْ
من آل سعد أغرْ مثلُ الشهاب المتقدْ
يبكي جميع البشرْ عليه لما أنْ فُقِدْ
والمَشْرَفيُّ الذَّكر والسمهريُّ المطَّرِدْ
شَقَّ الصفوفَ وكَرّْ على العدوِّ مُتَّئِدْ

وبعد ، فماذا كان نصيب مدافع ، أبي الحملات ، قائد الأعنة ، ابن أبي الحجاج يوسف في كتب المؤرخين ؟

لقد قلّبتُ مئات الصفحات ، أستجلي حديث هذا البطل الكبير الذي قضى مجاهداً صابراً محتسباً ، فكان كل ما حصلت عليه نصف سطر ضائع في كتاب لسان الدين بن الخطيب يقول : « وكان مدافع قد استشهد شابا ، وفي حياة أخيه أبي السلطان عزيز بن يوسف بن سعد صاحب جزيرة شقر . . . » .

هل يصح لي هنا أن أقول : ما أصدق الشعر ، وما أظلم التاريخ ؟ □

افتح لهم الأبواب

● روي أن المنصور العباسي قدم للحج ، فكان يخرج الى الطواف في آخر الليل مستقرئا ، فيطوف ويصلي ويدعو ، وحدث أن خرج ذات ليلة فسمع رجلا يقول : اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فاقتصد المنصور في سعيه حتى ملأ مسامعه من قوله ، ثم خرج من الطواف وأرسل الى الرجل فقال له : ما هذا الذي سمعتك تذكر من ظهور البغي والفساد في الأرض ؟ فو الله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني وأملني .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين : ان أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها ، قال المنصور : أنت آمن على نفسك ، قال : ان الله استرعاك أمور المسلمين واموالهم ، فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجّابا ، في أيديهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها ، وبعثرت عمالك في جباية الأموال وجمعها ، وأمرت هؤلاء على أن لا يصل اليك من علم خبر الناس الا ما أحبوا ، وأن لا تطلع من أمورهم الا على ما أرادوا ، وأن لا يخرج لك عامل فيخالف أمورهم ويطرح رأيهم إلا تصبوه « عابوه وشتموه » عندك ، واغتابوه ، حتى تسقط منزلته ويصغر قدره .

فبكى المنصور وقال : ليتني لم أخلق في الدنيا ، ثم قال : كيف أحتال لنفسي ؟ قال : افتح الأبواب ، وسهل الحجاب ، وانتصر للمظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب ، وقسمه بالعدل والحق ، وأنا الضامن على الذين هربوا منك أن يأتوك ويشايعوك على صلاح أمورهم وأمورك وصلاح رعيتك .





■ **قاموس الظرفاء :**

الثرثار : هو ذلك الشخص الذي يتكلم عندما ترغب في أن يصغي إليك .

المتعصب : شخص لا يمكنه تغيير رأيه ولا يريد تغيير الموضوع .

المؤرخ : رجل يسير إلى الوراء .



ضحكات عربية

■ **كذبنا ، فكذب**

● أنشد بشار بن برد قصيدة في مدح المهدي ، فلم يعطه شيئا ، فقيل له : إنه لم يستعذب شعرك يا أبا معاذ . فقال بشار : والله لقد قلت فيه قصيدة لو أثنى بها أحد على الدهر ، ما خشي صروفه . ولكننا كذبنا فيه القول فكذّب هو أملنا فيه .

□□□

■ **حافظ والأب والابن**

● دخل رجل يكرهه حافظ إبراهيم على مجلس كان فيه حافظ مع بعض أصدقائه . ولاحظ الأصدقاء تأفف حافظ من وجوده ، وبعد أن خرج الرجل بقليل دخل شاب فسلم عليه حافظ سلاما فاترا . ولما سأله أحد أصدقائه عن هذا الشاب قال : إنه ابن اللئام « اللي آم » .

□□ـ

[redacted]

● عندما يكون الناس متفقين معي ، أشعر بأنني مخطيء .

اوسكار وايلد

● كثير من الزيجات بائسة وتعيسة ، لأن الزوج كان يتناول العشاء مع زوجته بدلا من سكرتيرته .

تشرشل

● ليس عيبا أن يكون المرء فقيرا ، ولكنه أمر مزعج جدا .

سيدني سميث

● لسانه يدور باستمرار في حلقه ، بحيث أن الصدى ينبغي أن ينتظر موته ليردد آخر أقواله .

كونغريف



نصف الحقيقة

● قال الكاتب دو ولش لزميله دار لنكور : أتدري أننا ـ أنا وأنت ـ أعظم ناشرين في أوربا ؟

فقال دار لنكور : يمكن أن يكون في كلامك هذا نصف الحقيقة .

تمت عبيدة

● كانت لرجل من العرب امرأة رعناء . دخل عليها يوما وهي مغضبة ، فقالت : مالك لا تشبب بي كما يشبب الرجال بنسائهم ، فقال : إني أفعل ! وأنشدها :

تمت عبيدة إلا في ملاحتها
والحسن منها بحيث الشمس والقمر
ما خالف الطبي منها حين تبصرها
إلا سوالفها والجيد والنظر
قل للذي عابها من حاسد حنق
أقصر فرأس الذي قد عيب للحجر

من القلب

أمر لا يصدق

● وقفت سيدتان أمام لوحة الميلاد للرسام رامبرانت في متحف اللوفر ودار بينهما هذا الحوار :

ـ لماذا كل هذا البؤس الذي يظهر في اللوحة يا عزيزتي ؟

ـ أنت تعلمين أن هؤلاء الأشخاص كانوا فقراء ، ويعانون من مصاعب مالية .

ـ هذا أمر لا يصدق ، ليس معهم مال ويطلبون من رامبرانت أن يرسم لهم لوحة زيتية !



رامبرانت

■ لماذا ؟

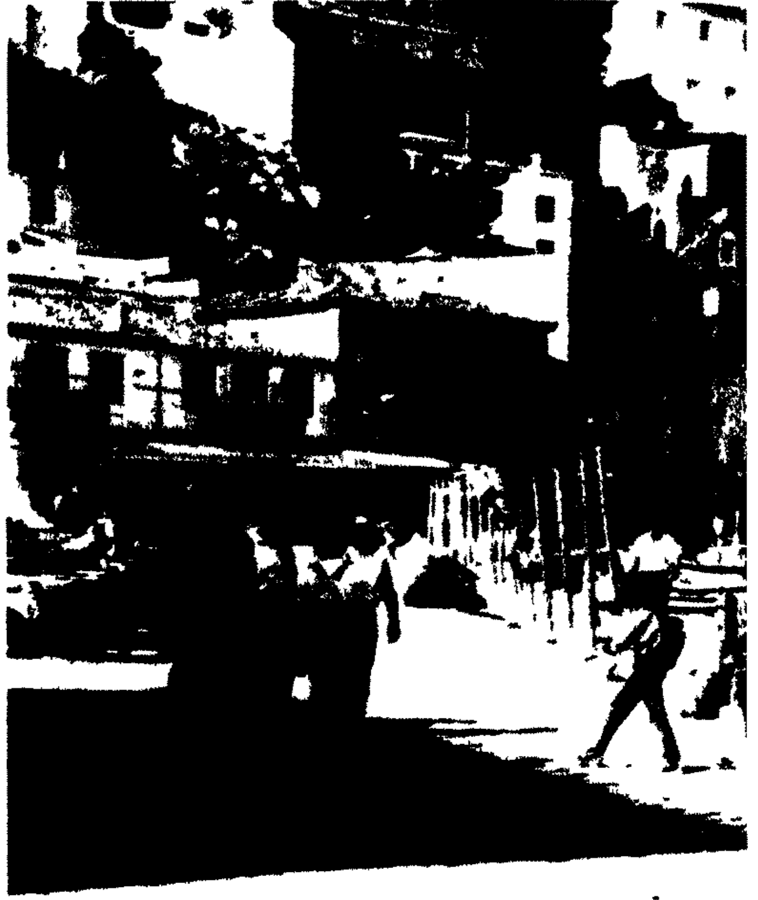
● كان تريستان برنار في كواليس أحد المسارح عندما اصطدم به عامل يحمل فوق كتفه ساعة كبيرة من تلك التي تعلق على الجدران ، فرماه العامل أرضا ، فما كان من برنار إلا أن التقط قبعته ثم قال للعامل : لماذا لا تحمل ساعة يدوية كما يفعل سائر الناس ؟





اليونان

وجه آخر بلا أقنعة !





«عن يونان أخرى حاولنا أن نبحث ،
ـ بعيدا عن السياحة والسياح
والجزر والصور الملونة ـ
عن الضفة الأخرى
التي لايراها آلاف الزائرين
الذين يكتفون بالاستمتاع بالشمس
والبحر والخصوصية المفرطة .
إلى اليونان مهد الحضارة والتاريخ ،
أمّ اليونانيين سادة البحار وملوك التجارة
والمطاعم والسمسرة ،
هبطنا ذات يوم !»

استطلاع :
محمود عبدالوهاب
تصوير :
طالب الحسيني

لكل ماهو يوناني وقع غريب في نفسي ، وقع يمتد في الذاكرة إلى سنوات بعيدة . في صباي الباكر ، ونحن مازلنا تلاميذ صغارا ، وفي بداية عهدنا بالرجولة الباكرة ، كنا نتجمع مجموعة أصحاب في مقهى بمدينتنا العربية الصغيرة . كان صاحب المقهى «الخواجة ديمتريو» ـ كما كنا نسميه ـ وكان مقهاه أنظف مقاهي المدينة وأجملها ، يتناوب الخدمة فيها هو وزوجته المفرطة البدانة وابنه ميخائيل . وكنا ـ ككل أهل المدينة ـ نسمى مقهاهم مقهى «الإجريج» ، وكان «ديمتريو» صديقا لكل زبائنه ، بدءا من كبار الموظفين إلى صغار الطلبة .

وفي زمان لاحق ، بعد هذا الزمان ، قضيت ليلة شتوية أقطع الطريق من مدينتنا إلى الميناء ،

لكي أودع أخي المسافر إلى اليونان ليعمل مهندسا بحريا على ظهر سفينة يونانية ، وظل أخي سبع سنوات هناك ، يرسل إلي الرسائل ، يحكي لي عن البحار والموانيء ، ولكنه بعد كل ميناء يعود إلى «بيريه» الميناء اليوناني ، ويفتنني بالبيوت التي يحكي عنها ، وبالبشر الذين يعاشرهم .

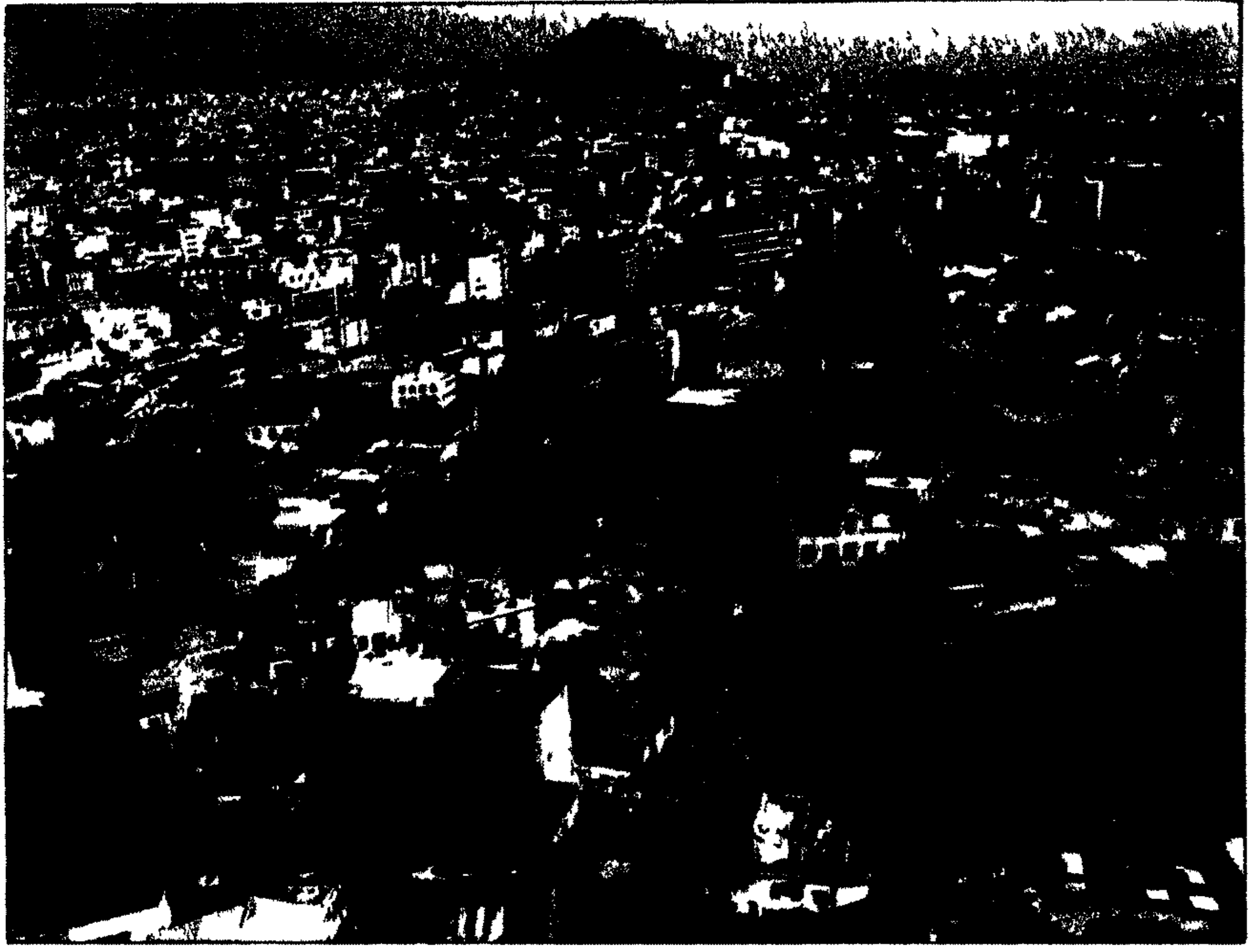
وبعد ذلك الزمان ـ بزمان طويل ـ هبطت مطار أثينا الدولي ، في الثانية والنصف صباحا ، لتستقبلنا عاصمة اليونان استقبالا بلا مودة ، كانت سيارات الأجرة في يومها السادس من الإضراب ، ولم نجد سيارة تنقلنا من المطار بحقائبنا وأمتعتنا .

اقترب منا شاب يوناني رقيق ، ابتسم في وجوهنا ، سألنا هل نبحث عن سيارة ؟. لم ينتظر إجابتنا ، قال لنا : سيارات الأجرة مضربة ، صديق لي سينقلكم بسيارته الخاصة ، سيتقاضى ستة آلاف دراخمة فقط ! كنت من سؤال الأصدقاء قبل السفر أعلم أن سيارة الأجرة لاتزيد أجرتها من المطار إلى وسط المدينة عن ٥٠٠ ـ ٦٠٠ دراخمة ، وبدأت المساومة ، وهزمنا الليل والحقائب والإضراب ، فقد رضي بخمسة آلاف فقط ! أي عشرة أمثال الأجرة الطبيعية المقررة ، وانطلقت السيارة تنهب شوارع أثينا في ليلة صيف حارة .

جيرة الأقوياء

على أطراف أوربا تقع ، وتحديدا في أقصى الطرف الجنوبي لمنطقة جنوب شرق أوربا ، وهي بذلك شبه جزيرة محاطة بالماء من ثلاث جهات ، من الشمال الغربي والشمال الشرقي محاطة على الترتيب بكل من يوغسلافيا ، وألبانيا وتركيا وبلغاريا . وقد كان لموقعها هذا تأثير طويل ومعقد على تاريخها كله ، فامتداد شواطئها على البحر الأبيض المتوسط ، ومئات الجزر التابعة لها ، جعل من البحر وأعماله مصدرا مهما للعلاقات الإنتاجية ، والنشاط الاجتماعي في الجزء المطل على البحر ووجودها مطلة على البحر الأبيض ، بؤرة الدنيا . وقلب حركة التاريخ ، ساهم كثيرا في أن تطل اليونان على العالم ، وتنقل معارفها وحضارتها إلى آفاق الدنيا . ووقوعها في منطقة البلقان جعلها عرضة لموجات الهجرة والغزاة والعابرين ، فظل جزء من أراضيها تابعا لتركيا (السلطنة العثمانية) حتى بداية هذا القرن فقط !، وفي الحرب العالمية الثانية اجتاحتها مع كل البلقان جيوش هتلر ، وبدأ صراع القوى العظمى حولها ، حتى تم الاتفاق بين روزفلت وتشرشل من جهة ، وستالين من جهة أخرى على أن تكون كل البلقان ماعدا تركيا واليونان منطقة نفوذ سوفيتي .

وتبلغ مساحة اليونان ١٣٢ ألف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها يزيد عن عشرة ملايين نسمة (احصاءات منتصف ١٩٨٦ م) ، ومتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي الاجمالي ٣٦٨٠ دولارا في السنة ، أي مايعادل ٣٠٦ دولارات في الشهر تقريبا (الدولار الواحد يساوي ١٤٧ دراخمة) ، ومتوسط الدخل هذا ـ كما يقول كثير من اليونانيين ـ متوسط مبالغ فيه ، فعلى الرغم من أن الأرقام صحيحة ، وتعلنها حكومة اليونان ، ويوردها البنك الدولي في تقاريره ، فإن اليونانيين يقولون هذا هو المتوسط النظري ، عندما نوزع إجمالي الدخل القومي على إجمالي عدد السكان ، ولكن الحقيقة أن السكان لا يحصلون على نصيبهم بالتساوي ، كما تقول نتائج هذه القسمة العجيبة . ويبلغ المعدل السنوي للتضخم ٢٧٪ بعد أن كان في عام ١٩٨٦ ٢٠٪ فقط ، ولذلك فإن الأسعار تقفز بجنون ، وحتى عام ١٩٨٠ كان معدل التضخم ١٠٪ فقط . ويعتمد الاقتصاد اليوناني في الأساس على الخدمات ، وعلى رأسها السياحة ، ويكوّن قطاع الخدمات ٥٤٪ من


● منظر عام لمدينة أثينا كما تبدو من فوق الاكروبولس

هيكل الانتاج اليوناني ، بينما تساهم الزراعة بـ ١٧٪ فقط والصناعة بـ ٢٩٪ ، ويبلغ إجمالي ديون اليونان ٢٠٨٦٢ مليون دولار حتى أوائل عام ١٩٨٧ م ، يبتلع سداد الأقساط والفوائد مانسبته ١٤,٧٪ من إجمالي الناتج القومي ، وما قيمته ٣٢٪ من قيمة عائدات صادرات السلع والخدمات .

وكان انضمامها إلى السوق الأوروبية المشتركة في أواسط الثمانينيات سببا إضافيا لتلتهب الأسعار ويزداد عبء الحياة وتكاليفها.

اكتشافات أولية

في الطريق من المطار إلى قلب المدينة سألنا سائق السيارة عن موقع فندقنا بالنسبة إلى قلب



● خريطة اليونان بعض المدن وبعض الجيران



أثينا ، وعندما علمنا أنه بعيد عنها طلبنا منه أن يساعدنا في البحث عن فندق آخر في قلب العاصمة ، تحسبا لاستمرار إضراب سيارات الأجرة ، وبدأت مساومة جديدة . قال لنا : إنه سيذهب أولا إلى فندق يعرفه ، وإذا لم نجد فيه مكانا ، فإنه سيزيد الأجرة مقابل بحثه معنا ، وأسعدنا الحظ ، ووجدنا غرفة في الفندق الذي ذهبنا إليه ويقع الفندق في قلب منطقة تجوال المشاة في وسط العاصمة ، وهي المنطقة التي لايسمح للسيارات بدخولها ، وهبطنا على الرصيف ، ووقف أحدنا بجوار الحقائب وحمل الآخر حقيبته وذهب للفندق .

سألنا عن عامل يحمل الحقائب فقال لنا موظف الاستقبال : لاتوجد لدينا هذه الخدمة ، فحملنا حقائبنا وسرنا إلى بوابة الفندق .

أمام الفندق مباشرة مقهى صغير ، يقدم وجبات الإفطار الخفيفة مع الشاي والقهوة ، وفي الصباح الباكر وأنا أفتح الشرفة وجدت عامل الفندق يعبر المسافة بين باب المقهى وباب الفندق حاملا لنا إفطارنا ، ولكي أتأكد ، طلبت منه أن يغير لنا قطعة الفطيرة التي أحضرها بنوع آخر ، ووقفت أرقبه من الشرفة ، فوجدته ذاهبا حاملا الطبق ، وغير الفطيرة وعاد إلينا .

عند هبوطنا سألت عن الفرق في سعر الغرفة مع الإفطار وبدونه . فاكتشفت أن الفرق يصل إلى حوالي ٧٥٠ دراخمة . عبرت المسافة بين الفندق والمقهى ، وقرأت أسعار الفطائر والقهوة والشاي ، واكتشفت أن الفندق يتقاضى من الفرد الواحد منا ٥٠٠ دراخمة بلا وجه حق إلا لعبور العامل ثلاثة أمتار بين بابي المقهى والفندق .

بدأنا جولة الصباح الأولى ، ومحاولة التعرف على المدينة . خلف الفندق ميدان السنتجيما حيث يطل عدد من الفنادق الكبرى على الميدان ، ومن جانب آخر نصب الجندي المجهول ، حيث يتجمع عشرات السياح لمشاهدة منظر تغير الحرس ، في قلب الميدان عدد متلاصق من مقاهي الرصيف ، ويقف السقاة يلوحون لك ويهتفون عليك ، يكادون يجذبونك من يديك للجلوس في المقاهي . بامتداد الشارع الطويل الذي يبدأ بميدان السنتجيما ، وينتهي بساحة أمونيا ، تنتشر العمارة اليونانية ، بيوت لها طعم ومذاق ، شكل عمارة قريب من النمط المنتشر في المدن العربية العريقة ، كدمشق والاسكندرية ، والقاهرة . على يمين السائر المتجه إلى ساحة أمونيا تنتصب أكاديمية الفلسفة ، مبنية على الطراز الأغريقي : الأعمدة ، السلالم ، الطابق الواحد ، وعلى الأعمدة تنتصب تماثيل لرموز اليونان الخالدة : سقراط ، أفلاطون ، أرسطو ، أبوللو .

الأرصفة عالم آخر ، باعة أوراق يانصيب يتفننون في عرض أوراقهم ، باعة جائلون يعرضون الملابس ، معروضات لمحلات تخرج بضاعتها على الرصيف .

واليوناني تاجر حتى أظافر قدميه ، يعرض بضاعته ، يقترح عليك تذوقها ، يبتسم ، يشير بيديه وتعبيرات وجهه وكلماته الحميمة ، ليقنعك أن بضاعته لامثيل لها في السوق كله ، وأنك ستربح لو اشتريت . تسأل عن السعر ، فيبتسم ، ويسألك هو ، كم كيلوجراما تريد ! . عند هذا الحد من التفاوض كنا ننصرف .

في ساحة أمونيا ينتصب تمثال من الصدف الأخضر لطائر البحر الخارج من الماء ناشرا جناحيه ، وجذعه على هيئة إنسان ، وعلى امتداد الأرصفة الدائرية المحيطة بالساحة تنتشر الأكشاك ، وباعة اليانصيب ، والمتسكعون ، والمقاهي . داخل المقاهي تسمع رنين زهر النرد ولعبة الطاولة ، وبعض الاشخاص الواقفين يلعبون « الثلاث ورقات » ، يديرها الرجل بين يديه ويقلبها على وجوهها ، ويسألك أين الصورة ، وهي لعبة قمار لاتتم إلا بالنقود ،

وبين الزحام عليك أن تسير على الأرصفة لتنتقل من جانب إلى جانب آخر ، أو لتهبط وتستقل مترو الأنفاق إلى ميناء «بيريه» .

السفن المشرعة

فور خروجنا من محطة المترو عند الوصول إلى بيريه شممنا رائحة اليود التي تعبق في أجواء الموانيء ، البحر يواجه «المترو» و «الاتوبيس» ، ولأن الشارع ضيق فالزحام شديد . على الشارع المطل على البحر تنتشر مكاتب السفر ووكالات الشركات البحرية . في المرسى ثلاث سفن شحن كبيرة ، والعمال منهمكون في تعبئتها ، وفي طرف الميناء مراكب صغيرة للسفر والتنقل بين الجزر التابعة لليونان .

بيريه لاتبدو كمدينة منفصلة ، بل هي أقرب لتكون امتدادا وضاحية ، المسافة بينها وبين أثينا بمترو الأنفاق تستغرق عشرين دقيقة فقط . داخل الشوارع المتعامدة مع شارع الميناء تنتشر محلات لوازم البحر ، تبيع أدوات مختلفة ومتباينة ، بدءا من الحبال إلى أدوات الصيد ، والمقاهي والمطاعم الرخيصة ، وفي الشوارع ينتصب سوق الخضراوات وسوق السمك . على مقهى في الشارع كان الحديث عاليا والأصوات عربية . جلسنا مع أربعة من العرب يعملون في البحر على إحدى المراكب اليونانية ، أقدمهم يعمل منذ تسع سنوات ، وأحدثهم منذ ثلاث سنوات ، المركب التي يعملون عليها مخصصة للشحن ، وهم يطوفون العالم ، ينقلون بضاعة من هنا إلى هناك ، وقد تطول بهم الرحلة قبل أن ترسو بهم المركب في ميناء ، وفوق ظهرها لاركاب ولا بشر غير طاقمها ، وهم خليط من الجنسيات ويقولون : إن الرواتب لاتوازي الجهد ولا المشقة ، وسماسرة العمل امتصوا دماءهم في البداية ، فلا يستطيع عامل أن يلتحق بسفينة أو يعمل لدى شركة مباشرة ، ولكن كل فرص العمل يحتكرها عدد من «السماسرة» الذين يتقاضون نصف راتب سنة . ويجزم بعضهم أن هناك تواطؤا بين بعض موظفي الشركات و «والسماسرة» ، حيث ترفض الشركات العمال عند تقدمهم إليها مباشرة ، بحجة عدم الحاجة إلى عمال ، ليفاجأوا بأن الشركة نفسها قبلت عمالا آخرين ، ولكنهم تقدموا من خلال «سمسار» .

والأسطول البحري اليوناني يمتد في كل بحار الدنيا ، واليونان سادس دولة في العالم من حيث الأسطول التجاري وحجم عملياته . ولقطاع النقل البحري وعالم الأساطيل قواعد خاصة ، وعالم مغلق على أصحابه ، وعائداته بالملايين ، وأصحابه يتحكمون في جزء مهم من تجارة العالم ، ولذا فإنهم يمثلون قوى لايقترب منها أحد . وشركات الملاحة شركات عملاقة ، لاتكتفي بلعبة المال فقط ، ولكنها تلعب في بحار السياسة والاقتصاد ، مستمدة قوتها من



● باعة « اليانصيب » مشهد متكرر

سفنها المشرعة التي تجوب مياه العالم حاملة السلع والوقود والثروة .

المسجد والكنيسة

حرص اليونانيين على تأكيد هويتهم وشخصيتهم أمر دونه الموت ، وعلى الرغم من خضوع مناطق من اليونان الحالية للسيطرة أوقاتا طويلة ، فإنهم يحملون كراهية شديدة لهذه الفترة ، وهم شديدو الحرص على إهمالها ، وفي الوقت نفسه يؤكدون على كل ما هو يوناني ، وكل ما هو كنسي ، وعندما هبطنا سالونيك كنا ندرك أن هذه المدينة كانت من التابعية العثمانية فترة زمنية طويلة ، امتدت من القرن الخامس عشر الميلادي ، ولم تنضم إلى اليونان إلا في عام ١٩١٢ م ، وعندما تحررت حدثت مذبحة هائلة في المدينة ، واندفع اليونانيون لهدم المساجد ، ودثر الآثار التركية ، والإفراط في بناء الكنائس ، حتى أقاموا في شارع جانبي خلف قوس النصر الكبير الذي مر منه الملك قسطنطين الأول ، والذي تحررت سالونيك في عهده ، أقاموا كنيسة على الرصيف ، مبنى صغير من الخشب والزجاج الملون ، والمبنى أقرب للكشك المتسع منه إلى البناء ، أقاموه لأنهم لم يجدوا أرضا خالية ليشيدوا عليها كنيسة ضخمة ، وعلى الرغم من ذلك فقد استولوا على المسجد الكبير الذي كان بالمدينة ، وحولوه إلى كنيسة تدق فيها الأجراس ، علّها تنسيهم مرارة الفترة التركية . ولعل أصدق تعبير عن إحساس اليونانيين بالفترة التركية هو ما صوره أعظم روائييهم ، ومن أعظم روائيي القرن العشرين كازنتزاكس في معظم أعماله ، وهو يصور ـ مثلا ـ الوالي التركي في رواية (المسيح يصلب من جديد) كشخص ثقيل كريه شهواني عبثي دموي ، وعلى الرغم من أنه في معظم الرواية



● يقرأ الأرقام الفائزة في سحب « اليانصيب »



● يسألان عن موعد السحب الجديد

يطل على القرية فقط من شرفته ، لكن مجرد وجوده ووصفه لمشهد الشرفة يمنح القارىء إحساسا بثقل الهواء وعفنه الذي يحيط بهذا الوالي .

تقع سالونيك في أقصى الطرف الشمالي الشرقي لليونان ، وهي أقرب للحدود التركية ، حولها تنتشر الأماكن التاريخية ، غربها المنطقة التي ولد بها الاسكندر الأكبر ، وبقايا القصر الذي ولد فيه ، والذي لم يتبق منه إلا ساحة فيها بعض البلاطات الملونة وبضعة أنصاف أعمدة .

وشرق سالونيك مدينة «كاڤالا» ، وهي تبعد عنها ١٥٧ كم ، وفيها البيت الذي ولد فيه محمد علي باشا الذي دخل التاريخ بولايته لمصر ، وتجربة الدولة الحديثة التي أقامها فيها . واسم المدينة كما هو في كل كتب التاريخ التي درسناها بالعربية «قولة» وهو نطق مغاير لاسمها الصحيح ، والسبب أننا نقلناه عن الأتراك ، والأتراك ينطقون الواو «ڤا» ، ومن هنا قولهم «لمروة» مرڤت ، ولولد «ڤالد» ، والقاف حرف عربي خالص ، يبدو أننا استبدلناه بالكاف ، ظنا منا أن أصل الكاف في الاسم هو قاف ، وقفت أسأل (هيلين) ، عاملة الاستقبال في الفندق الذي أقمنا فيه في سالونيك «عن كيفية الذهاب إلى «كاڤالا» ، قالت لي : إنها لاتعرفها . قلت لها لتقريب الأمر إليها : حيث ولد محمد علي ـ نظرت إليّ باستغراب ، استدارت وسألت زميلتها : هل تعرفين محمد علي ؟ ردت زميلتها : أوه ! نعم ، إنه نبي المسلمين . ولم أجد مفرا من الذهاب إلى مكتب تأجير السيارات ، سألت الموظف ، قال لي : إنه ليس أمامي إلا استئجار سيارة أجرة ، عدت إلى موظفة الاستقبال ، قلت لها : إن مدينة «كاڤالا» تقع إلى الشرق على بعد كذا ، وعجيب ألاّ تعرَف مدينة فيها أثر تاريخي مهم ، فردّت بسرعة : مهم لماذا ؟ أنا أعرف المنطقة التي ولد فيها الاسكندر الأكبر كراحة يدي ، وقد زرتها خلال فترة الدراسة من الابتدائي إلى نهاية الثانوية بما يعادل مرتين كل سنة ، وفي امتحان نهاية العام كنت أرسم تخطيطا للقصر ، وأكتب نبذة عن تاريخه وتاريخ الاسكندر ، أما محمد علي فلم أسمع عنه قبل الآن .

استوقفنا سيارة أجرة في الطريق ، بدأنا المساومة ، ثالث سائق توصلنا معه إلى مبلغ



ظنناه معقولا : ستة آلاف دراخمة ذهابا وعودة وانتظارا هناك نصف ساعة فقط ، قبلنا هذا المبلغ لأننا مازلنا نتذكر الخمسة آلاف دراخمة التي دفعناها من مطار أثينا إلى وسط البلد .

احترقت بنا السيارة قلب الريف اليوناني ، الطريق صاعد هابط ، في مرتفعات ووديان ، على جانبي الطريق تمتد الخضرة والقرى والمزارع ، وأشجار الزيتون والكروم . وصلنا إلى كافالا بعد ساعتين ، سألنا عن الحي القديم ، وذهبنا إليه ، الشوارع بالغة الضيق لاتكاد تتسع لمرور السيارة ، ويخشى أن تصطدم حوابها بالمباني القديمة ظلت السيارة تصعد هضبة صغيرة في أعلاها ينتصب تمثال لمحمد علي باشا راكبا حصانه ، وبجواره البيت ، والبيت على قمة الربوة ، يطل على البحر مباشرة ، والبناء دو طابقين مهمل إهمالا شديدا ، وعلى الرغم من ذلك يبدو على البيت الخالي تماما أنه بيت لثري من تجار الدخان ،



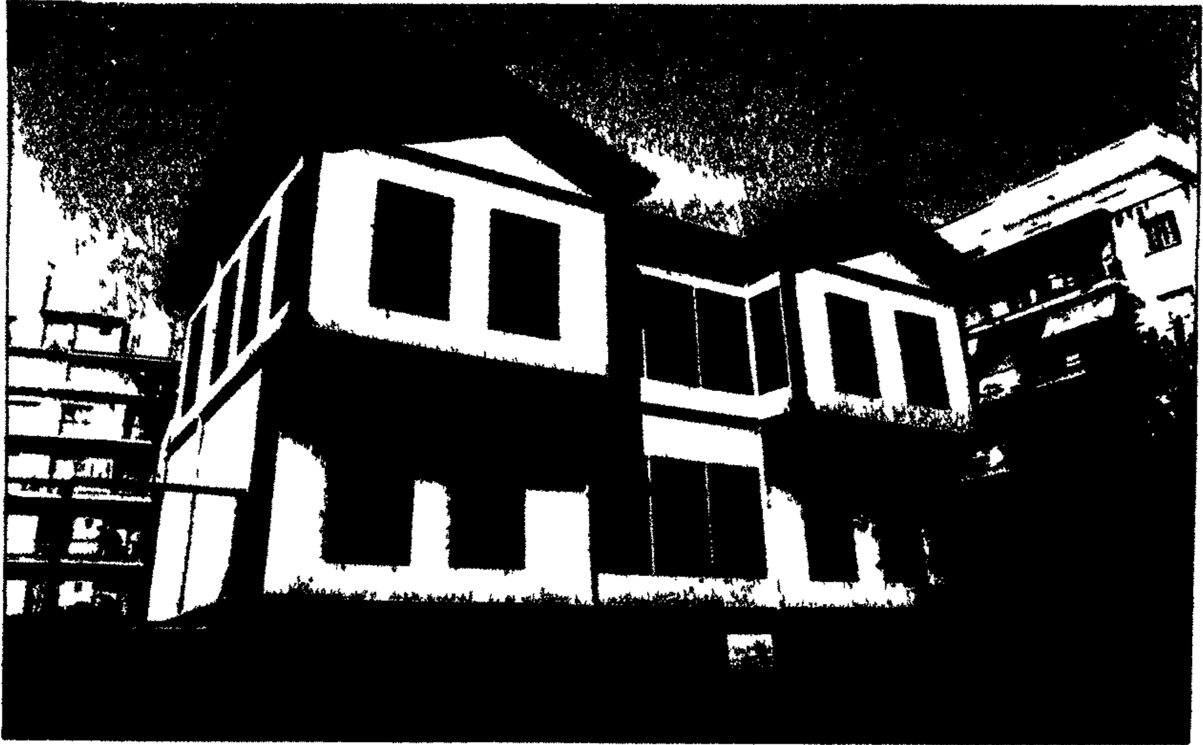
● رصيف ميناء « بيريه » السفن مشرعة والمسافرون متأهبون

تسع غرف ، صالات كبيرة ، أسرّة خشبية ملتصقة بالحائط . طوال طوافي بالبيت الرطب المعتم كنت أتساءل : أي أفكار كانت تطوف بذهن الصبي محمد وهو هنا ؟ أي أحلام راودته وهو ينظر إلى البحر ؟ وأي آمال كانت في خاطره وهو يلعب في حديقة البيت التي صارت مهملة ؟ وكلما خطت قدمي خطوة تساءلت : ترى هل خطا هنا الخطوة نفسها ؟ هل جلس هنا يوما حيث أطوف وأطأ وأنظر ؟ قطع سائق السيارة عليّ تداعياتي ، وقطع على زميلي المصور لتجميع النفايات .

اخترقت السيارة بنا الريف اليوناني لنعود إلى سالونيك مرة أخرى .

من هنا ولدت تركيا

في سالونيك يقع البيت الذي ولد فيه وعاش فترة طويلة مصطفى كمال أتاتورك ، أبو تركيا الحديثة ، وعندما انفصلت سالونيك عن تركيا وعادت إلى اليونان ، اشترى الأتراك البيت الملاصق لهذا البيت ، وأقاموا مبنى القنصلية

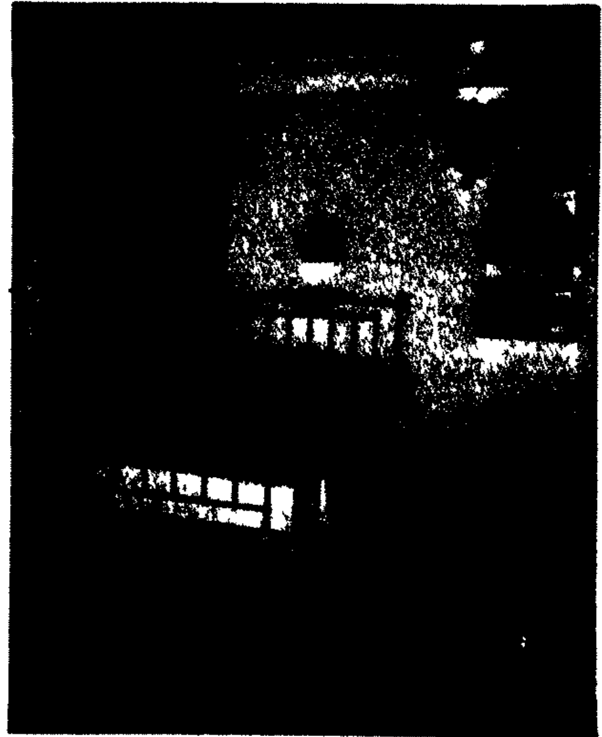


● منزل كمال أتاتورك مازال محتفظا به داخل مبنى القنصلية التركية في « سالونيك »

لقطاته ، ليذكرنا أن نصف الساعة قارب على الانتهاء . عند الهبوط وقفنا أمام الأوقاف المصرية ، وهي واحدة من المشكلات المعلقة بين مصر واليونان ، الأوقاف تمتد على مساحة شارع بأكمله طولا ، وتمتد عمقا ، ليتفرع أمامها ثلاثة شوارع ، وهي تكية وسبيل ، ومدرسة ، وكلها مغلقة . بعضها استخدمه التجار كمخازن ، وحراسها حولوه إلى مكان التركية ، وأحاطوا المبنى بسور ضخم ، لكي يظل بيت أبي تركيا الحديثة في أراضي تركيا ، وفق العرف الدولي الذي يقضي بأن أراضي البعثات الدبلوماسية تعد أراضي لهذه الدول .

بيت أتاتورك على النقيض من بيت محمد علي ، من حيث العناية والنظافة والرعاية ، ذهبنا إلى القنصلية ، ولأن اليوم يوم أحد لم يكن بها إلا موظفو الأمن . حاولنا أن يمنحنا المسؤول

منهم إذنا بالدخول ، فرفض رفضا قاطعا ، قلنا له نحن قادمون من بلاد بعيدة وسنغادر سالونيك عند الفجر ، فأصر على الرفض ، ومع الإلحاح والمساومة ومائة دولار قبل أن يحادث السكرتير في المنزل ، فوافق السكرتير على أن ندخل دون تصوير ، ومع مائة دولار ثانية وكثير من الإلحاح وافق على أن يحادث القنصل وقال له ما قلناه نحن ، ونقل بأمانة وجهة نظرنا ، فوافق على أن ندخل مع آلة التصوير ونلتقط الصور . في الحديقة شجرة رمان



● غرفة نوم كمال أتاتورك : فراشه وأغراضه

مزهرة ، زرعها كمال أتاتورك ، وفي الداخل كل متعلقاته : ثيابه ، أدواته الشخصية ، أواني الطعام ، فراشه ، كتبه ، عصاه ، قبعته ، متحف كامل ؛ مرتب ومنسق ومعتنى به ، احتفاء منهم بالمكان الذي عاش فيه الضابط مصطفى كمال أتاتورك فترة طويلة ، حيث كان يخدم في سالونيك .

وفي هذه الفترة بزغت فكرة حزب الاتحاد والترقي الذي قاد به أتاتورك تركيا إلى البعث الجديد الذي اختاره لها .

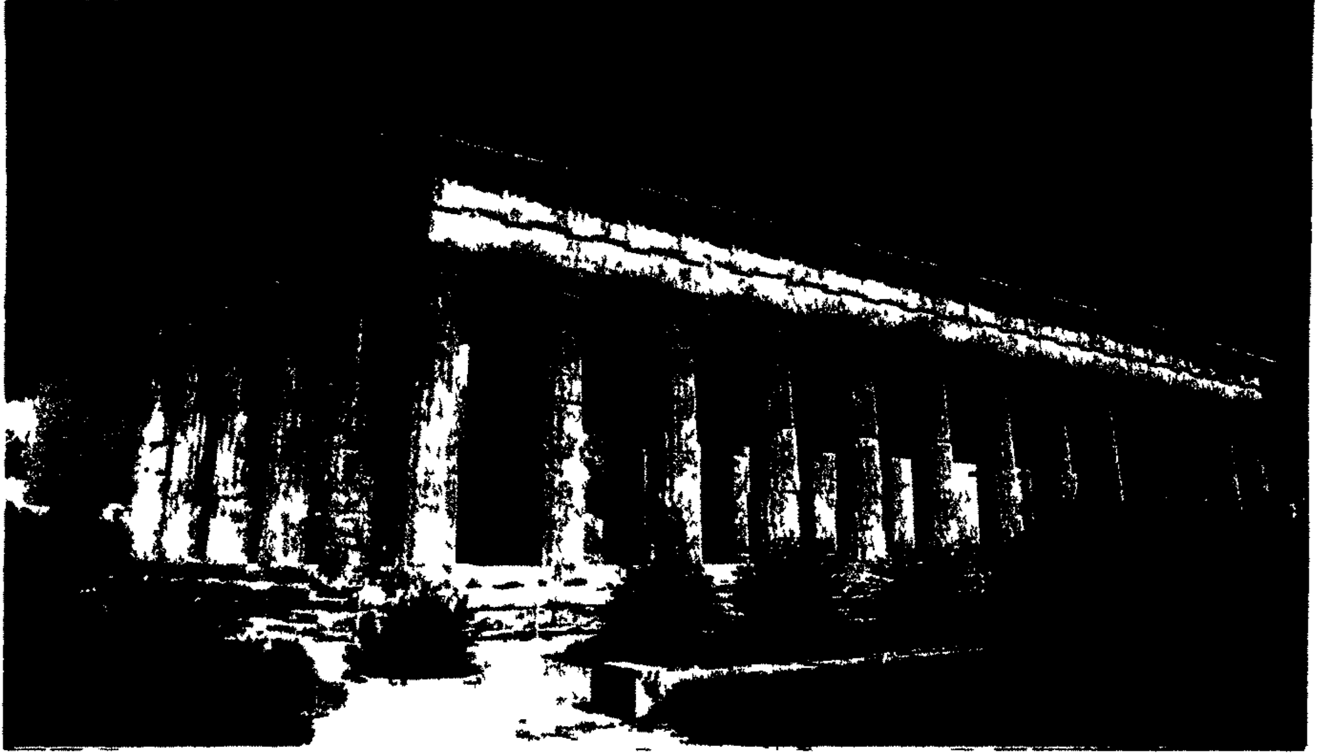
يونانيون حتى العظم

عدنا إلى أثينا صباح الاثنين ، كان إضراب سائقي سيارات الأجرة مازال مستمرا ولكننا تعلمنا ، فلم نبحث عن سيارة ، أخذنا «اتوبيس» خدمة ركاب المطار ، نقلنا إلى ميدان السنتجيما ، ومنه قطعنا المسافة إلى الفندق سيرا على الأقدام .

سألنا : ألم تبد بادرة انتهاء لإضراب سيارات الأجرة ؟ قالوا : اليوم ستعقد جولة جديدة من المفاوضات . وبدأ محدثنا في وزارة العمل يستفيض في شرح أسباب الإضراب وآلياته . قال لنا : إن الحكومة أصدرت قرارا بأن منطقة المدينة ستتناوب سيارات الأجرة دخولها ، بمعنى أن السيارات ذات الأرقام الفردية تدخل يوما ، وذات الأرقام الزوجية يوما آخر ، وذلك لتخفيف الزحام والضغط في شوارع المدينة ، وهاج أصحاب سيارات الأجرة وبدأوا يلوون ذراع الحكومة ، وأعلنوا عن إضرابهم ، ورفضوا دخول المدينة كليا ، وأصيبت حركة النقل بالتوتر ، وازداد الضغط على وسائل النقل العامة وازدحمت المركبات ، ولكن الحكومة مصرة على تنفيذ القرار مهما طال زمن الإضراب .

وقد ظل الاضراب قائما حتى غادرنا اليونان كلها .

في وزارة الثقافة التقينا مديرة التخطيط الثقافي ، حاولت معها الاقتراب من تفسير لظواهر كثيرة قالت : نحن حريصون أن نظل يونانيين حتى العظم ، وعلى الرغم من اختلاطنا واندماجنا الشديد بأوربا فإننا حريصون على هويتنا وشخصيتنا القومية ، لأننا لو فقدناها ، فسنصبح مسخا تائها وسط شعوب المنطقة ، وأعترف أننا لانجد جهدا شديدا ، لتأكيد ذلك



● مبنى برلمان أثينا القديمة هو المبنى الوحيد الذي مازال قائماً بشكل كامل

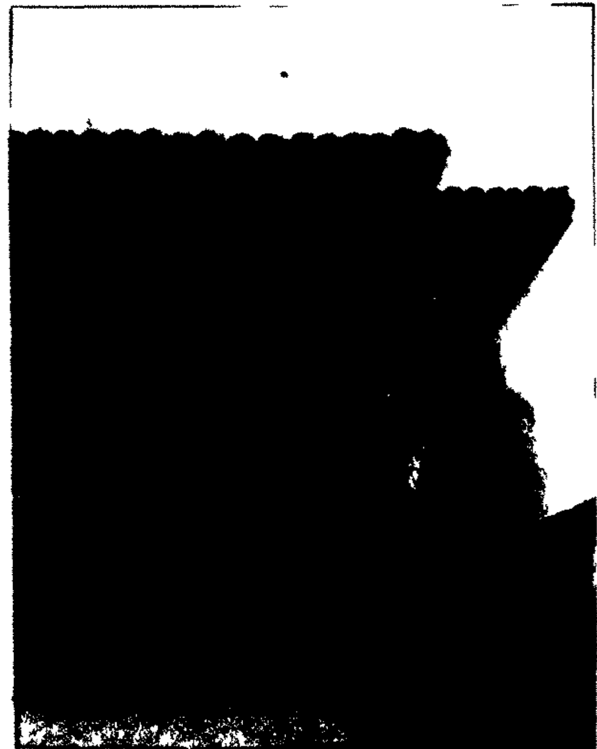
وتثبيته ، ادخل أي بيت ، مهما كان شكله ، ستجد الحياة داخله يونانية : العادات ، والتقاليد ، نمط الحياة ، الألفاظ ، الصيحات ، طريقة التعبير ، استخدام الأيدي في الإشارة وتوضيح معاني الكلام ، (ونحن في هذا مشتركون مع دول المتوسط في هذه العادة) ، ونحن في هذه الوزارة ننسق مع وزارة التربية في تدريس مناهج تؤكد هذا الاتجاه ، وتدعمه ، ونحن ندرس بجانب هذا الفنون الجميلة ، لأننا ندرك أن ارتقاء الذوق العام سيجعل المواطن يكتشف الجمال الرائع الذي تحتويه هويته القومية ، وتقدم الوزارة خدمات الأسعار الخاصة للموظفين والطلاب والصغار دون السادسة عشرة ، وأنا لا أتفق مع الرأي القائل إن لدى اليونانيين بعض الاستعلاء ، ولكن نحن سادة العالم ، قدمنا الحضارة عندما كانت البشرية طفلا أعمى ، وقدمنا الآداب والفنون عندما كانت الروح الإنسانية بهيمية ، وفي التاريخ الحديث كتبنا ملاحم فوق جبال اليونان دفاعا عن حريتنا وكرامة أراضيها ، نحن قدمنا كازنتزاكس ، وثيودرس وكنافيس دريتوس وماريا كالاس ، بعد الرموز الخالدة : أرسطو ، وسقراط وأفلاطون ، وارشميدس ، وفيثاغورس ، وقائمة طويلة ، كل واحد منهم له فضل في تاريخ الجنس البشري . ونحن أول من أرسى القيم الخالدة وعرّفها ، وقلنا إنها الحق والخير والجمال ، وعلمنا العالم المنطق والفكر الرياضي ، وعلى الرغم من ذلك نحن بسطاء مغرقون في حب الحياة والإقبال عليها ، ولأننا نحب الحياة ، فنحن نعرف كيف نقدمها للآخرين ، وكيف نسهلها لهم .

حياة لم تتغير

تستطرد محدثتي مديرة التخطيط الثقافي بوزارة الثقافة في الحديث بعد أن انضمت الينا رميلة لها من قسم التراث والثقافة القومية ، تقولان ردا



● الأوقاف الإسلامية في « كافالا » . إهمال ومحازن ونفايات .



● باب بيت محمد علي في « كافالا »

على تساؤلاتي : الحياة لم تتغير في الريف ، وبعيدا عن المدن الكبرى ، مازالت التقاليد سائدة ، فالبنت تتزوج من يرتضيه الأهل ، صحيح هناك قدر من المرونة ، ولكن لايصل الأمر أبدا إلى الخروج عن رضا الأسرة ، والأسر مازالت متمسكة بمعايير التكافؤ الاجتماعي والاقتصادي ، ولا تنظر برضا إلى زيجات بين طبقات متفاوتة ، والأبناء طوال فترة دراستهم مقيمون في بيت العائلة ، والأب ينفق ، ولكن فور تخرج الابن وتوليه عمله ، فإنه إذا لم يستقل بسكن ـ وهذا غير مقبول قبل الزواج ـ فإنه يساعد والده في نفقات المعيشة إذا كان الأب غير مقتدر . وعند الزواج تساعد الأسرة الابناء ،

ولكن هذا ليس إلزاما ، لكنه سائد بدرجة كبيرة في الريف ، واحتفالات الزواج تتم على الطريقة اليونانية ، الرقص الشعبي الذي يشارك فيه الكل كبارا وصغارا رجالاً ونساء وفيه الشواء والنبيذ ، وفي الميلاد يتم الاحتفال بعد أسبوع



● في الشوارع القديمة باعة « التذكارات » يمنحون الطرقات مذاقا خاصا

من ولادة الطفل ، عند التعميد ، وعادة يقام الاحتفال في بيت «اشبين» الطفل، وهو أبوه الروحي الذي يعمده ويختار له الاسم ، ويسارع الأهل والأصدقاء لتقديم الهدايا التي غالبا ماتكون من الذهب .

أقول متسائلا : ألا تدركين سيدتي أن هناك تشابها كبيرا بين التقاليد اليونانية وكثير من التقاليد العربية ؟ تقول : نحن في منطقة تأثير حضاري متبادل ، ونحن نشكل مع الوطن العربي إقليما جغرافيا ، والحضارة العربية بدأت بعد ترجمة الحضارة اليونانية .

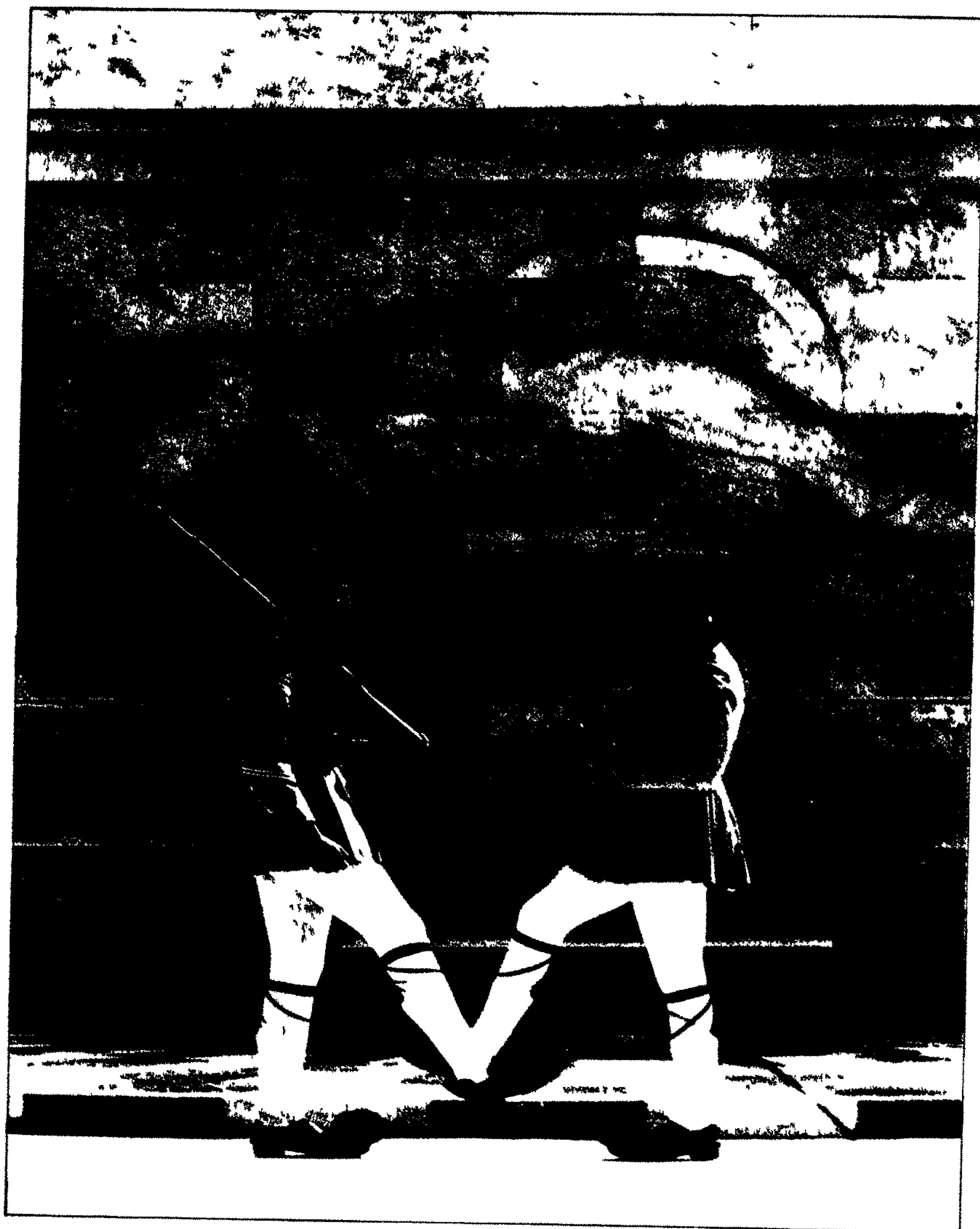
وموقفنا الجغرافي . وقربنا من الوطن العربي ، ساهما كثيرا في تشابه العادات والتقاليد . وأعقب ممازحا حتى هذا تدسين فيه الحضارة اليونانية ؟! فتضحك بطيبة سيدة عجوز وتقول : لا تنس أنني يونانية حتى العظم .

العائدون إلى الوطن

في الفندق ، في إدارة حكومية ، في مطعم ، في شارع ، أينما التفت تصطدم بيوناني أو يونانية تتحدث العربية ، تحكي مدام تريزا ، يونانية ، ولدت وعاشت في القاهرة وعملت فترة طويلة هناك حتى عام ١٩٨٢ ، عادت إلى ... ، تقول : جئت إلى هنا أنا وزوجي ، ب... أصبحت كلفة الحياة في مصر صعبة ، تصور أنني هنا سأستريح كثيرا ، ولكنني أعمل الآن في الحكومة ، وزوجي يعمل مهندسا في شركة خاصة ، ويضطر للتغيب أسبوعا كاملا بعيدا عن البيت ، ونكاد نستطيع أن نحيا نحن وبناتنا الثلاث . صحيح أن أهلي هنا ، أأتلف مع الحياة على الرغم من أن بيوتنا في القاهرة كانت يونانية بكل تفاصيلها اليومية ، لكن هناك شيئا لا أستطيع تفسيره فهناك شيء ما مفقود .

«ميشيل» متردوتيل في مطعم بأكبر فنادق أثينا ، الفندق يطل على ساحة سنتجيما ، في منتصف الخمسينيات ، عندما كان عمره خمس عشرة سنة غادر أبوه الاسكندرية ، وجاء معه ، وطوال فترة العشاء كان يطوف بين الموائد ، ويأتي إلينا يتحدث بالعربية ، ويحكي عن النادي «الأجريجي» بالاسكندرية ، ونادي الصيد ، والبحر ، ويسأل عن أسماء أماكن وبنايات ، وشوارع ، ويصف أين كان بيته . في آخر مرة جاء إلينا قلت له : ألم تقطع صلتك بكل هذا واسترحت ؟ نظر إلي وأغمض عينيه ، وقال بالانكليزية : نحن الغرباء الذين انقسمنا إلى نصفين ، وضاع قلبنا بين وطنين .

عاملة الهاتف في الفندق نفسه عندما ذهبت لأجري مكالمة دولية ، ولأنني بالطبع لم أكن



● مشهد تغير الحرس أحد المشاهد التي يحرص زائر و أثينا على متابعتها



● في جزيرة « أدلب » الشوارع الضيقة والبيوت البيضاء صورة للشوارع والقرى التقليدية

مقيما في هذا الفندق الكبير فإن النظام يقضي بأن أتحدث من الكابينة ، وأسدد نقدا ، وعندما عرفت أنني عربي أبدت عرضا بألا تأخذ النقود ، قالت : إنها من حي شبرا بالقاهرة ، وبالطبع دفعت النقود ومعها «بقشيش» سخي ، فقد كانت تتحدث العربية بطلاقة ، حيث إنها لم تعد إلا منذ ثلاثة أعوام فقط .

بقايا أحجار ما قبل الميلاد

أخذنا «الاوتوبيس» لنذهب إلى «الأكروبولس» ، فوق الهضبة الشهيرة التي تستلقي تحتها أثينا ، تتناثر الآثار اليونانية القديمة ، عمرها يعود إلى أكثر من ٢٥٠٠ عام ، أى ماقبل الميلاد ، وبفعل الزمن فقد تهاوت معظم هذه الآثار ، ولم يبق منها إلا أطلال وبقايا أعمدة وحفر الأساس ، ولافتات تقول : هنا كان كذا ، وهنا كان كيت ، والمبنى الذي مازال قائما بشكل يكاد يكون كاملا هو المعبد المقدس لآلهه أثينا (Eigora) ، وكان بمثابة البرلمان ، وهو أول برلمان في التاريخ ، وحول المعبد والبرلمان كانت تدور الحياة والبيع والشراء ، فالبرلمان بموقعه يتوسط المدينة كلها ، وداخله كانت تدور المناقشات ، وتبرم العقود ، وتعلن الحرب ، ويتفق الزعماء أو يختلفون ، وعلى الرغم من قلة الآثار اليونانية قياسا بعديد من المدن العربية كالقاهرة ، والأقصر ، وبغداد ، ودمشق ، وصنعاء وغيرها فإن اليونانيين يتفننون في بيع المنطقة إلى السياح ، وهنا جانب من ذكاء اليوناني التاجر ، وبائع الخدمات قريب من «الأكروبولس» منطقة بلاكا ، والمنطقة كلها هي



● المساومة سر التجارة في كل اليونان ساوم في أفخم المحلات أو مع باعة الأرصفة

الجزء القديم ، شوارع ضيقة ، بيوت ذات طابق واحد ، بيضاء ، الورود والخضرة تتدلى من نوافذها وعلى أبوابها ، الشوارع مبلطة ، وصاعدة هابطة ، وداخل الشوارع وفي نهايتها تنتشر المحلات التي تبيع المصنوعات التقليدية ، وفي المقاهي في الليل لاتجد مقعدا تجلس عليه ، حيث يصعد أهل أثينا والسياح الهضبة المقدسة ويقضون سهراتهم إلى وقت متأخر من الليل في مقاهي البلاكا ومطاعمها ، وساحاتها ، وتفوح رائحة الشواء ، ويلمع النبيذ اليوناني في الأكواب الزجاجية ، ودندنات عازفي الموسيقا ودقات الأقدام ، ونقرات الأصابع على المنضدة ، والغناء الدافيء الشجي الذي يتسلل إلى الروح حتى وإن كنت لاتفهم اللغة ، ولا تحتسي النبيذ ، ولا تأكل اللحم الذي لاتعرف إن كان مصدره خنزيراً أم بقراً ؟ ولكن المكان والغناء والنور الخافت والهضبة العالية المقدسة ، والبشر الذين يضحكون ويبتسمون ويتوادون دون سابق معرفة ، كل هذا يجعلك قريبا من المكان ، متفاعلا مع كل من ما حولك .

الجمال البسيط

عدنا لبيريه مرة أخرى ذات صباح ، لنستقل مركبا متجهين إلى جزيرة أدلب ، ساعة ونصف ساعة ، بالدلفين الطائر ، ووصلنا إلى الجزيرة . الجزيرة نموذج مصغر لقرية يونانية ، البيوت ذات الطابق والطابقين ، البيوت كلها باللون الأبيض ، والأبواب زرقاء ، والبغال والحمير هي وسيلة الانتقال ، ومعظم مباني القرية «بنسيونات» ، وفنادق صغيرة ، وعلى التل المشرف على القرية تنتصب الكنيسة ، على بواباتها بقايا سعف النخيل ، والسكان إما يعملون بالزراعة خلف التل ، وإما يعملون بالفندقة وخدمة السياح . عند سفح التل من الجهة الثانية السفح المواجه للبحر هو جانب الفندقة ، والحياة مفرطة في البساطة ، الناس تسير بأي



● محلات مدخل حي « بلاكـا » تتفنن في عرض محتوياتها على الأرصفة



● عارف البيانولا على وجهه كل متاعب عمره ، ومازال يطوف الشوارع ، ويبيع الموسيقا والذكريات

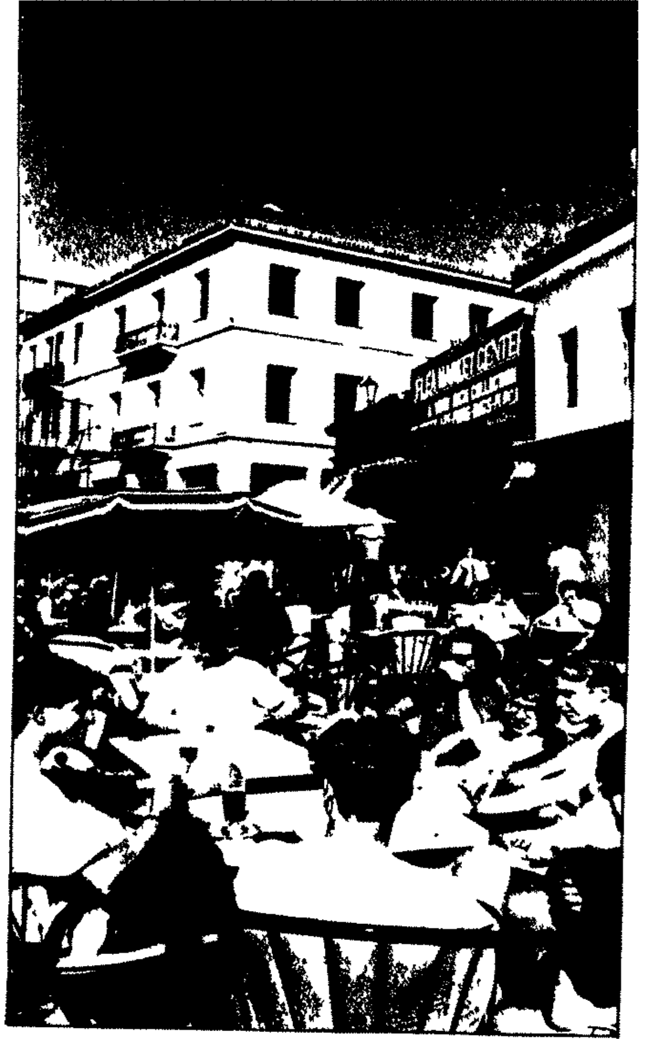
والمناضد .

جمال مفرط في بساطته ونظافته وطبيعته ، جعل من أدلب ومئات الجزر الأخرى محطة وصول لملايين من السائحين،الذين يهبطون إلى المطار ومنه مباشرة إلى الجزيرة ثم إلى طريق العودة ، لايحاولون أبدا اقتحام المدينة ، ولا الذهاب إلى التلوث والضجيج والبنايات الاسمنتية ، والطرق «الاسفلتية» .

على المقهى الذي يواجه الميناء يجلس الرواد ، سواء قصيروالاقامة أو المقيمون فترة طويلة ، ويتعارف الرواد ويتحادثون ، ويسأل كل منهم الآخر : أين كنت مساء الأمس ؟ لم نرك في المقهي !. ويقول ثان : مررنا أمام فندقكم وأطلقنا صفيرا تحت نافذتكم ولم نلمح ضوءا ، وعلاقات بسيطة تتناغم مع بساطة المكان وجماله الذي يغري الجوالين السريعين أمثالنا بالإقامة طويلا ، مع كثير من الكتب وبعض الصحاب ، ولكن الاستمتاع بالجمال ترف آخر لا يستطيعه الكثيرون .

الجانب الآخر

ويتدفق على اليونان ملايين السياح سنويا . وفي آخر احصائية متاحة كان عدد السياح الذين دخلوها في صيف ١٩٨٧ ثمانية ونصف مليون سائح ، انفقوا مليونين و٨٣٣ ألف دولار امريكي ، ويفتن السائحون بجزر اليونان ، ويهرعون إليها ، وكثير من البطاقات المصورة واللوحات والتقويمات الملونة تحفل بصور مختلفة لهذه الجزر ، حتى السينما العالمية صورت أكثر من فيلم فيها ، ولم نذهب إلى الجزر التي تقدمها السينما واللوحات والبطاقات المصورة والأفلام التسجيلية في التلفاز . ذهبنا نحاول أن نرى اليونانيين أنفسهم ، نقترب من ضفة النهر الأخرى ، حاولنا أن نرى فقط ، وأن نقترب ، وأن نقدم صورة عامة للجانب الآخر من النهر ! □



● المقاهي فن اليونانيين العظيم ، ففي كل زاوية وتقاطع وشارع مقاه وروّاد

ثياب ، وكيفما شاءوا ، والبيوت والفنادق بالغة النظافة . وفي تجوالنا بالشوارع تتسلل نظراتنا خلف الأبواب المفتوحة حيث تبدو الخضرة والزهور والمفروشات الناصعة البياض ، واحساس بالجو البيتي الهادىء النظيف يغريك بأن تدخل وتجلس باسترخاء وتمدد ساقيك .

في شارع آخر وعند ركنه ينتصب مخبز القرية ، تفوح روائح الفطائر بشدة ، فطائر محشوة بالجبن أو اللحم أو المربى أو شرائح الفاكهة المسكرة ، وخلف المخبز سوق الخضراوات ، أربعة محلات تعرض مالديها ، وحمال ينقل البضاعة على حماره من رصيف الميناء إلى المحلات ، بعض الفنادق الصغيرة ومعظم البيوت تزرع العنب في كرمات منزلية صغيرة تظلل المساحة أمام البيت ، وتحتها تتوزع المقاعد



بجوار كوب من الماء

قصة قصيرة بقلم : عبده جبير *

كان كل شيء قد بدا على الأرجح كأنه لحظة الختام للجميع ، وهم يقفون أو يجلسون حول سريرها النحاسي العالي الذي كانت دائما (على الرغم من مشقة صعوده والهبوط منه) مصرة على وجودها فوقه ، وبالتأكيد هي الان أشد إصرارا وهي تحس أنها راحلة .

« رمزي » هو الابن الأصغر لابنها الأصغر ، يجلس الان بجوارها فوق السرير ، من جهة رأسها ، يحاول بتحريك نصفه الأعلى ألا يحجب وجهها عن أفراد الأسرة المنبوذين (بالنسبة لها) ، والذين تكتظ بهم الغرفة الان ، وهو يبدو قلقا من حركة قدميه المتدليتين ، دون أن يقصد .

كان « رمزي » هو آخر اسم نطقت به السيدة « نهاز » ، آخر أحفاد الأسرة الملكية ، (وآخر شخصية من بين الذين أصروا على أن يدفنوا في وطنهم بعد الغربة الطويلة في أوربا) ، وكانت تقول له ، وهي تدلله بسبب شعره الأصفر ، وعينيه الزرقاوين : أنت الوحيد الأكيد ، أما الآخرون فهم « ركش » .

كانت تكرر ذلك ، وتنطق الكلمة الأخيرة بصوت مرتفع ، تؤكد فيه على كل حرف ، كما كانت تتعهد دوما وأبدا بأن تخصه ببعض العطايا : مسبحة يسر مطعمة بالفضة ، عصاة ملوية اليد من خشب الأبنوس مطعمة بسن الفيل ، والأدهى من ذلك تخصه : بطربوش مستعمل ، تآكلت مع الزمن حوافه بفعل « العتة » ، فبانت بطانته ، وكانت تؤكد على أن هذه أدوات الإمارة لأبيها ، آخر أمير من الأسرة المالكة ، وكانت تعني على الأخص ، نقل الأثر للحفيد الذي تأكدت من صفاء دمه بسبب شعره الأشقر ، وعينيه الزرقاوين ، ولم يكن « رمزي » يبالي ، بل إنه وبلماحية مختلطة بتقلب في المزاج كان يضايقه من نفسه (لأنه ترسخ في ذهنه من كلام المحيطين به أنه قد ورثه عنها) ، كان يقول ، من ورائها في الغالب : « سيدة مجنونة ، تعيش في الأوهام » ، لكن هذه ، على أي حال ، لحظة مختلفة ، لحظة النهاية الحتمية التي يشك فيها البعض ، ويتوقعها البعض من الأشخاص التسعة الذين يحتشدون الآن في الغرفة ، لابسبب أي شيء ، إلا الوفاء لهذه اللحظة بقلب خالص ، وخوفا من مشاحنات العتاب التي يمكن أن تقع بعد كل تقصير في مثل هذه الأحوال ، وليس من أجل المال أو الجاه الذي كان يعرف الجميع أبدا ، من

* روائي وكاتب من القطر العربي ـ المصري

بين التسعة أشخاص (ماعدا « رمزي » كما يتصورون جميعا) أنه لم يبق منه شيء ، بالإضافة إلى ماعقدته السيدة « نهاز » من آمال على « رمزي » ، ولم يكن هذا شيئا جديدا ، فمنذ أول يوم ولد فيه ، كانت ترتيبات هذه المسألة قد عقدت بشكل نهائي .

والآن ، في هذا الموقف الصعب ، بدأ الزمن يلعب لعبته السخيفة ، المنطوية على قسوة لايمكن أن يتوقعها أحد ، والجميع (ربما بمن فيهم السيدة « نهاز » نفسها) يتمنون أن ينقضي الوقت ، وتنتهي مراسم الدفن ، حتى يذهب كل منهم إلى مصالحه ، لكنها لما تمت بعد ، وإن كانت تعاني آلاما وخيالات من الضعف الذي حل بها منذ تمددت على الفراش ، ودخلت في الغيبوبة منذ الصباح الباكر ، ومع ذلك يعاني كل منهم بشكل مختلف ، ربما لأن خاطرا يمر بباله : عن أنه ربما يجد نفسه في هذا الموقف الحتمي ، وربما لأنه يكرهها من أعماق قلبه ، وربما لأنه يود الخلاص من هذا الموقف ، خاصة أن آخرين ، ممن هم على علاقة عمل أو مودة ، كانوا يفدون وهم يمشون على أطراف أصابعهم في الصالة المحاورة ، ولاشيء حي



فيهم سوى وجوههم الخاليه من التعبير ، كأنهم رسموا على لوحه حمّد الفنان فيها الملامح عند حد الرعب

ولكن السيدة « بهار » ، وكالمرات الثلاث السابقه (التي كان كل من حضرها منهم يذكرها جيدا) لم تفاجئهم ، بل كررت المشهد الأخير بشكل فج ، انتفضت ، وعدلت رقدتها ، ومدت يدها اليمنى إلى الوسادة ، ورفعتها خلف ظهرها ، وحدقت بهم مما اضطرهم إلى الانسحاب ، واحدا وراء الاخر ، دون ان يلحظ هو ذلك ، لأن كل شيء حولها الان في الغرفه الخفيفه الضوء (الدولاب البني ذا الجلبات المزركشه من عند الأركان ، الدولاب ذا المرآة « البلجيكي » الخارجيه . « الشوفينيره » التي لم يبق على ارففها سوى زجاجات العطر الفارغه ، والمشجب الخالي الذي ليس فيه سوى روب قديم بنفسجي حائل اللون) ، كل شيء ، كان يتساوى مع اجسادهم ، بل مع الاشباح

لكن السيده « بهار » سبب نكم « رمرى » الذى كانت تعرفه ، ليس لأن موقعه بجوارها على سريرها العالي فقط ، بل من رائحته التي الفتها منذ اللحظه التي ولد فيها أيضا

قالت السيده « بهار » انت هنا يا « رمرى » ؟ لم لاتذهب وتمشي في الحديقة ، هناك عند الاكمه المشرفه ؟ »

وقلّبت السيده (بهار) حدقتي عينيها ، واخذت انفاسها ترتفع ، وكأن شيئا يدفع رئتيها بعذاب إلى الخارج

ـ « أنت لك هذه الحديقه ، ولأبيك ما بعدها من أراض نبعد عنها كثيرا كبيرا ، أنت لك إذن اغلب الأراضي ، كل الأرض ، لك الأرض الخصبه المورقه كلها ، هناك حيث اشجار الرمان الاحمر تمتد وتمتد حتى امتداد البحيرة الصافية بما فيها من البط ، البط الأزرق والبط الأخضر ، البط لك ، اميال طويلة ، تمشي هناك فتطلع الطواويس عليك »

حاولت السيدة « بهار » أن تضحك ، إلا أنها شهقت بشكل جعل « رمري » (الذي كان يحاول أن يتماسك دون أن يفجر) نفسه ينتفض ، ويمد يده ، بشكل تلقائي ، لوالده الذي يقف طوال الوقت شاعرا بالضعة التي كانت قد أحاطته بها من جراء تقريعها الدائم له

ـ أنت ذو شعر أسود ، أنت لست من السلالة .

مد يده لرمري بكوب الماء ، لأن « رمرى » هو الوحيد الذي كان من الممكن أن تقبل من يديه شيئا ، بعد ان أكدت مرارا ان الاخرين جميعهم يريدون الخلاص منها بالسم ـ الذي جلبوه من الافاعي ـ لاشيء اخر غيره

ـ « لاتخف يا رمرى من الطواوس ، إنها تداعبك واصنع من ريشها الجميل صورا تعلقها خلف مخدعك »

وعادت السيدة (بهار) حتى الموت رتباها ، ولم تتحرك الأشباح من حولها ، ولكن « رمرى » مد يده لتريح جسدها النحيل

اعتدلت السيده (بهار) ، وانتفض جسدها بقوه جديده

ـ « اسم يا من هناك ، أنت ياسليم ، من أجل ولدك رمرى لك ما بعد الحدائق الشرقية انت لك هناك ولروحك من اجل بطنها التي حملت رمري ، نصف الصندوق لها منه « الطنطف » ، وعطا الصدر ، أما الخواتم والعقود وكل اللالىء فهو للجسه عروس الحبيب « رمري » ، متى تروح عروسك الشقراء بنت الأمير ؟ » ، الثلاثة الذين مازالوا في الحجرة الان ، السيد « سليم » والد « رمري » والسيدة « صافيبار » والدته ، وابن العم الأشيب اللحيه « سليمان » ، وقد بدأوا يتألمون إلى حد أنهم أظهروا كرههم لها وبعضهم يحدق ببعض ، إلا أن السيدة « بهار » وفرت عليهم مزيدا من هذا الوقت القاسي قالت « رمري » ومالت برقبتها للمرة الأخيرة

وضع « رمري » كوب الماء على الطاولة الصغيرة ونزل من السرير العالي □

هل تختفي الغابة الاستوائية؟

بقلم : رجب سعد السيد

الغابات في خطر : هذه صرخة بدأت تطلقها المنظمات الدولية ، وتعني أن أحد ملامح الجمال على وجه الأرض مهدد بالزوال ، لكن هذا ليس كل شيء ، فهناك الكثير مما ستخسره البشرية إذا ما اختفت الغابات .

أعدت «اليونسكو» اتفاقية للحفاظ على (التراث العالمي) ، اشتملت على تعريف للتراث الطبيعي بأنه :

ـ المعالم الطبيعية المؤلفة من التكوينات الفيزيائية أو البيولوجية ، أو من مجموعات هذه التكوينات التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر الجماليات أو العلوم .

ـ التكوينات «الجيولوجية» أو «الفيزيوغرافية» ، والمناطق المحددة بدقة التي تمثل موطن الأجناس الحيوانية أو النباتية المهددة ، ولها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر العلم أو المحافظة على الثروات .

واشترط في هذا التعريف أن تكون مساحة المواقع كبيرة ، مثل حزام الغابات الاستوائية المطيرة .

وهكذا ، فإننا قد نلتفت إلى حدودنا الجغرافية على الخريطة ، فلا نجدنا مشاركين في ملكية أجزاء من حزام الغابات الاستوائية ، ولكننا ، طبقا لاتفاقية اليونسكو هذه ، لا نستطيع أن نبتعد عن المشاركة في تحمل مسئولية صيانة هذا النظام البيئي المهدد بخطر التلاشي . لقد أصبح الاهتمام بقضايا البيئة ومشاكلها يتخطى الحدود المحلية ، ويتطلب تضافر الجهود الدولية ، لأن التأثيرات والأضرار الناجمة عن تلك المشاكل لا تقتصر على مواقع بعينها من خريطة العالم ، بل تنعكس ـ وربما بمعدلات أكبر ـ على الجيران البعيدين . وأحيانا ، يكون للظاهرة البيئية آثارها التي تغطي أرجاء المعمورة .

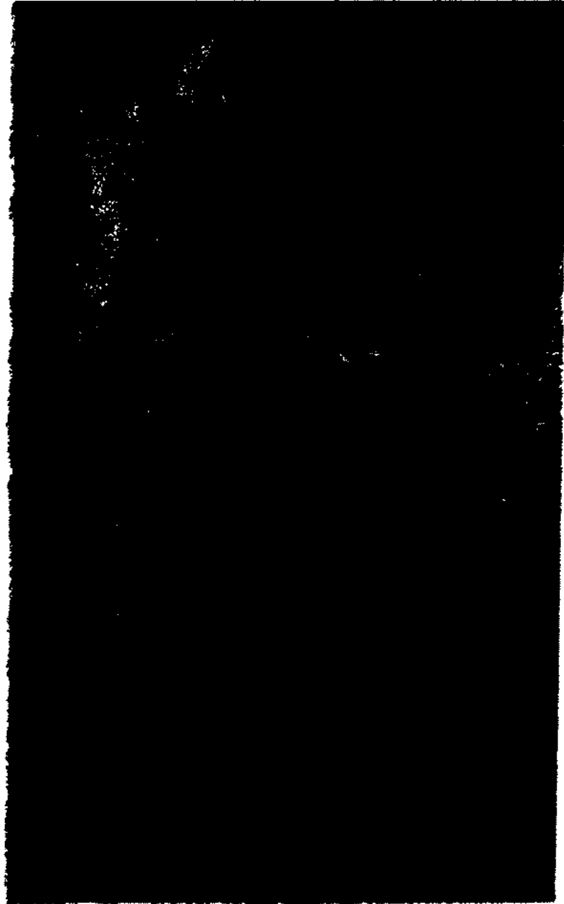
الغابات تتبدد

يقول العالم الأمريكي «بول ريتشاردز» في كتابه «الغابة الاستوائية المطيرة» الصادر في عام ١٩٧٣ : (لن يحل عام ألفين إلّا ويكون معظم الغابات الاستوائية المطيرة قد هدد) .

لقد كانت الغابات الاستوائية تغطي ١٥ مليون كيلومتر مربع ، أو جزءاً من عشرة أجزاء من مساحة سطح الكرة الأرضية ، في شكل حزام يمثل نصف مجموع مساحات الغابات الموجودة على اليابسة . فما هو الحال الآن ؟ .

تشير صور الأقمار الصناعية إلى أن المساحة قد اختزلت بمقدار الثلث ، وإلى أن خسارة بمعدل ٢٪ تحيق بهذه المساحة سنويا . وأظهرت هذه الصور أن ٨٠ ألف كيلومتر مربع من الغابات العذراء قد تم إحراقها ، في سنة ١٩٨٧ ، في البرازيل وحدها ، بغرض تعرية الأرض ، لاستخدامها في الزراعة والبناء .

وهذا ما دفع علماء البيئة إلى رسم صورة للوضع في نهاية هذا القرن ، وقد خسر العالم



● تتميز الغابة الإستوائية بالتنوع الشديد في أشجارها ونباتاتها .

equatorial forest known for the

غاباته الاستوائية ، إلّا بقعتين كبيرتين ، واحدة غرب الأمازون ، والثانية في وسط زائير . وإذا استمر الحال على ما هو عليه ، فإن هاتين البقعتين سوف يلحق بهما الدمار مع منتصف القرن القادم .

إن كلمة غابة تستدعي على الفور كلمة شجرة . والأشجار هي الشكل الرئيسي للخضرة في الغابات . ولكن ، ينبغي ألا نتجاهل المكونات الأخرى للبيئة التي تشتمل أيضا على : الشجيرات ـ الأعشاب ـ الطحالب ـ الفطريات ـ الحشرات ـ الزواحف ـ الطيور ـ الحيوانات الثديية ـ التربة ـ الماء ـ الهواء . وهذه كلها مكونات أساسية لبيئة الغابات ، وكل منها مرتبط بغيره ومعتمد عليه .

وفي الغابة المطيرة ، تنمو الأشجار والنباتات في أربعة مستويات :

المستوى الأدنى ، وهو عبارة عن طنفسة من النباتات القصيرة ، تليها مجموعات من النخيل ، ثم أنواع من أشجار الظل ، مثل الصبار والسراخس ، وتتراوح أطوالها بين ١٨ و ٣٨ مترا ، وهي تكوّن فيما بينها السقف الكثيف المتشابك للغابة المطيرة . وأخيرا ، تأتي طبقة الأشجار الضخمة التي يصل طولها إلى ٦٠ مترا ، وتمتد مثل مظلة فوق غيرها من النباتات .

ولا يعتمد غنى الحياة النباتية في الغابات على الكم فقط ، بل على التنوّع أيضا ، ففي الوقت الذي لا يزيد فيه عدد أصناف الأشجار في الغابات الشمالية على بضع عشرات ، نجد الغابات الاستوائية تزخر بما يقرب من ثلاثمائة نوع مَن الأشجار . وهذا التنوّع ينتظم كل أرجاء الغابة الاستوائية في ترتيب طبيعي عجيب ، فمن النادر أن تجد في هذه الغابة الفسيحة شجرتين متجاورتين من نوع واحد . وقد أحصى أحد العلماء ١١٧ نوعا مختلفا من الأشجار في منطقة لا تزيد مساحتها عن ١ $\frac{1}{٤}$ كيلومتر مربع .

والنبات العالق عبارة عن نبات ينمو على نبات آخر ، ويفترش جذوع الأشجار وفروعها . والمعروف من النباتات العالقة في العالم ينتمي إلى ٢٨ ألف نوع ، تحتوي غابات أواسط أمريكا وجنوبها منها على ١٥ ألف نوع ، أهمها : الأناناسيات ـ الصبّار الشجري ـ الأشنات ـ الخزازيات ـ السراخس .



● التقطيع العشوائي لأشجار الغابات ، أحد الاسباب التى تهددها

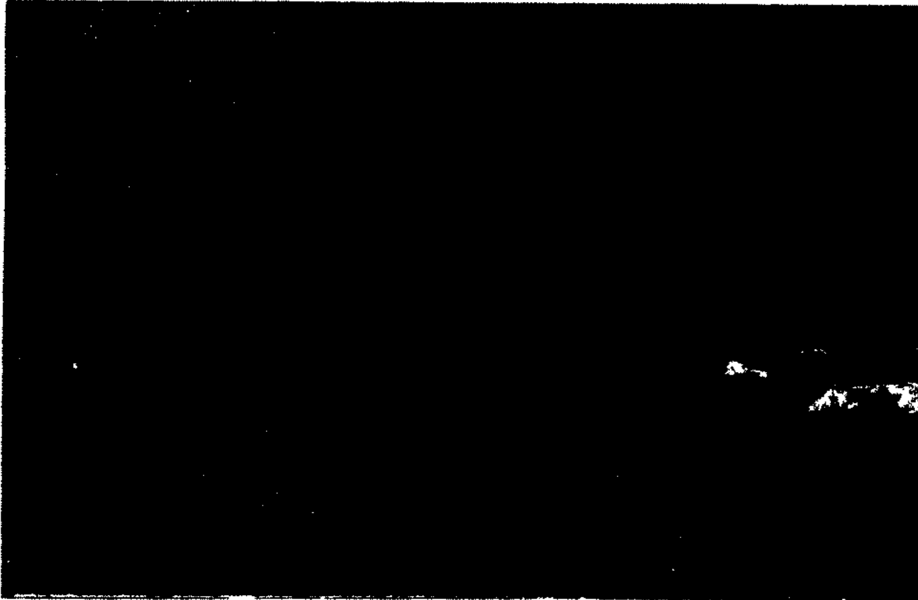
عالم الحيوان

كذلك ، فإن عالم الحيوان في الغابة الاستوائية لا يقل تنوعا عن عالم النبات . ويعيش في هذه الغابة نصف ما يعيش في العالم من أنواع الحيوانات ، ابتداء من الحشرات ،

وأهمها الخنافس والنمل ،وانتهاء بغوريلا الجبال التي تعيش في وسط افريقيا ، مرورا بعشرات الأنواع من الطيور والنسانيس والسناجب والقنافذ والنمور والخنازير وآكلات النمل والتماسيح . أمّا الفراشات ، فهي أشد تنوعا في منطقة الأمازون . ففي جولة مدتها ساعة واحدة في الغابة البرازيلية ، جمع أحد العلماء ٧٠٠ فراشة من أنواع مختلفة ، بينما يبلغ عدد أنواع الفراشات في أوربا كلها ٣٢١ نوعا .

هذه بعض ملامح هذا الجزء من التراث الطبيعي العالمي المهدد بالزوال . ويقدر علماء «البيولوجيا» أن حوالي عشرة آلاف نوع من الكائنات الحية يفقد كل عام مع اختفاء أجزاء من الغابة الاستوائية . ويقولون : إن أكثر الأنواع عرضة لخطر الانقراض هي أنواع من الحشرات ، وبخاصة الخنافس . وهم يجدون بعض الصعوبة في إقناع الآخرين بأن انقراض مثل هذه الأنواع (عديمة النفع) يمثل كارثة بيئية لها انعكاساتها الاقتصادية السلبية ، فما يزال وعي العامة ـ بل حتى بين فئات المتعلمين ـ بما يسمى الاتزان البيئي ، ناقصا . وعلى أي حال ، وبمنطق المنفعة الذي يعرفه الجميع ، فإن تدمير الغابة إهدار لمئات الأنواع من الكائنات الحية ، وبخاصة النباتية ، العظيمة النفع للإنسان . وعلى سبيل المثال ، فإن ربع عدد العقاقير المستخدمة في الولايات المتحدة الأمريكية الآن ، مشتق من نباتات الغابات الاستوائية . وما يزال المجال مفتوحا أمام الصيادلة ، إذ أن معظم أنواع النباتات في هذه الأدغال لم تختبر خواصه الدوائية حتى الآن .

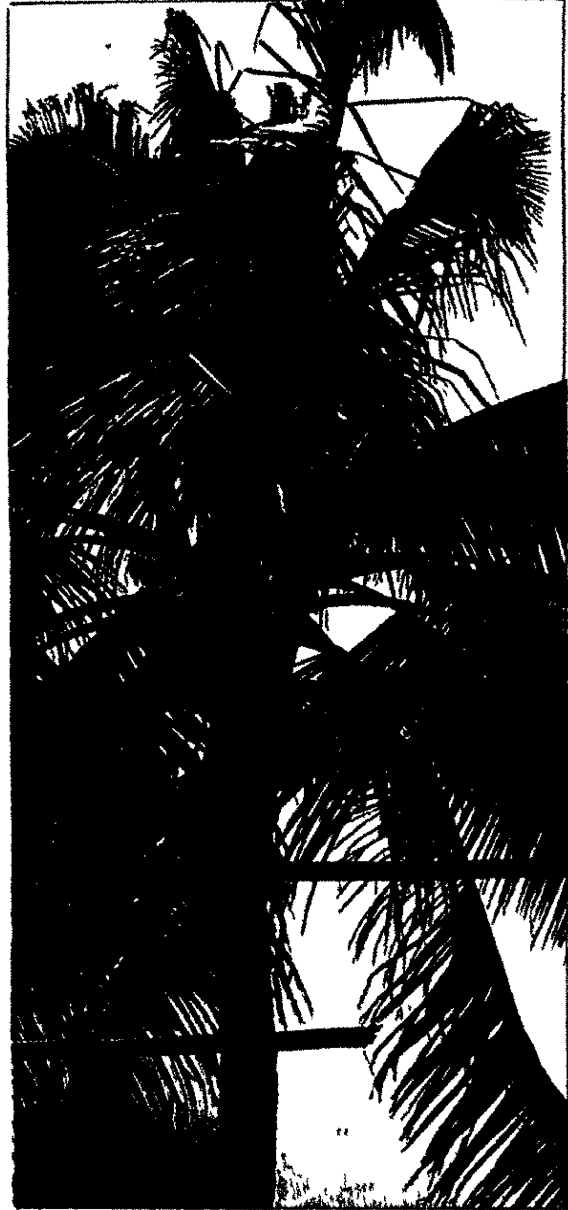
ويشكك الاقتصاديون في قدرة أي محاولة لحساب الخسائر المترتبة على تدمير موارد الثروات غير المحدودة الموجودة في الغابات الاستوائية المطيرة . فهذه الغابات هي الآن عماد اقتصاديات كثير من الدول الواقعة على خط الاستواء . وطبقا لبيانات البنك الدولي ، فإن ٢٠٠ مليون إنسان في العالم يعتمدون في حياتهم اليومية على الغابات الاستوائية . ويمثل سكان الغابة الأصليون ربع هذا العدد ، أما الباقون ، فقد تم دفعهم إلى الغابات ، تنفيذا لسياسات إقليمية .



● أنواع من الأبقار تعيش في المناطق الاستوائية

وثمة دول أخرى ، بعيدة عن خط الاستواء ، ولكن حياة الملايين من البشر فيها تعتمد على الغابات ، فهي المصدر الأساسي لخشب الوقود في معظم بلدان العالم الثالث ، وتبلغ قيمة إجمالي الإنتاج السنوي من أخشاب الغابات الاستوائية ٨ بلايين دولار .

وتشير الإحصائيات إلى أن أكثر من بليون



● أشجار من غابات الأمازون

أن الحرائق المتعمدة وغير المتعمدة التي تلتهم مساحات ضخمة من الغابة الاستوائية هي المسئولة ، ضمن عوامل أخرى ، عن التغيرات المناخية وبعض الظواهر الطبيعية المؤسفة ، في كثير من بقاع الأرض . فالغازات الناتجة عن هذه الحرائق هي واحد من الأسباب التي أدت إلى النقص في سمك طبقة الأوزون في منطقة القطب الجنوبي . وبسبب هذه الحرائق ، أيضا ، وبالاشتراك مع عمليات احتراق الوقود الإحفوري في أنشطة الإنسان المختلفة ، تتزايد نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو . والنتيجة ، هي تزايد متواصل في درجة حرارة مناخ الأرض (ظاهرة بيت النباتات الزجاجي) . فالمعروف أن غاز ثاني أكسيد الكربون يسمح لأشعة الشمس أن تصل إلى الأرض ، ولكنه يحجز الأشعة الحرارية المرتدة من الأرض . يمنعها من مغادرة الغلاف الجوي ، فتحتفظ الأرض بها . ومع تزايد نسبة هذا الغاز في الجو ، تصبح الأرض (صوبة زجاجية) . أو مصيدة كبيرة للحرارة .

وفي الوقت نفسه ، فإن عملية احتراق أو إحراق الغابات يحرم الأرض من الأشجار التي هي العامل الأساسي في تخليص المناخ الأرضي من غاز ثاني أكسيد الكربون ، إذ تقوم بتحويله إلى أكسجين وأخشاب .

أرض بلا رجال

ما الذي يدفع الإنسان إلى إحراق الغابات ؟ ثمة أسباب واضحة :

أهم هذه الأسباب هو : توفير الأرض من أجل الزراعة .

وفي البرازيل ، تشجع الحكومة المزارعين على الهجرة إلى منطقة الأمازون لتعميرها ، وتمدهم بالإعانات ، تحت شعار أن الأمازون أرض بلا رجال تقدّم لرجال بلا أرض . وثمة برنامج حكومي في اندونيسيا لتهجير ملايين شخص - $\frac{1}{5}$ سكان الأرض - يعيشون في قلق ومعاناة نتيجة الفياضانات ونقص خشب الوقود ، ونضوب الماء ، وتدمير التربة الزراعية ، ونقص الإنتاج الزراعي . وهذه كلها نتائج أو ظواهر يتسبب فيها بشكل مباشر أو غير مباشر الفقدان المستمر لغطاء الأرض من الغابات الاستوائية المطيرة . ويرى علماء المدح

السكان من المناطق المزدحمة إلى الجزر الخارجية القليلة الكثافة السكانية ، لاستيطانها بعد تعريتها من غطائها الكثيف .

وقد يتبادر إلى الذهن أن منطقة الغابات الاستوائية الرطبة تخفي تحت غطائها النباتي الكثيف تربة خصبة . إن ذلك ، للأسف ، غير صحيح . ففي الأراضي الزراعية نجد أن التربة هي المخزن الأساسي للخصوبة . أمّا في الغابة الاستوائية ، فإن معظم الأملاح المغذية للنباتات لا توجد في التربة ، فأوراق الأشجار التي تموت وتتساقط لا تصل أبدا إلى الأرض ، إذ تستبقيها الشبكة النباتية الكثيفة . وتؤدي الرطوبة المرتفعة ودرجة الحرارة العالية إلى تحللها بسرعة . وتقوم النباتات المعلقة بامتصاص الأملاح الناتجة عن تحلل الأوراق بواسطة جذورها الهوائية .

وهكذا ، فإن تعرية الأرض من غطائها الشجري يعني إزالة مخزن الأملاح الغذائية ، فتكون النتيجة مخيّبة بالنسبة للفلاحين الذين جاؤوا وراء حلم امتلاك الأرض وزراعتها ، فالتربة فقيرة جدا ، لدرجة لا يمكن معها أن تتحمل نمو المحصولات لأكثر من موسم واحد . ثم تترك المنطقة مكشوفة للشمس الاستوائية والأمطار الغزيرة ، لتتحول إلى أرض قاحلة قبيحة المنظر . ويحتاج الأمر إلى ٢٥ سنة لزرع غطاء جديد من الأشجار ، قد لا يماثل غطاءها الأصلي .

أمّا في أمريكا الوسطى ، فإن الهدف من إزالة الغابات توفير مساحات من الأراضي للرعي . وفي الخمسين سنة الماضية ، تضاعفت مساحات المراعي في أمريكا الوسطى ثلاث مرات ، على حساب الغابات طبعا . وبهذا المعدل ، يتوقع الخبراء أن تختفي الغابات هناك في نهاية هذا القرن .

ومن الاسباب المهمة أيضاً تجارة الأخشاب ، وهذه التجارة مسئولة عن ربع الخسائر السنوية في أشجار الغابة الاستوائية ، وهي تؤدي إلى تعرية ٥٠ ألف كيلومتر مربع على الأقل كل سنة . ويعد غرب إفريقيا وجنوب شرق آسيا مصدرين رئيسيين للأخشاب الاستوائية في العالم ، وتتم فيهما عمليات تقطيع الأشجار بدون تنظيم أو إدارة جيدة لهذه الموارد الطبيعية ، لدرجة أن هذه التجارة تنحدر الآن . وقد سجلت ساحل العاج ونيجيريا أعلى معدل لتقطيع الأشجار في العالم ، وهما تواجهان اضمحلالا شديدا في مساحات الغابات داخل حدودهما . أما في جامبيا ، والسنغال ، وتوجو ، وبنين ، فتشير الدلائل إلى اختفاء الغابات من أراضيها فعلا . ويقول تقرير البنك الدولي : إن عشر دول فقط هي التي تقوم حتى الآن بتصدير منتجات الغابات الاستوائية ، ويشكك في قدرتها على الاستمرار في هذه التجارة لأكثر من عقد واحد فقط ، نظراً للتدهور الشديد في أحوال الغابات .

ويرى العاملون في مجال صيانة البيئة أن مصير الغابات الاستوائية المطيرة يمثّل أحد التحديات أمام المدنية الحديثة . وتحاول بعض الحكومات إصدار التشريعات لحماية ممتلكاتها من الغابات الاستوائية . وتقوم منظمات دولية وأهلية لحماية البيئة ، مهمتها إثارة الرأي العام العالمي لوقف عمليات اغتيال أشجار الغابات .

وليس لنا إلا أن نأمل في نجاح هذه الجهود ، لتبطل تنبؤات المتشائمين ، وتحتفظ الأرض ـ على الأقل ـ بما تبقى من غطائها الاستوائي . □

أحلى الكلام

● سئل ابن المقفع : من أدّبك ؟ فقال : أدبت نفسي ، إذا رأيت من غيري حسنا أتيته ، وإذا رأيت قبيحا أبيته .

وجهاً لوجه




د. عبدالرحمن حميدة و نديم شمسين

■ المؤلفات الجغرافية عن الوطن العربي أقرب إلى نشرات وزارات السياحة.

■ لاتزال مياهنا الاقليمية الغنية بالثروة السمكية البحرية مرتعاً للأساطيل الأجنبية.

■ لن تستطيع التقنية مهما تعاظمت أن تحل المعضلة الغذائية المستفحلة حالياً في بعض الأقطار العربية إلا بكبح العبث السكاني.

■ مازلنا في مرحلة الأخذ، ولما ندخل بعد مرحلة العطاء.

للدكتور عبدالرحمن حميدة رئيس قسم الجغرافيا بجامعة دمشق سابقا بضع عشرات من المؤلفات الجغرافية التي تبحث في تراث العرب الجغرافي وفي جغرافية الأقطار العربية ، وله اهتمام خاص بجغرافية العالم الثالث وجغرافية التخلف وجغرافية الجهل والجوع . وهو يتناول المباحث الأخيرة من خلال حرصه على تنبيه الجميع إلى المستقبل الخطير المنتظر ، اذا لم يعالجوا القضايا الحيوية بروح العقل والمعرفة والعلم ، ولا سيما فيما يتعلق بزيادة السكان وتناقص الموارد الغذائية واستغلال المصادر المائية والهدر . . وهو يأخذ على الجغرافيين العرب عدم مناقشة هذه الأمور المصيرية بحماسة ، وقد آلى على نفسه أن يطرق هذه المواضيع الخطيرة بأسلوب فيه الدعابة إلى جانب النقد وقول الحقيقة . أدار الحوار معه نديم شمسين عضو اتحاد الصحفيين العرب بدمشق وسكرتير تحرير المجلة الجغرافية السورية .

★ ازدهرت الجغرافية في العصر العباسي ، فما دواعي هذا الازدهار ؟ وكيف كانت النشأة ؟

شهد علم الجغرافية في فجر الحضارة العربية ازدهارا أثار إعجاب المستشرقين وعلماء أوربا ، وعلى الأخص في أوائل وأواسط العصر العباسي بعد أن أقام العرب امبراطورية مترامية الأطراف ، هذا في حين كان دور الخلافة العباسية يتمثل في التثبيت والتوطيد لأركان هذه الدولة الفسيحة التي بلغت مساحتها زهاء ٢٠ مليون كم٢ ، أو ما يقارب رقعة الاتحاد السوفيتي حاليا ، أو قارة أمريكا الشمالية برمتها . وكانت الدولة العربية تضم شعوبا شتى ، وقد اقتضت الضرورة الإدارية التعرف على مسالكها وممراتها ، وتقدير المسافات بين مدنها ، ومعرفة ثرواتها وخراجها ، والتعريف بأقوامها ولغاتهم وطباعهم ، فألفوا كتبا في هذا المجال ، كان وراءها ابن الفقيه ، وابن رسته ، وقدامة بن جعفر ، وكانت مؤلفاتهم هي المعتمد عليها لدى صاحب البريد ، أو ما يماثل في أيامنا وزير الداخلية ، مع كل ما يدخل في صلاحياته واختصاصاته .

مكانة دار الحكمة

ولم يتأخر العلماء العرب في اقتباس ما لدى الأمم الأخرى التي سبقتهم في هذا الميدان ، كالاغريق والهنود ، فنقلوا كتبهم إلى العربية ، وحفظوا العديد منها من الضياع ، وكان لدار الحكمة في عهد المأمون الدور المرموق ، وكان هذا الخليفة المستنير يجزل العطاء للعلماء ، فاستقطبت بغداد الكثيرين منهم ، وكان في عدادهم الجغرافيون ، كما اقتضت الهيبة والسطوة اللتان حظيت بهما الخلافة ، والمكانة التي اكتسبتها على الصعيد العالمي المعروف حينذاك ، تبادل السفارات مع الدول التي تخطب ودّ الخلافة ، كرحلة ابن فضلان إلى بلاد الخزر وبلغار الفولغا . كما لعبت العواصم العربية التي ظهرت بعد انفراط عقد هذه الدولة العظمى : كالقاهرة وقرطبة وفاس وبخارى ، دورا مماثلا لبغداد ، وإن كان على مقياس أصغر ، لأن حرية التنقل ضمن « دار الإسلام » ظلت على حالها تقريبا ، فتعددت كتب « المسالك والممالك » ، وظهرت كتب رحلات ، لعل أهمها كتاب « صورة الأرض »

لابن حوقل الذي تجول في كل الأقطار الإسلامية ، والصحراء الكبرى ، حتى أواسط نهر الفولغا ، ورحلة ابن جبير ، وبعده ابن بطوطة .

كما اهتم بعض الجغرافيين بدراسة الثروات المعدنية مثل أبي دلف الخزرجي ، أو بالجغرافية الفلكية أو الرياضية كالبيروني .

العرب - والأصالة الجغرافية

★ متى بدأ المد العلمي الجغرافي بالانحسار والتراجع ؟

أصيبت الجغرافية العربية بالانحطاط بدءا من أواسط القرن الثاني عشر الميلادي ، أي في العصر الذي سقطت فيه بغداد أمام جحافل البرابرة التتر بقيادة هولاكو من الشرق ، وسقوط قرطبة من الغرب . في الوقت الذي كانت فيه بلاد الشام ومصر وتونس ترتنح تحت هجمات الفرنجة الصليبيين ، فلم تعد تقدم مؤلفات ذات أصالة ، ويعود ذلك لتقطع أوصال الخلافة سياسيا ، وهيمنة الأساطيل البرتغالية والاسبانية والجنوية على البحر ، حيث صارت تعرقل العلاقات بين مغرب الامبراطورية العربية الإسلامية ومشرقها ، وأكبر برهان على ذلك وقوع السفير المغربي المتجول ، والجغرافي الرحالة « الحسن الوزان » ، أسيرا بأيدي القراصنة الطليان تجاه جزيرة جربة التونسية ، والذي اشتهر في أوربا باسم « يوحنا ليون الأسد الغرناطي » ، والذي تمت ترجمة كتابه « وصف أفريقيا » من الايطالية إلى الفرنسية والانكليزية والالمانية والاسبانية ، وأخيرا للعربية ، حيث ظهرت ترجمات له في ١٩٧٩ و ١٩٨٠ .

ولا وجود حاليا لجغرافية عربية أصيلة ، على الرغم من وجود أكثر من ثلاثين جامعة تدرس فيها هذه المادة ، لأنها تستقي من ترجمات الكتب الأجنبية التي قام بها جغرافيون أجانب ، أو تنسج على منوالها . فلا زلنا في مرحلة الأخذ ، ولما ندخل بعد مرحلة العطاء ، مما يجعل قراءة الكتب الجغرافية العربية غير مشوقة بالموازنة مع المؤلفات الأجنبية الغنية بالمقارنات والأشكال والرسوم التوضيحية والخطوط البيانية والصور الملونة المعبرة . هذا فضلا عن أن أطروحات « الدكتوراة » التي نال بها عشرات الجغرافيين العرب المعاصرين درجتهم الأكاديمية ، ما تزال دون ترجمة ، وكان تأليفها كان لمصلحة الدول الغربية والشرقية .

ويكفي أن نرجع إلى الكتب التي تحمل عنوان « الوطن العربي » ، أو « الأطالس العربية » ، كي نصطدم بجهل العديد من المؤلفين بأسماء وأعلام ومدن من الوطن العربي ، فتظهر مدينة آسفي بالمغرب تحت اسم « صافي » ، والخمس في ليبيا باسم « حمص » ، أما سبته فتمنح اسم « كويتا » ، وقسنطينة الجزائرية تحت اسم « القسطنطينية » ، أو غير ذلك كثير ، مما ينزع الثقة ، ويعيق تداول الكتاب الجغرافي العربي بين الأقطار العربية ، ويشجع الاعتماد على الكتب الأجنبية التي تدرس أقطار الوطن العربي بشتى اللغات من انكليزية وفرنسية وروسية والمانية .

مسئولية لا بد من تحملها

★ إلى أي مرحلة وصلنا في طريقنا نحو مدرسة جغرافية عربية معاصرة ؟

قال الفيلسوف لابردير : إن الحقائق التي لا نحب سماعها هي التي نجني من معرفتها أكبر الفوائد ، وقال الفيلسوف غرسيّه : إن الذين لا يحاولون التخلص من أغلالهم هم أهل لها .

رسالة الجغرافيين العرب الآن كبيرة جدا ، وهم يتحملون قسطا كبيرا من المسؤولية في تقصيرهم بتقديم صورة أمينة عن أحوال وطنهم الكبير ، وعجزهم عن فرض أنفسهم علميا ، عن طريق دراساتهم ، لتقديمها لأولي الأمر من

المسؤولين ، كي يستنيروا بها ، وترجمة ما كتبه الجغرافيون الأجانب عن بلادنا من مؤلفات رصينة ، بحيث تكون الجغرافيا في خدمة المجتمع ، وفاعلة نفعية (براغماتية) قبل أن تكون مادة « أكاديمية » صرفة ، تبعث على السأم ، وتبدو مليئة بالطلاسم والغموض .

الجغرافيون والتنمية

★ مشاكل الوطن العربي جغرافية في جوهرها ، كيف تستطيع الجغرافية تحدي هذا الواقع الحالي والانطلاق نحو تنمية عربية شاملة ؟

- على إثر هزيمة فرنسا أمام المانيا في حرب السبعين ، قال بسمارك بطل الوحدة الالمانية : يجيد الفرنسيون صنع الخمور وتذوقها ، ولكنهم يجهلون الجغرافيا . وقال مسؤول أمريكي كبير بعد الحرب العالمية الثانية : من المتعذر تقدير غرامة الجهل بالجغرافيا في السياسة .

وإذا تخلصنا من الحساسية التي نعاني منها عند الحديث عن مشكلاتنا وتعرضنا لمشكلات الأمة العربية ، وجدناها جغرافية ، أو بعبارة أحرى نابعة من ظواهر جغرافية التخلف التي لن ندركها إلا عند استشفافها من زاوية جغرافية بحتة .

فالمؤلفات الجغرافية التي تتعرض لجغرافية الوطن العربي هي أقرب لنشرات وزارة السياحة التي لا تذكر سوى مفاتن كل قطر ، وتسلط الأضواء الباهرة على بعض الإنجازات ، وتغفل المشكلات « والحقائق الجديدة التي لا يمكن رؤيتها إلا بعيون جديدة » التي تجابه الحكومات العربية والشعب العربي لأول مرة في تاريخهم ، وعلى رأس المشكلات العربية انعدام التوازي بين التفجر السكاني وبين التنمية الاقتصادية . هذا فضلا عن الديون التي تبلغ ٨٠٠ دولار لكل مواطن عربي أو أكثر من الدخل السنوي الفردي المتوسط على مستوى الأمة العربية قاطبة ، والتي تعمل الحكومات المدينة جاهدة على جدولتها ، أو تعمل على تخفيف دعمها للمواد الغذائية ، بناء على تدخل البنك الدولي ، مما يؤدي إلى التضخم وتململ الجماهير ، وتدني مستوى المعيشة عاما بعد عام ، نتيجة ضياع جميع جهود التقدم الاقتصادي عبثا وسدى .

أما مشكلة ضبط النسل ، أو على الأصح تحديده ، فهي آخر ما نفكر به ، فنحن نتكاثر بنسبة تزيد على ٣٪ سنويا ، أي يتضاعف عددنا مرة كل ٢٠ سنة تقريبا ، بينما تحتاج الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إلى ٧٥ سنة لتحقيق ما ننجزه في عقدين من الزمن ، أما المانيا الغربية والنمسا فنموهما السكاني متوقف ، لأن كل أسرة تحسب ألف حساب لكل مولود جديد ، أي يجب أن يبدأ برنامج التخطيط من سرير الزوجية .

وتتعرض الأقطار العربية لهجرة مريعة في أدمغتها التي هي خميرة تطورها ، فتقدم للغرب ٨٪ من العقول المهاجرة ، علما بأن عدد العرب لا يمثل سوى ٤٪ من سكان الأرض . ويقدر اليابانيون أن تكلفة تكوين طبيب مختص تبلغ ١٧٥٠٠٠ ألف دولار . كما تهاجر رؤوس الأموال التي لا تجد مجالا للتوظيف والاستثمار في أوطان أصحابها لغموض الأنظمة الاقتصادية القائمة . والأمل في استرجاع رؤوس الأموال هذه يعادل في ضآلته الأمل في استرداد أدمغتنا المهاجرة .

★ تحدثتم عن التفجر السكاني ، والعقول المهاجرة ، وخروج الأموال العربية ، والديون ، والترف والكماليات .. نحن نعتقد أن المشكلة الغذائية في مقدمة المشاكل ، تليها المشكلة المائية .

ما هي مشكلتنا - في رأيك - أمن غذائي أم أمن مائي ؟

ـ الواقع من المستحيل فصل المشكلة الغذائية عن المشكلة المائية في وطننا العربي الذي تحتل الصحاري تسعة أعشار مساحته ، ولم نطرح حتى الآن شعار « الأمن المائي » .

لن تستطيع التقنية مهما تعاظمت أن تحل المعضلة الغذائية المستفحلة حاليا في الأقطار العربية إلا بكبح « العبء السكاني » الذي يقسر معظم الأقطار العربية على إنفاق أموالها لاستيراد الغذاء والدواء ، على حساب تشييد البنية التحتية .

فهناك تنافس رهيب في معظم أنحاء الوطن العربي بين المخصصات المائية للري ، وبين تأمين المياه للمدن التي تتزايد بصورة مذهلة كبقعة زيت ، وأحيانا على حساب أجود الأراضي الزراعية ، وهكذا تتقلص غوطة دمشق أمام زحف المباني ، مثلما تنكمش رقعة سهل المتيجة الجزائري أمام الأحياء السكنية ، علما بأن جمهورية تايوان تمنع البناء فوق الأرض الصالحة للزراعة .

والمشكلة التي تبعث على القلق هي أن أربعة أخماس المياه الجارية ، أو أنهار الوطن العربي ، إنما هي أنهار أجنبية المصدر ، عربية المعبر ، ولنتصور ما سيحدث لو أقامت أثيوبيا عددا من السدود على النيل الأزرق لتوليد الفحم الأبيض ، كما فعلت الولايات المتحدة على نهر التينسي ، أو كما تفعل تركيا على نهر الفرات . أما الاعتماد على المياه الجوفية المخزونة التي تعود للعصر المطير ، أي لعشرات الآلاف من السنين ، فهي غير متجددة ، وتشبه الثروة النفطية وقابلة للنضوب .

وفوق ذلك فإن التلوث الكبير الذي يصيب المياه ـ على قلتها ـ من جراء المخلفات الصناعية ، والمجاري العامة ، ومخلفات النفط ، يجعل قسما كبيرا من المياه غير صالحة للاستعمال والري ، والتلوث الذي يصيب التربة ويخربها ويجعلها أقل إنتاجية ، والتصحر الذي يحدثه الإنسان من جراء قطع الأشجار واقتلاع الأعشاب والرعي الجائر ، كلها عوامل إضافية ، ليست في مصلحة إنتاج المحاصيل الغذائية اللازمة .

التنمية والتكاثر السكاني

★ وماذا عن المشكلة السكانية وعواقبها ؟

ـ المشكلة السكانية حديثة جدا ، وهي حقيقة جديدة تتطلب النظر إليها بعيون جديدة ، إذ تعود للربع الثاني من هذا القرن ، على إثر انتشار اللقاحات ضد الجدري والسل ، وظهور المبيدات الحشرية ، لا سيما (د.د.ت) ، خلال الحرب العالمية الثانية ، والمضادات الحيوية كالبنسلين ومركبات السلفا ، وانتشار استعمال المياه الجارية النقية بالمدن . أو بعبارة أدق هبوط نسبة الوفيات ، وبقاء نسبة التوالد على حالها ، وعدم مواكبة التنمية الاقتصادية لذلك التكاثر الوثّاب العدّاء . وحتى اليابان نفسها لم تستطع تحقيق عملية انطلاقها بعد الحرب العالمية الثانية إلا بعد كبح جماح التكاثر السكاني فيها ، وتخفيضه إلى ١٪ بعد أن كان ٣٪ .

وقد قال بيير جورج منذ ثلاثين عاما : « لا تسير الأقطار المتخلفة نحو الفقر الذي بلغته منذ زمن بعيد ، إنما تسير الآن قدما نحو التسول » . وما علينا إلا الاختيار بين أن تحيا أجيالنا القادمة كالرجال أو كالسوائم التي تحمل الأثقال ، لأن سوء التغذية لدى الأطفال يخمد جذوة ذكائهم ، بحيث يستحيل تعليمهم وتنمية قدراتهم ، وبذلك يكثر الاجرام والجنوح ، ويتفشى البغاء والسرقات ، أو يضطرب المجتمع كله ، إذ تسير الجماهير عندئذ خلف كل من يلوح لها بالرغيف ، ولو كان الأعور الدجال !

ثروات الوطن العربي

★ من المؤكد أن الوطن العربي يملك ثروات وافرة من النفط والطاقة الشمسية والفوسفات ، ومن الثروات النباتية النخيل والصمغ والحمضيات . فإلى أي مدى تساهم هذه الثروات في تغيير الوضع الراهن ؟

- صحيح أن الوطن العربي يملك نصف احتياطي العالم من النفط ، ونصف احتياطي العالم من الفوسفات ، غير أن الاعتماد على « اقتصاد القطف » ، أو « الاقتصاد المنجمي » ، القائم على تصدير المواد الأولية الخام دون تصنيعها ، يجعل اقتصادنا خاضعا لقوانين العرض والطلب ، ولا يصمد أمام التحديات التي تواجه الأمة العربية ، كالانفجار السكاني الوثاب ، إذ يزيد سكان الوطن العربي سنويا بما يعادل سكان الجمهورية التونسية ، أو زهاء ٦ ملايين فم جديد ، ينشدون الغذاء ، فضلا عن ضرورة تأمين مجالات عمل لمليوني شاب ، ينزلون إلى سوق العمل ، ويستدعي تشغيل نصفهم في الصناعات الحديثة التي تستحق اسمها توظيف ٢٥ مليار دولار ، أو نصف عائدات النفط العربي التي لن تكفي كلها لتسديد أثمان المواد الغذائية في نهاية القرن الحالي ، هذا إذا توافرت السلع التموينية في السوق العالمية . كما ظهرت مؤخرا مشكلة الموارد المائية ، إذ هبط مخزون السد العالي الى النصف ، علما بأن أثيوبيا التي تقدم جبالها ٨٥٪ من مصادر مياه النيل ، لم تقم حتى الآن بأي مشروع لاستغلال الطاقة الكهربائية في أراضيها .

ويجب أن نخلص من الأوهام السائدة حول الطاقة الشمسية التي لم يتجاوز مداها أجهزة تسخين المياه المنزلية والتدفئة فقط .

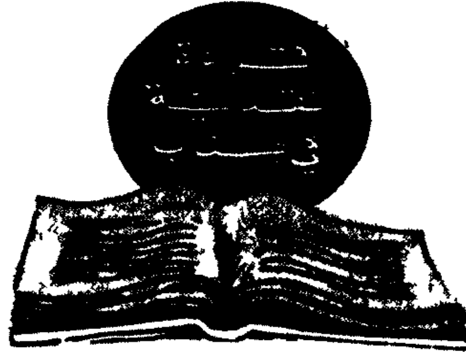
هذا ويمكن للثروة السمكية البحرية أن تلعب دورا مهما في سد العجز الغذائي ، ولكن للأسف ما تزال مياهنا الإقليمية الغنية ، كسواحل موريتانيا والمغرب على المحيط الأطلسي ، مرتعا ومجالا رحبا لكل الأساطيل الأجنبية التي تستأثر بأكثر من ٨٥٪ من حصيلة الصيد ، لافتقارنا إلى أسطول صيد حديث . كما أن الفوسفات يباع بسعر منخفض ، ولا يتم تصنيع أكثر من ١٠٪ لتحويله إلى سوبر فوسفات ، وكذلك شأن تكرير النفط ، ويمكن قول الشيء نفسه بالنسبة لحديد موريتانيا .

إن دراسة مشكلات الوطن العربي تقتضي التفكير الموضوعي المدعوم بأرقام ، لأننا أمام حقائق جديدة ، يجب النظر إليها بعيون جديدة بعيدة عن التشاؤم والإحباط ، وعن التفاؤل « الديماغوجي » اللذين لا يقومان على أساس متين ، لأن ترك الحبل على الغارب يجعل الطبيعة تفرض حلولها على شكل هجرة خارجية ، تصطفي الأخيار ، أو ما يسمى بهجرة العقول ، أو الحروب الأهلية التي يقدم لبنان انموذجا مثاليا لها ، أو المجاعات التي يعاني منها السودان الذي أطلق عليه تسمية « سلة الخبز العربي » ، ولكنها « سلة فارغة » . □



الحقد عند « جان جاك روسو »

« إنني لا أحمل حقدا لأحد ، ولا أفكر في إيذاء أحد ، لكنني حينما أرى الظلم يتزايد في هذا العالم أسلي نفسي بالتفكير في الجحيم الذي ينتظر هؤلاء الظالمين »



عشيق الليدي تشاترلي

رواية من تأليف : د . هـ . لورانس

بقلم : الدكتور أمين العيوطي

في الآداب العالمية روايات تحتفظ - على الرغم من مرور الأعوام - بدفئها الخاص ، وببريق إنساني أخاذ ، يزداد سطوعا مع تنامي المعرفة ، وبقدرة على إثارة الجدل ، منها رواية « عشيق الليدي تشاترلي » التي ترجم أول نص منها لأول مرة إلى اللغة العربية في سلسلة روايات الهلال القاهرية هذا العام .

ويسرنا أن نقدم هذه القراءة النقدية للرواية المهمة في هذه المناسبة .

لعل كلمتي (اتصال وانفصال) كلمتان تترددان في جنبات عالم « ليدي تشاترلي » على عديد من المستويات ، بل إنهما تترددان بمعانٍ متعارضة على المستوى الواحد ، سواء كان مستوى شخصيا أو اجتماعيا أو حتى طبيعيا . إن « كليفورد » الذي يعود من الحرب مقعدا ، أصاب الشلل نصفه الأسفل ، يعيش مشدودا إلى مقعد متحرك أُوصل به محرك يمكنه من التنقل في أرجاء منتزه قصره وغابته ، مثلما هو مشدود إلى جهاز « مذياع » يصله بالعالم صوتا دون اتصال حي مباشر ، أو إلى سيارة وعكازين ينتقل بهما إلى المنجم الذي يملكه . هو منذ البداية مشدود إلى آلة ، آلة التعدين والصناعة ، أو آلة الحرب التي أقعدته ، تتحكم فيه الآلة بقدر ما يتحكم فيها ، تأثرا أو تأثيرا متبادلين ، والمظهر الخارجي ليس في حقيقة الأمر إلا انعكاسا للواقع الداخلي الذي جفت فيه منابع الحس والفطرة ، وسيطرت فيه الإرادة والعقل . فلما كانت منابع الحياة الغريزية

قد جفت فيه فإنه لم يبق له إلا عقله ، ينعم به بكل المتعة والراحة النفسية التي يعجز عنها جسده . إنه يعشق الآن إدارة المناجم وتطويرها ، وإلهاب ظهرها ، حتى تنتج بأقصى إمكانياتها ، كأنه يفرض عليها إرادته ، هو رجل لا يحركه إلا استبداد الإرادة ، وسيطرة الأنا والفردية ، والاستشار المستفز ، على الرغم من كل النعومة والتهذيب « الراقيين » اللذين يمارس بهما إرادته على الآخرين . فهو ، في حقيقة الأمر ، يعيش منفصلا عن الآخرين ، متقوقعا في ذاته المقعدة ، لا مكان في ذاته إلا لنفسه ، هو باختصار صورة لا للتفرد ، ولكن للفردية بكل معانيها وفلسفاتها التي سادت في إنجلترا منذ القرن الثامن عشر حتى الآن . إنه لا يرتبط حتى برجاله من حراس الصيد ، ورجال الغابات ، أو البستانيين والعمال إلا برابطة الأجر الذي يدفعه لهم ، وقد أدار ظهره لكل معنى إنساني يشده إليهم ، فهم ليسوا إلا خدماً مأجورين ، مجرد قطع من اللحم بلا أمل حتى في الخلود الروحي الذي يرجوه لنفسه ، وحين ترى « كونستانس » زوجته ، في هذا نوعا من الاستشار المستفز ، يرد عليها قائلا :

« لن يكون هناك استفزاز ، بل نظام ، إذا كنت تسمين النظام استفزازا ، فلا بد أن تدر المناجم عائدا ، ولو أدى ذلك إلى أن يموت العمال جوعاً » .

ـ « لكنك لاتفكر فيهم حقا ، ما إذا ماتوا جوعا أم لا » .

ـ « صحيح ؟ إذا لم يكن ذلك الاعتبار الأول لدي ، فليكن هكذا لديهم ، وعليهم أن يخضعوا لسيطرتي أو أن يموتوا جوعا » .

بل إنه يرى أن الوعي بهم أسوأ ما يمكن أن يفعله سيد مع خدمه .

اتصال وانفصال

وهذا الموقف العام من جانب « كليفورد » ينسحب على كل العلاقات القريبة ، بل والحميمة ، فحين يدفع حارس الصيد مقعد « كليفورد » المتحرك ، فإن كلا منهما ينظر أمامه مباشرة دون أي اتصال حي . فالحارس لا يملك إلا أن يفعل ـ من وجهة نظر « كليفورد » ـ ما يطلب منه . هو ليس إلا آلة أخرى ، بل هو ليس إلا حارس صيد وحسب ، وكما من اللحم الإنساني يتيح له هو الحياة ، « حيوانا نصف مروض ، به قدر من اللطف الحيواني ، وقدر من السوقية نصف الحيوانية » ، حتى أن « كونستانس تشاترلي » التي كانت تراودها أفكار عن الصداقة المتفهمة الممكنة بين الرجلين ، لا تملك إلا أن ترى أن مثل هذه الصداقة ممكنة إذا كانت هناك صداقة ممكنة بين الماء والنار . كان هناك تعارض قطعي بين الرجلين .

هذا الانفصال لا ينسحب على العلاقات الطبقية العامة فقط ، بل إنه على مستوى آخر ينسحب على العلاقة الحميمة بينه وبين « كونستانس » . تقول كلمات الرواية :

« في بعض النواحي كانا شديدي الألفة ، قريب أحدهما من الآخر ، غاية في القرب ، حين كان يمسك يدها أحيانا في هدأة المساء ، كان يبدو بينهما سلام هائل ووحدة رائعة ، كانا أقرب إلى روحين تحررا من الجسد وكل سأمه ، روحين يمضيان يدا بيد على طول الطريق العلوي الذي يحف بسماء الكمال » .

والحقيقة أن هذا الاتصال الجسدي الظاهري ليس اتصالا على الإطلاق ، ليس اتصالا حياً ، بل هو اتصال يتم عبر كلمات وتأملات فلسفية أفلاطونية أو حتى سقراطية ، تشغل العقل ولا تمس الجسد .

هي علاقة بين المد والجزر في آن واحد ، من المد العقلي المتأمل الذي يلاحق المجردات المطلقة

ورحلة الروح الأثيرية ، والجزر الجسدي حين تشعر المرأة بنداء الأنثى يصرخ فيها وهو عاجز عن تلبية ندائها . حتى هذا الاتصال يتم من خلال حوار عقلي عقيم ، لا يجيب نداء الأنثى اللامحدود ، وإن كان يبرر عقم الرجل الذي استعاض عن الجسد بالعقل العاجز المحدود ، حتى أن « كونستانس » تشعر ببرودة مروعة تسري في كيانها وهو يقبض على يدها ، كما لو كانت تذكار صيد سوف يحمله إلى الجانب الآخر من القبر ، ويموج بداخلها شعور بالاكتئاب والتعاسة ، لأنه لايستطيع حقا أن يشعر بجسدها وهي تعيش معه مدفونة حتى وسطها .

وليس شلل نصف « كليفورد » الأسفل هو السبب المباشر في عدم وجود اتصال حقيقي بينه وبين الآخرين ، أو بينه وبين زوجته « فقد كان شلله رمزيا فيه » . كان جزء منه مشلولا حتى قبل أن يصاب في الحرب . كان ذلك الجزء من الرجل الذي يستطيع أن يوقظ قلب المرأة مرة وإلى الأبد ميتاً فيه . وهو ميت في آلاف الرجال من أمثاله وكل النساء اللاتي لهن رجال مثله ، يعشن بقلوب لم توقظ . وربما كانت الكثيرات منهن يفضلن ذلك ، فالقلب المستيقظ ذات أخرى ، غريبة ، ومسئولية كبرى ، « فكليفورد » في نهاية الأمر ليس إلا زوجا يمتص حياة زوجته ، ويحاول أن يمتص إرادتها ويسحقها إلى لا شيء .

و« كونستانس » تدرك هذا فيه ، تدرك رغبته الخفية في إخضاعها لإرادته وعقله ، وترسل أنانيته الباردة وعقلانيته العاجزة تيارا باردا فيها . هي تحيا معه ، ترعاه ، تُعنى به ، لكنها تحيا معه راهبة متزوجة ، تؤرقها رغباتها الجسدية الملحة الثقيلة الوطأة ، ويؤرقها جسدها القوي الصحيح الذي يفيض حيوية ، وقد منى جسدها بزوج مقعد لا يمكنه أن يلبي احتياجاته . ولذا ترفض فكرته عن الخلود الخالص المجرد ، فالخلود ليس إلا فكرة ندركها بالعقل المجرد . أما بالنسبة لها فهو لا يمكن أن يكون شيئا غامضا نحسه ولا ندركه . أما الخلود الحقيقي بالنسبة للأنثى فيها فهو الدم واللحم والجسد ، أما ذلك الخلود الآخر الخالص المجرد الممتد الطويل فهو خلود ممل . الخلود هو خلود الجسد الذي أخرست الكارثة التي نزلت بها صوته ، والذي لا تستطيع أن تخرسه إلى الأبد .

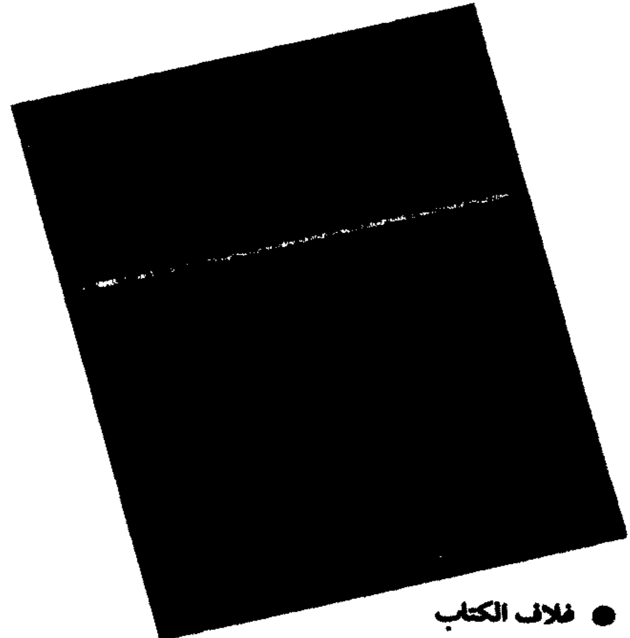
حارس صيد وحيد متفرد

وليس هذا الانفصال ظاهرة فردية ، فعلى الجانب الآخر البعيد من القصر والمنتزه والغابة يعيش « باركين » ، حارس الصيد ، وحيدا في كوخه ، لا يتصل حتى بعالم قرية التعدين . أول ما نراه منه وحدته وتباعده عن الاتصال بالآخرين ، بعد أن هربت زوجته وهو في الحرب .

إنه لا يرتبط حتى بابنته التي ترك أمر تربيتها لأمه التي تعيش في القرية ، وهو لايقف ضد الزوجة الهاربة والمرارة التي خلفتها فيه ، بل ضد سارقي الصيد من عمال المناجم ، وضد الحواجز الطبقية ، وضد العالم بطل السخط والمرارة والنقمة ، وخاصة ضد النساء . وهو يحافظ على انفصاله بضراوة ، عزوفا عن الاتصال بالآخرين . الاتصال الحي الوحيد في حياته يقيمه مع الكلب الذي يتبعه ويشاركه كوخه ، مع أصوات الأشجار وهي تترنح وتتمايل وتحتك إحداها بالأخرى ، مع أصوات الريح والمطر وهي تتردد في جنبات الغابة ، مع طيور الحجل التي يربيها ويرعى احتضانها للبيض وصغارها حين تشق طريقها إلى الوجود . وسط هذا الانفصال البارد والاتصال الحي الدافىء يقف « باركين » متميزا حتى عن خلفيته الاجتماعية ، واضح الحضور ، متفردا لا فردا ، ولا ذاتا فردية واعية ، بل طبيعة لا واعية ، تتدفق فيه الحياة وقدراته المتفردة اليقظة ، مثلما يمكن أن تتدفق في كل أشكال الحياة .تفرده هو « تفرد الطيور والحيوانات البرية » ، وعلى الرغم من عدم

وسامته ، فإن هذا التفرد فيه يعطي « كونستانس » انطباعا بجمال في الرجل لا يوجد في كل الرجال .

هذا الانفصال بين الناس لا يتم على المستوى الشخصي فقط ، بل هو متحقق أيضا في إطار البيئة المنظرية التي تجري عليها الأحداث . فنحن منذ البداية نتحرك في عالم التعدين والصناعة ، عالم تتردد في مناجمه ضربات المطارق ، أصوات الانفجارات التي تودي بحياة بعض العمال ، قعقعة الآلات الدوارة ، وصليل غرابيل الفرز ، وتفوح فيه رائحة الأبخرة والأدخنة والفحم والحديد والكبريت ، ويحط فيه الهباب على أوراق الأشجار والأزهار ، يشوه الأرض كما لو كان تحذيرا من الآلهة ، وتقوم فيه بيوت العمال صفوفاً متعرجة ، بنيت على عجل بأسقفها الارتوازية ، عالما من الكآبة والقبح ، وتدوى فيه صفارات السكك الحديدية التي شقت لها الأنفاق وسط المرتفعات ، وتعقدت شبكاتها وتداخلت وسط المدن . وسط هذا كله يجلس « كليفورد » المقعد في مقعده المتحرك ، حيث الآلة امتداد لروحه بالقدر نفسه الذي تحولت فيه روحه وعقله ويده إلى آلة بلا حس أو شعور .



● غلاف الكتاب

وهي بيئة تقف على النقيض من بيئة الغابات ، وتلقي ظلالها عليها ، النار المتصاعدة من أفرانها تصبغ السماء بالليل ، وغبار الفحم يكسو ممراتها ويحط على أشجارها . وحيوان الخُلد يسبح صاعدا إليها من جوف الأرض ، يتحسس الهواء بأنفه القرنفلي . هي عالم من أشجار البلوط والصنوبر والأرز والخوخ ، وأزهار البنفسج والنرجس ، وعشبات الأزهار الزرقاء ، والأوراق البضة الطرية النضرة والأوراق الميتة ، عالم تسمع فيه صداح الطيور ، ونقر نقار الخشب ، وصيحات الحجل المزهو وهو ينشر جناحيه ويسرع لالتقاط الحب . كما تسمع فيه للأشجار أصواتا بلا أصوات والبراعم تتفتح فيها .

هو عالم كامل من الحياة المتشابكة المعقدة المتداخلة ، تحسه ولا تسمعه ، وترى حركة الحياة فيه دون أن تراها .

نحن ، إذن ، أمام عالمين يقفان على طرفي نقيض . هذا التناقض في غرض البيئة لا يتسم بواقعية التفصيلات فحسب ، أو واقعية الاحساس ، بل بالرمزية أيضا . فإذا كان عالم الصناعة يتسم بالمادية ، فهو يرتبط أيضا بالعقل والفردية والصراعات الطبقية ، في حين يرتبط عالم الطبيعة بعالم الحس والإحساس والفطرة النقية . وإذا كانت البيئة الاجتماعية تفرض إحساس الفرد بنفسه ، وبالتالي عزلته وتقوقعه داخل هذه الذات ، فإن عالم الطبيعة الذي يتسم بالتفرد والتلقائية هو الذي يصل ما بين الأشياء ويشدها أحدها إلى الآخر ، أو بمعنى آخر ، إذا كانت البيئة الاجتماعية لا تعرف سوى لغة الذات العليا والعقل ، فإن البيئة الطبيعة هي لغة الذات السفلى والجسد . وهي اللغة التي تتعرف « كونستانس » ، في ومضة من ومضات اللاوعي ، حين يقع بصرها على حين غرة على جسد « باركين » ، وهو يغتسل في فناء كوخه

في ظلمة الغابة المتساقطة بدأت فجأة ترتجف دون قدرة على التحكم في نفسها ، كان جذع الرجل الأبيض قد بدا لها غاية في الجمال ، يشق الظلام ، الجسد المتماسك المقدس ، ذلك الجلد المتماسك الحريري ، غض الطرف عن وجه الرجل بشاربه الضاري ، وعينيه القاسيتين ، غض الطرف عن شخصيته الغبية ، كان جسده في حد ذاته مقدساً ، يشق الظلمة كأنه رؤيا .

وهي لحظة تقلق كيانها ، تشقه ، تفتح رؤيا كانت موصدة بداخلها ، فتشتعل القوى المكبوتة ، كل ما فيها يتكلم لغة ليس بها رخص الكلمات ، مشدود إلى الارتواء الخصب . وتحين اللحظة وهي تركع على ركبتيها تراقب أفراخ الحجل تتواثب نحو العشب ، دقيقة وغريبة ، ترتجف الحياة فيها وهي تلتقط الحب من راحتها ، فتبكي الخصب الذي حرمت منه ، وتحس الخواء بداخلها وحولها ، حتى يحتوي الحارس قدها المطوي على نفسه ، وبلا وعي منه أو وعي منها تهبه نفسها .

وفي تلك المرة ، للمرة الأولى في حياتها ، بعثت الرغبة فيها إلى الحياة فجأة .

وبقدر ما تتفتح « كونستانس » على الحياة ، بقدر ما يتفتح « باركين » أيضا عليها بعد عزلته وانفصاله عن الحياة ، وإدراكه لشيء آخر غير ذاته الموجعة ، تحقيقه لحياته الإنسانية الفردية لا يتم إلا من خلال الاتصال الحسي الذي يصل أقصى مدى له في الاتصال الجنسي الذي يوحده لا مع الأخرى فحسب ، بل مع الحياة .

غير أن هذا الاتصال يفتح عينيها على حقائق أخرى تمس الكيان الفردي ، والكيان الاجتماعي ، والنظام الاقتصادي والعلاقة بين الطبقات . فمن خلال هذا الاتصال الجسدي يبدأ القارىء في التحرك على العديد من المستويات التي تؤلف كيان الفرد ، والتي تجد لها نظيرا في العالم الخارجي . فواحد من الانطباعات التي تتولد في نفس « كونستانس » ، الرجل يلفها بذراعه ، وقد راح في سبات عميق ، انطباع بالدائرة الغريبة التي تتألف من الرجل والمرأة ، إنها ترى فيها نوعا من السجن تتلاشى فيها فرديتها لتعيش داخل الرجل ، لكنها لا تلبث أن تراجع نفسها .

لا ، ليس سجنا ، فلو أن المرء فكر بتلك الطريقة لكان سجنا حقا أن يكون له جسد على الإطلاق . وإذا أراد المرء أن يكون غاية في الحرية فعليه أن يتبخر إلى لا شيء . كانت تلك الحرية القاسية الصغيرة لدى فرد منفصل ، منفصل تماما أسوأ من سجن . كانت مجرد مسمار يخترق القلب . ومن الواضح أن « لورانس » لا يعني مجرد فردية « كونستانس » ، بقدر ما يعني نظاما اجتماعيا كاملا ، يرى في الفرد والفردية ذروة حركة التطور ، ونظاما اقتصاديا تجسد في فلسفة الفردية وحرية الفرد في العمل ، بحيث ألغى الحس الخلقي والتعاطف والاتصال الحقيقي الحي ، بحيث تحول المجتمع الإنساني إلى جزر منفصلة ، فالدفء الانساني ، لا الدفء الجسدي فقط ، هو وحده القادر على أن يعقد الصلات بين البشر ، مثل هذا الإدراك هو الذي يجعل « كونستانس » ترى أن الرجل يصلها بالحياة الحية الحقيقية ، ويحرر تدفق الحياة فيها .

و لحظة الإدراك هنا ليست إلا واحدة من العلامات على طريق تطور « كونستانس » الروحي ، فما تزال النزعة الطبقية التي تجعلها ترى في الرجل مجرد رجل عادي ، بل يداخلها الإحساس بالخزي أحيانا ، لأنها أقامت علاقة مع مجرد حارس صيد ، يعمل في خدمة زوجها . والرجل نفسه لا يخلو من مثل هذا الشعور : « ألا تشعرين أنك قد تدنيت بنفسك مع أمثالي ؟ » ، ويمهد هذا الإدراك من جانبيهما لصراع من نوع آخر بينهما ، صراع يباعد ولا يقرب ، يفصل ولا يصل ، فاتصالها بالطبقة الدنيا يولد فيها خوفا

طبقيا . فربما كانت هذه الطبقة التي سوف تدمرها وتدمر طبقتها في النهاية ، بل ربما كان الرجل يتشفى أنه قد دمر فيها شيئا حين جذبها إلى مستواه . وقد يلتقي الا‍:‍ـان في صفاء اللهب الذي جمع بينهما ، لكن يداخل الرجل أيضا إحساس بأنها تزدريه في أعماقها ، ولا تبقى منه سوى لحظة الوصل . ويتولد فيها هي أيضا إحساس بعدوانية كامنة في الرجل ، لكن الصلة الحميمة تظلّ تشدهما رغم كل شيء .

بين عالمين

و« كونستانس »، فوق هذا ، موزعة على العالمين ، فهي لا تستطيع أن تنفصل عن طبقتها وثقافتها ، ولا تستطيع أن تتخلى عن الرجل ، فهي مشدودة إلى « كليفورد » وإلى أحاديثه المثقفة الغامضة ، وإلى البيئة الاجتماعية المرفهة ، وإلى الفلسفة والفن اللذين لا يمكن « لباركين » أن يشاركها فيهما ، وهي مشدودة أيضا إلى تلك الصلة التي تربطها بدفء الحياة ، إنها تريد هذا وتريد ذاك .

لم تكن تريد أن تختار بينهما ، بل كانت تريدهما معا ، كانت تريد أن تحتفظ بكعكتها وأن تأكلها ، كان يثير حنقها أن تضطر إلى أن تقول : سوف آخذ هذا ، وأفقد الآخر . كانت غاضبة جدا من « باركين » لوضعها في مأزق . كانت في غاية الغضب عليه ، لأنها لم تكن تستطيع أن تفقده ، أما بالنسبة «لكليفورد» فلم يكن مجرد الرجل الذي فيه ما كانت تتشبث به ، بل كان كل ما كان يمثله ، ولم تكن تستطيع أن تفقد كل ما كان يمثله .

وربما تظن في لحظة أنها قادرة على أن تشتري مزرعة صغيرة يعيشان فيها معا ، لكن الرجل يرفض إلا أن يكون في بيته ، يرفض أن يتحول إلى سيد مهذب ، يرفض أن يكون تابعا لامرأة . هي امرأة لا يمكنها إلى أن تكون سيدة راقية ، وهو رجل لا يمكنه إلا أن يكون عاملا . ويزداد تشبثه بموقفه ، بل بطبقته حين يصبح مسئولا عن العمال ، إنه يرفض في الحقيقة عدم تقبل المرأة له على علاته .

هذا الصراع يصل إلى ذروته حين تدرك أنها حامل ، ويقبل « كليفورد » أن تعطيه طفلا ، حتى لو كان من رجل آخر ، ولدا ووريثا يحارب به من أجل الإبقاء على منجمه وضيعته ، يحارب به طبقة العمال نفسها التي وهبته هذا الابن ، ليحافظ على سيادة طبقته ، وعلى إخضاع الطبقات الدنيا لإرادته الباردة القاسية ، حتى لو أدى الأمر إلى موت هذه الطبقات جوعا . هنا يدخل صراع « كونستانس » مع نفسها مرحلة حاسمة ، ويقودها هذا إلى قرار . إنها لن تأخذ طفل « باركين » وتسلمه إلى « كليفورد » ، فهي ترفض أن تأخذ على عاتقها أن تقرر للطفل حياته سلفا ، وكأنه لا رأي له ، ويساعدها على اتخاذ قرارها تباعد كليفورد عنها ، وانشغاله بتوسيع منجمه وتحديثه ، واستغراقه في عالم الصناعة .

وأمام عناد « باركين » لا تملك « كونستانس » إلا أن تهجر « كليفورد » . سوف تنزح إلى « اسكتلندا » ، وتبتاع مزرعة صغيرة وتنتظر أن يغير الرجل موقفه ، وأن يلحق بها . على هذه النهاية المفتوحة تنتهي « عشيق الليدي تشاترلي »، وتفتح الباب لبصيص من أمل ، يحمل في النهاية الرسالة الأخيرة التي يوصلها « لورانس »، حين يرفض الحارس أن يكون في بيته كلبا من الرتبة الدنيا ، وأن تكون « كونستانس » كلبا من الرتبة العليا .

ينبغي ألا تقام التماثيل إلا للأنذال ، فالشرفاء يحترزون منها .

« كليمنصو »

في حضرة مولانا النهر

شعر : محمود عبد الصمد زكريا*

في حَضْرَةِ مولانا النهرِ - الراحِل عنّا صوبَ البحرِ -
يشبُّ الحلمُ
تشبُّ المثلُ القروية ، تطلبُني
يسعفُني الحُب ، فأجمعُ كلَّ جراحاتِ المثلِ القرويةِ من كفّي
أتمددُ في المجرَى
يبدأ تاريخُ العشقِ الأزليّ من البحرِ ،
وحتى أعلَى نبضاتِ القلبِ الدافِق من المنبع .
يقفون الآنَ عرايا
ويبيعون ثيابَ العرسِ النيليةِ من زمنِ الفيضانِ
بثمنٍ بخسٍ
في ليلٍ لا يطلعُ فيه النجمُ
ويشرون الوهمَ بأجسادٍ تتصببُ عرقاً
يغلبُني النومُ ،
فألمحُ ثوبَك في الساحةِ ، يجلدُني
بسياطِ اليقظةِ ، تحملُني نظرتُك المَلَكيّةُ
تزرعُني في سابعِ أرضٍ ،
أنبتُ نخلاً
ينبتُ كلُّ منهم حَولي نخلا .
نائمةً كانتْ ،
تحلمُ بالعرسِ الريفيّ ، وكانتْ
تخفت بين توابيتِ الوادي أصواتُ الغرقى
قلبي يعصُره الجوعُ الأبديُّ إلى الرّيِّ الأبديّ



* شاعر وكاتب من القطر العربي المصري



فأخطفُ من آمونَ المنسأةَ الذهبيةَ
يأتيني هرولةً رُخٌّ
أهبُّ ظهرَ الشمسِ ، أتخرجُ كُلّ الأقمارِ أمامي
أحدو أسطولَ مراكِبها الشمسيةِ
أسطعُ من بطنِ الوادي ، قافلةٌ من نورٍ
تستيقظُ
ترفلُ في ثوبِ المَلِكَاتَ ، وتأمرُ حارسَهَا :
يا حارسَ هذا الوادي الطيبِ
زَوِّجنــــا
سألملمُ من جوعِ البحرِ ،
ومن جوعِ الظلماتِ ببطنِ الوادي كُلَّ الغرقى
أمنحُهُمْ عشقاً .
في حضرةِ مولانا النهرِ - الراحلِ عنا -
قالوا عنكِ ، امرأة التاريخِ المُبْلَى
بالزمنِ الحجريِّ الميتِ
لكني أسميتُكِ
أنثى مملكةِ الحبِّ
خَلَعْتُ عليكِ جميعَ الألقابِ المَلَكيَّةِ
ونثرتُ على أقدامِكِ ،
كُلَّ فصولِ الأعوامِ ،
وطاردتُ بجفنَيْكِ النومَ
وألْبَسْتُكِ وجهاً مَلَكيًا حُلواً
يَمْنَحُكِ شطرَ النهرِ ، وأجْلَسْتُكِ
- أنتِ الملكةُ - في القلبِ
عدوتُ ، تسابقُني أحلامي
أجمعُ أطرافَ الغدِ ،
في كَفِّيَ منسأةُ المُلْكِ ،
على رأسي التاجُ ،
وَقُدَّامي قطعانُ الأمَلِ
وقلتُ : مُرِيني يا مولاتي الملكة .

الشتاء والحب

قصة بقلم : ملك حاج عبيد

البرق يشق السماء بومضات قوية، والرعد يفجر صواعق داوية، والمطر ينهمر غزيراً، يرشق النوافذ بقطرات كثيرة، يتسلل إلى الغرفة من حواف الخشب

البحر يمتد أمامي سهلاً من الرماد، تجلده سياط مطر ينحدر من سماء ملبدة بغيوم سوداء، وأصوات الموج تهدر، وتنكسر على رصيف [illegible]، والزوارق تترجح على صفحة الخليج العريض

[illegible]

تشهقه، أذهب إلى غرفة عمتي، أراها تجهش بالبكاء

ـ ماذا حدث ؟

ـ لا شيء

ـ ولكنك تبكين

صمتت، اقتربت من سريرها

ـ هل أستدعي لك الطبيب ؟

ـ ما الذي يستطيع الطبيب [illegible] حزن السنين ؟

ـ لا تقولي ذلك يا عمتي

ـ هذه هي [illegible]

ـ من ؟

ـ [illegible] عمتي

[illegible]



البكاء !

نظرت إليها بتعجب واهتمام :

قالت :

- كان أسمر ، أسود العينين ، وكنا . .

* كنتم ماذا ؟

- كنا نحب بعضنا .

حدقت فيها وكأنني أراها للمرة الأولى ، أي مفاجأة مذهلة لي أن أكتشف أن عمتي تحب ؟ رحت أتأمل الوجه الأسمر المغضن ، خصلات الشعر البيضاء التي تطل من تحت المنديل ، إنها في الخامسة والثمانين من عمرها ، أتكون قد أحبت حقيقة ؟ وهل كان في زمنها حب ؟

انساب صوتها هادئا عميقا ، وكأنه يأتيني من غور بعيد :

- لم يكن في البلد أجمل منه ، قامة فارعة ، عينان سوداوان كحيلان ، شاربان كثيفان ، عندما يمر في الطريق تقف الفتيات وراء النوافذ ينظرن إليه .

سرحت ببصرها بعيدا .

- كنا صغارا ، نزورهم ، ويأتون لزيارتنا ، نلعب ، نركض ، نصخب في الحارة ، حتى إذا حل المساء دخلنا إلى البيت لنكمل لعبنا فيه . كبرنا ، فُصل الصبيان عن البنات ، وفرض علينا الحجاب ، ثم مات جدي فوقع الخلاف بين أبي وعماتي على الميراث ، كانت عمتي أم أحمد أشدهن خصاما ، فكرهها والدي ، وحرم علينا زيارتها ، انقطعنا سنوات عن رؤية بعضنا .

عندما رأيته بعد انتهاء القطيعة كنت في الرابعة عشرة من عمري ، وكان في السابعة عشرة ، التقت نظراتنا ، فغضضنا النظر ، وعندما أعدت النظر رأيت الإعجاب في عينيه ، فخفق قلبي .

لم يكن باستطاعتنا أن نلتقي ، فكان يتحين الفرص ليمر أمام بيتنا ، قد يرفع إليّ نظره ، وقد لا يرفع ، ولكنني كنت أنتظر هذه اللحظات السعيدة .

- ولماذا لم يتقدم ليخطبك ؟

- تقدم ، ولكن جدك رفضه .

- لماذا ؟

- لأن والده كان فقيرا ، ولأن جدك لم ينس أيام القطيعة مع أمه .

- ثم ؟

- لم يكن يصدق أن خاله قد رفضه لأنه فقير ، كان يقول لي : أيخجل خالي من مصاهرتي ؟ اينسى أنني ابن أخته ؟ ما العيب في أن أكون فقيرا ؟ إنني شاب أستطيع أن أفتت الصخر ، ليمهلني ، وعندئذ يرى ما الذي أستطيع أن أفعله .

* لماذا لم يمهله ؟

أطلقت تنهداً حزيناً وقالت :

- الأيام لم تمهلنا . وذات يوم جاء العسكر التركي ، وجمعوا كل شباب البلد الذين في سن التجنيد ، وبلغوهم أن عليهم الالتحاق بالجيش ، لأن الحرب قد قامت ، ومن يتخلف أو يهرب سيعدم .

ما زلت أذكر ليلة سفره :

وغابت تسترجع التفاصيل ، وانطلق صوتها يروي ، وكأن ما تتحدث عنه ماثل أمام عينيها .

- قالت أمي لأبي : سنذهب إلى أختك لتوديع أحمد .

نهرها قائلا : ما للنساء وتوديع الرجال ؟!

انطوت أمامه ضعيفة ، خائفة ، تمنيت حينئذ أن أبكي بصوت مرتفع ، أن أتمرغ على قدمي والدي ليسمح لنا بالذهاب ، ولكن نظرة من عينيه كانت كافية لتوقع الرعب في قلبي ، ما كنت أستطيع أن أصدق أنه سيذهب دون أن أراه ، ولكن حكم أبي لا يرد .

الليل طويل ، والجميع غارقون في النوم ، ووسادتي غارقة بدموعي ، وعيناي مفتوحتان تنتظران معجزة ، سمعت حركة تحت النافذة ، تسللت من فراشي ، وأطللت ، رأيته في ضوء فانوس الشارع الضئيل ، كاد قلبي يسكت من الفرح والخوف ، لو أن أحدا رآه لكانت نهايتي على يد أبي .

أشار إليّ أن أفتح الباب ، فخرجت من غرفتي على رؤوس أصابعي ، أمام غرفة أبي

تعثرت وسقطت على الأرض ، وسمعت صوته الجهوري يصرخ :
ـ من هناك ؟
من أعماق رعبي انبعث صوتي مرتعشا :
ـ أنا يا أبي ، أريد أن أشرب .
عاد إلى النوم ، سمعت غطيطه ، لكن الذعر جمدني ، ماذا لو تظاهر بالنوم ثم خطر له أن ينهض ويراني وأنا أفتح الباب الخارجي ؟
ولكن قوة خفية كانت تدفعني إلى الباب دفعا ، هبطت الدرج ، وفتحت الباب ، كان يقف أمامي بقامته الشامخة .
ـ ادخل بسرعة .
وقفنا على الدرج ، رددت الباب .
ـ جئت لأودعك .
انخلع قلبي ، تساقطت الدموع من عيني ، لم أكن أراه بوضوح ، ولكنني كنت أحس بوجوده يملأ كياني ، ما زلت حتى الآن أذكر لمعان عينيه السوداوين ، ونظرة دافئة انغرست في قلبي .
ـ لا تبكي ، سأعود ذات يوم ، وسيوافق خالي على أن أتزوجك .
ـ سأنتظرك يا أحمد .
من أعماق الليل انطلق أذان الفجر ، وسمعت خطوات أبي متجهة إلى الحمام ، وقف الدم في عروقي :
ـ أرجوك انصرف ، لقد استيقظ أبي .
ـ ما أقساه !
من عنقي انتزعت مصحفي الذهبي .
ـ ضعه حول عنقك يحميك .
مد يده ، تناول يدي بين يديه ، قبلهما .
ـ ادع لي .
ـ ليعيدك الله سالما .
ذهب ، ولكنه لم يعد ، من كل شباب البلد الذين راحوا لم يرجع إلا اثنان ، طرق أحدهما الباب على عمتي وناولها المصحف :
ـ هذا أمانة من أحمد .
بلعت دموعي ، ما كان يحق لي أن أبكي ، فالحب في زماننا كان محرما ، ولكن يعلم الله أنني ما وضعت رأسي على الوسادة إلا بللتها .
كنت أتساءل : أي ضير سيلحق هذا الكون لو عاد ؟ لو رجع كنت سأتزوجه . في الحياة نصنع ما نريد ، ولكن ما الذي نستطيعه أمام الموت ؟
مرت السنوات وصورته لا تبارح خيالي ، تزوج إخوتي وأخواتي ، فرغ البيت ، لم يبق إلا أنا وجدك وجدتك .
لم تهف نفسي إلى الزواج ، الزوج إما أن يكون أحمد أو لا يكون .
تساءل الناس ، نسيني الناس ، دب الشيب إلى رأسي ، أخواتي أصبحن جدات ، مر على القصة . . . آه يا عمتي ، لقد مر عليها سبعون سنة .
هذه الأغنية أرجعتني إليه ، فكأنني الآن أراه واقفا في غبش الليل ، أرى لمعان عينيه ونظرته المودعة . أطلقت تنهدة :
ـ يقولون من جرح قلبه في الدنيا يجبره الله في الآخرة ، حياتي كانت حزينة ، فهل سأكون سعيدة هناك ؟
أحس بألم يعتصر روحي ، أتأملها غائصة في سريرها ، تنتظر آخر أيام شتائها ، صغيرة ، منكسرة ، أي حب وأي نبل يعيشان في هذا الجسد المتهدم ؟!
سنوات وأنا أعيش معها وأجهلها ، مذ كنت صغيرة وأنا أراها تروح وتغدو ، تعمل وتساعد ، رعت أمها وأباها ، ربت إخوتها وأولادهم ، بنين وبنات ، كل من وقع في ورطة يذهب إليها ، تدافع ، تحمي ، تعطي ، وما خطر لي أنها أحبت ذات يوم ، وأنها ما تزال غارقة في حبها القديم المستحيل .
أذكر حبها لأخي أحمد ، تفضيلها له علينا جميعا ، هي التي اختارت الاسم ، وهي التي أصرت على التسمية ، وأسترجع نظرتها الحانية إليه ، نبرتها وهي تناديه . أتأمل الوجه الذابل وقد دبت إليه حمرة ما قبل الغروب ، ومن العينين سرت دموع .
يا عمتي المسكينة تذكرينه لأنك ذاهبة إليه ؟ ألصق وجهي على زجاج النافذة ، المطر ما زال ينهمر في الخارج ، وفي داخلي ينبعث حنان يتمنى أن يمسح آلام الناس جميعا . □

التعـرّف على حالات القلق

بقلم : الدكتور عبدالستار ابراهيم

في لحظات كثيرة تعرض للانسان بعض المواقف التي لا يملك نفسه فيها تماما ، وتستبد به الحيرة ، ويتملكه الاضطراب ، وقد تمتد هذه اللحظات أياما ، وقد تطول فتصبح حالة نفسية مستمرة لها آثارها ، ومنغصاتها التي يفسرها الآخرون عندما يشرحها صاحبها لهم بأنها حالة من حالات القلق . فما هو القلق ؟ ما أنواعه وتأثيراته ؟

أتيح لنا ـ بحكم وضعنا المهني ـ أن نلتقي بكثيرين ممن تتملكهم المحن والأزمات . وما تكلمنا إلى أحد منهم إلا ووجدنا أن القلق ـ بين الغالبية العظمى منهم ـ هو مصدر المحن ورأس المشكلات . ويصف هؤلاء موضوع شكواهم بأسماء متباينة ، منها « انشغال البال » و « الهم » و « التوجس » و « الخوف » و « التشاؤم » و « متاعب الصحة والجسد » . وسنرى فيما بعد أن كل هذه الأسماء تمثل أوجها مختلفة لعملة واحدة : هي القلق .

وإذا سألت الناس عما يجعلهم يقلقون فستجدهم يتحدثون عن مصدر القلق بصور شتى ، ويدركه كل منهم بمنظار مختلف ، فمنهم من يراه كعدو غريب وكريه ، عرف طريقه ، بطريقة ما ، إلى نفوسنا وأجسامنا ، موجها إياها نحو التعاسة والمرض . ومن الناس من يتحدث عن القلق بأنه إرث ثقيل نقل إليهم من أسلافهم ، كما نقلت إليهم صفات جسمانية ونفسية أخرى بوراثة محتومة . وهناك من يحاول أن يطرح على القلق مسحة فلسفية ، فيراه ضريبة ندفعها لوجودنا ومعايشتنا للعصر الحديث . ولهذا نجد الفيلسوف الفرنسي ، ألبير كامي ، يرى أن هذا العصر عصر خوف . ويصور الشاعر « أودين » هذا العصر ، في قصيدة شعرية له ، حملت الاسم نفسه ، بأنه عصر القلق والمعاناة (١٩٤٧) . وهناك من يتحدث عن القلق ويصفه . بأنه تجربة ضرورية تثري الحياة ، كما وصفه لنا ، الأديب المصري يحيى الطاهر عبدالله الذي عاش تجربة قصيرة رائعة في الأدب والتأليف . لقد كان القلق بالنسبة لهذا الصديق الأديب ـ رحمه الله ـ طريقة لإثراء حياته الفنية والأدبية ، وكان يقول : إنه يبحث عن القلق ، بل ويخلقه ، لتستمر تجربته في الكتابة والتأليف . فالقلق عند بعض الناس إذن تجربة وخبرة شخصية ، قد تعود عليهم بالنفع والفائدة .

القلق كجرس إنذار :

القلق كما يصوره علماء التحليل النفسي ـ ويتفق معهم في ذلك علماء النفس المعاصرون ـ ما هو إلا نذير بأن هناك شيئا سيحدث ، ليهدد أمن الكائن وتوازنه وطمأنينته ، إنه أشبه بجرس الإنذار الذي يعد لمواجهة الخطر .

ولهذا تعرض الملاحظات العامة لسلوك الناس ، بأن القلق هو الاستجابة التي تغلب عليهم ، عندما يجد الواحد منهم نفسه مقبلا على شيء مهم أو خطير . ولهذا فمن الطبيعي أن يزداد القلق عندما يكون الشخص ضحية أزمة صحية أو كارثة مادية ، أو تحت تأثير أشياء تهدد أمنه أو حياته ، أو في المواقف الاجتماعية المتأزمة .

ومن العسير حقا أن نضع قائمة شاملة بالمواقف المثيرة للقلق ، إلا أن المواقف التي تثير القلق تشترك فيما بينها في الخصائص التالية :

١ ـ إنها جميعا تتعلق بالمستقبل أو بأشياء مرتقبة .

٢ ـ إنها جميعا تنطوي على شيء مهدد أو مخيف .

٣ ـ إن التهديد في بعضها حقيقي ، والتهديد في بعضها الآخر ـ أو الخوف ـ ليس شيئا حقيقيا أكيدا ، بل يراه الفرد كذلك .

ومن هنا يجيء تعريفنا للقلق بأنه انفعال يتسم بالخوف والتوجس من أشياء مرتقبة ، تنطوي على تهديد حقيقي أو مجهول . ويكون من المقبول أحيانا أن نقلق للتحفز النشط ومواجهة الخطر ، لكن كثيرا من المواقف المثيرة للقلق لا يكون فيها الخطر حقيقيا ، بل متوهما ومجهول المصدر . ولهذا فإن القلق يشيع أكثر ما يشيع بين فئة من الناس يطلق عليها العلماء اسم « العصابيين » أي الفئة التعيسة من البشر التي تتوجس شرا من كل موقف ، ويعيش أفرادها لهذا في ازعاج دائم ، وخوف . ولهذا نجد من القلقين من ينزعج لأشياء غير مهددة بطبيعتها ، بل قد تثير لدى غيرهم التقبل والاستحسان . كمشهد بعض الحيوانات الأليفة ، أو السفر إلى مكان جديد ، أو الدخول في علاقات اجتماعية أو جنسية مرغوبة . حتى النجاح والتفوق والحصول على شيء كان يصعب تحقيقه قد لا تثير لدى الشخص الذي تتسم حياته بالقلق أكثر من الخوف ، بأن تنقلب هذه الأشياء السارة في المستقبل إلى كارثة محتمة .

ونحن لهذا نقول : إن الخطر الذي يسبقه القلق،عادة ما يكون خطرا متوهما ومختلقا ، والخوف الذي يتملك الناس في حالات القلق خوف مجهول المصدر ، وغامض ، وغير

عقلاني . ومن ثم يجيء تعريف العلماء للقلق بأنه خوف من شيء مجهول المصدر ، وأنه حالة وجدانية غير سارة ، تتملك الشخص وتجعله يرى أخطارا غير حقيقة ذات مصدر غير معلوم للآخرين (جريست ١٩٨٧)

درجات القلق وأنواعه :

يتملكنا التوتر النفسي والقلق عندما نعلم أننا سنقبل على لحظة أو خبرة حاسمة (امتحان ، أو لقاء شخصي ، أو قرار) . ومن خلال هذا التوتر الذي نختبره قبل حدوث هذه المواقف نهيء أنفسنا ، ونحاول أن نتسلح بما يمكن التسلح به من خبرة أو معرفة ، لمواجهة هذه المواقف بنجاح . وإذا أتيح لنا أن ننجح في هذه المواقف (فنؤدي مثلا أداء جيدا في الامتحان ، أو أن نتغلب على خجلنا وعوامل ضعفنا في اللقاءات الشخصية المهمة ، تاركين أثرا طيبا وايجابيا في الآخرين) ، فإننا نشعر بالعرفان والشكر لمشاعر القلق السابقة لمساهمتها في الدفع الإيجابي نحو النجاح .

ويصور هذا الموقف (أو المواقف السابقة) نموذجا طيبا لما يسمى بالقلق الدافع . وهو قلق ضروري للنمو ، وللتطور بامكاناتنا نحو تحقيق كثير من الغايات الإيجابية . وهو قلق مؤقت ، وقليل الحدة ، ومنشط لامكانيات الكائن النفسية والعضوية ، بعبارة أخرى ، فإن هذا نوع صحي ومحمود من القلق ، وينطبق عليه قول العالم النفسي الامريكي كاتل (١٩٦١) بعد عرض كثير من نتائج بحوثه في هذا الميدان :

(بعض الناس يربط دائما بين القلق والمرض . لكن القلق لا يكون دائما علامة على المرض والعصاب . إن القلق يمكن أن يوجد بدرجات عالية دون عصاب . بل إنني أجد من نتائج دراساتي ما يؤكد أن وجود القلق قد يكون أحيانا علامة على الصحة والنضوج) .

على مثل هذا النوع من القلق الصحي قد ينطبق وصفنا السابق للقلق ، بأنه جرس إنذار مبكر في مواجهة الخطر . لكن القلق في أحيان كثيرة قد يكون أشد حدة من المواقف التي تثيره . ولهذا نجد من العلماء من يصف القلق بأنه جرس إنذار ، ولكنه إنذار أشد ضراوة وأخطر من الحريق الذي ينذر عنه (١٩٧٨ بيسك) . خذ على سبيل المثال نموذج الطالب الذي يتملكه القلق في يوم الامتحان بصورة تعوقه عن أداء الامتحان نفسه ، وبالهروب من الموقف كله ، أو ذلك الزوج الذي يتملكه الخوف من الضعف الجنسي عند معاشرته لزوجته بصورة قد تؤدي إلى إصابته « بالعِنّة الجنسية » ، أو تلك الزوجة الصغيرة التي يتزايد خوفها من الرجال لدرجة تمنعها من التوافق الجنسي السليم مع شريك حياتها ، أو تلك الأم التي تخشى على أبنائها من أخطار الحياة لدرجة توقف نموهم وتفاعلهم الإيجابي مع الحياة بحب وحرص مبالغ فيهما ، أو هذا الطفل الذي يوقفه خوف الانفصال من الأسرة عن الذهاب إلى المدرسة بالمرض أو التمارض كل صباح . وقد راجعتني في العيادة مرة سيدة ملكها الخوف من الكلاب ـ ثم كل الحيوانات فيما بعد ـ لدرجة أعاقتها عن أداء واجباتها الأسرية والشخصية الضرورية . في كل هذه الأمثلة تتمثل صور مختلفة مما يمكن أن نسميه بالقلق المرضي أو العصابي . وهو الذي يمثل الشكوى الرئيسية للغالبية العظمى من الناس ، عندما يتجهون لطلب العون النفسي ، وهو يمثل درجة مبالغا فيها من الانفعال بالأشياء لدرجة تعوق ـ ولا تيسر ـ الحياة البشرية ، وهو أيضا أنواع .

القلق العصابي (العُصاب)

كلمة عصاب مصطلح جرى على استخدامه علماء النفس والأطباء النفسيون لوصف طائفة من الأمراض النفسية التي يتميز أصحابها بالانفعال الشديد ، وعدم الاستقرار النفسي ، والتقلب



الانفعالي . ويسيطر على العصابيين عادة أعراض مرضية متنوعة منها الخوف ، والقلق ، والأحزان النفسية (الاكتئاب) ، والوساوس الفكرية .

ويمثل القلق العصابي الطائفة الرئيسية من العُصاب . ويعد أيضا سمة رئيسية في معظم الاضطرابات العصابية الأخرى . فنحن نجد القلق مستقلا كخاصية رئيسية في الشخصية ، ونجده مرافقا لكثير من الاضطرابات الانفعالية الأخرى كالخوف والوساوس والاكتئاب . والقلق العصابي هو انفعال شديد بمواقف أو أشياء لا تستدعي بالضرورة الانزعاج . والشخص في حالات القلق العصابي يجد حياته الوجدانية ، والفكرية ، والاجتماعية نهبا لهذا الشعور بحيث قد يجد الشخص نفسه عاجزا عن الحركة الايجابية والتفاعل العادي بالحياة .

والقلق العصابي يفتقد الخاصية الايجابية للقلق من حيث هو قوة إعداد وتهيؤ لمواجهة أزمات الحياة وتحدياتها . بل وقد يتدخل في تشويه نفس الغاية التي يهدف إليها فيكبل بدلا من أن ييسر التعامل مع الأزمات والأخطار . مما يزيد من تعرض الشخص للموقف المهدد . وربما صادفنا كثيرا من الحالات التي يتدخل القلق خلالها في الموقف بصورة سيئة . فالشخص الذي يؤدي به القلق إلى التلعثم المتتالي في الموقف الاجتماعي يجد نفسه ضحية لقلقه بصورة لا يحسد عليها . ونعلم أيضا أن هناك بعض الأشخاص ممن « يتجمد » في مواجهة الخطر بدلا من أن يستعد أو يتهيأ للاستجابات الملائمة .

ويأتي القلق العصابي بأشكال متعددة بحسب شدته وضراوته . فيكون إما حالة انفعالية شديدة ، أو يتزايد لدرجة أن يستجيب الجسم بالقشعريرة والرعدة ، وتوتر عضلات الجسم . أو يتحول في الحالات المتطرفة إلى نوبة حادة من الانزعاج والذعر . فالذعر درجة أشد من درجات القلق .

هذه بعض التصنيفات العلمية للقلق العصابي إلا أن الممارسة العملية تبين لنا أن هذه التصنيفات قد تربك أكثر مما تفيد . فالقلق ، وتحت أي اسم أو شعار ، هوانفعال مسرف في حدته ، يملك على الانسان مشاعره وتفكيره واستجاباته العضوية فيصيبها بالاضطراب والتوتر .

التعرف على القلق :

أقبلَ إلى شاب في الثالثة والثلاثين من العمر يعمل مهندسا ، يبدو على وجهه الشحوب والتعب ، تحيط بعينيه هالات سوداء

بدأ حديثه قائلا : إنني لا أنام ، وأظل طوال الليل أتقلب في سريري ، وعندما يأتي الصباح أشعر بصداع حاد ، وطنين من أثر ارهاق الليل والسهر . وما أن يمتد اليوم قليلا حتى يتزايد التعب والإعياء لدرجة أنني قد أنام على مكتبي .

كان واضحا أن هذا الشاب يعاني من حالة قلق شديدة ، بدأت آثارها تشمل الجسم (شعور بالاختناق وضيق النفس) فضلا عن الاحساس نفسه : اضطراب وخوف غير محدد المصدر .

وقد بدأ ذعره يتزايد مؤخرا ، وبعد محاولة تشجيعه للبحث عن الظروف الاجتماعية التي أحاطت به حديثا ، تبين أنه أعزب ، وانتقل للعمل في القطر العربي الذي تم لنا لقاؤه فيه ، وأنه كان قد تعرف في إحدى زياراته لبلده بفتاة

أسرع بخطبتها ، واتفق معها على أن يتم الزواج خلال زيارته القادمة . ولكنه تلقى منها قبل عودته التي كان يترقبها لإنهاء مراسيم الزواج ، رسالة تفيد برغبتها في إنهاء الخطبة . لقد أوضح أنه تسلم الرسالة في عمله وما أن عرف محتواها حتى أصبح كالتائه . وعندما أوى إلى مخدعه كان من الصعب عليه أن يسترخي أوينام ، وقام في منتصف الليل وهو يعاني من دوار شديد ورغبة في القيء ، وأخذ العرق البارد يتصبب منه . كان قلبه يدق في عنف ، ووجد صعوبة في التنفس العميق . وأخذ جزعه يتزايد متحولا إلى ارتعاشات في الجسم والأطراف . وتذكر أنه فكر : هأنذا وحيد وضائع . وتذكر أيضا مشاعره هذه الليلة ، كانت خليطا من الغضب والحنق ، والشعور بالامتهان ، والخوف من مواجهة الأهل والأصحاب . وأضاف وهو يسرد لنا أعراضه ومخاوفه . لقد فكرت في اليوم التالي أن أذهب إلى المستشفى ، لكنني كنت أعلم أنني تحت رحمة نوبة من القلق الشديد الحاد . وهأنذا هنا وبعد أن مضى على هذا الحادث أكثر من ستة شهور و على الرغم من أنني أعرف أن تصرفي أحمق ، ولكنه أمر ليس في استطاعتي أن أتجنبه .

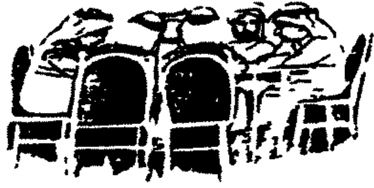
ذكرناه هذه الحالة لأن الأعراض فيها تعد نموذجا فريدا للتغييرات التي تصيب الناس في حالات القلق والذعر . وهي تغيرات تمس الأركان الرئيسية الثلاثة لشخصية الانسان ، أي الجانب العضوي العضلي ، وجانب الوجدان أو الشعور ، ثم جانب التفكير .

فمن الناحية العضوية العضلية تحدث في حالات القلق تغيرات غير سارة ، يرى العلماء أنها نتيجة للاستثارة الشديدة التي تحدث فيما يسمى بالجهاز العصبي السمبثاوي (الاستثاري) . وهو أحد الأجهزة الرئيسية التي تنشط في مواقف الخطر والانفعال ، ويؤدي نشاطه إلى التأثير في الأعضاء المتصلة به ، فتجحظ العيون أو تضيق ، وتعرق الأيدي أو تبرد أطرافها ، وتتزايد دقات القلب وتتسارع ، وتنبض الأوعية الدموية ، وتستثار بعض الغدد كالغدد الدمعية في حالات الحزن . . . الخ .

ونجد في حالات القلق ، أن التغيرات العضوية تمتد لتشمل : تسارع دقات القلب ، جفاف الفم ، الدوخة ، العرق الشديد ، الغصة وانحباس الصوت أحيانا ، الغثيان نتيجة لانقباض المعدة ! التنمل في اليدين والقدمين ، صعوبات التنفس التي تكون إما على شكل العجز عن التنفس العميق ، أو التنفس السريع المتلاحق ، وقد يجد الشخص نفسه في حالات القلق مشرفا على التهاوي أو الاغماء . وتحدث أيضا تغيرات عضوية عضلية لعل من أهمها تصلب عضلات الظهر والرقبة ، والتصلب على امتداد عضلات الذراعين حتى أسفل الكتفين ، وارتعاشات الأطراف والأصابع ، وزيادة اللوازم الحركية في الوجه وبالذات في منطقة الفم أو العينين نتيجة للتوتر العضلي الشديد في هاتين المنطقتين . ولهذا نجد أن كثيرا من المصابين بالقلق عادة ما يشكون من توترالعضلات ، والظهر ، وتقلبات المعدة .

وعادة ما يرتبط التعبير عن القلق بآلام الصدر ، وضيق التنفس ، مما يجعل الشخص يشك في الأمراض القلبية على الرغم من سلامة القلب . إلا أن هناك ما يبين أن الأشخاص الذين يتسم سلوكهم بالقلق المستمر والشكوى عادة ما يتعرضون فيما بعد لأمراض قلبية حقيقية ، وترتفع لديهم أيضا الحالات المرضية المرتبطة بارتفاع ضغط الدم .

من الناحية الوجدانية يكون الانفعال الغالب هو الخوف والتوجس ، وليس معروفاً ما اذا كان الخوف هو الذي يؤدي الى التغيرات العضوية التي تحدثنا عنها ، أو أنه نتيجة لها . ومن رأينا أن الخوف يدفع لإثارة التغيرات العضوية التي ما أن تحدث حتى يتزايد الخوف نتيجة لاضطراب هذه الوظائف والعجز عن التحكم فيها وضبطها ضبطا ناجحا . □



قضيـــة

بين الفكر والثقافة

بقلم : د. مصطفى النشار*

كثيراً ما نخلط بين مفهوم « الفكر » ومفهوم « الثقافة » ، ونستخدمها كمترادفين ، فلا نميز بين الفكر والثقافة ، وبين « المفكر » و« المثقف » ، فكل مثقف ندعوه مفكرا ، وكل مفكر مثقفا . فإن جازت الثانية فهل تجوز الأولى ؟

لا تقدم الموسوعات والمعاجم تمييزا واضحا بين اصطلاحي الفكر والثقافة ، فقد عرّفت « دائرة المعارف الحديثة » الثقافة بأنها « لفظ شاع استخدامه حديثا ، ويقصد به مجموع صفات كالمعرفة والبصيرة والذوق السليم ، وعرّفت الرجل المثقف بأنه ذلك الذي « يجمع بين تلك الصفات أو يقترب منها » . وقد اعتمدت في ذلك التعريف على الاشتقاق اللغوي للكلمة ، حيث أن « الثقافة » في اللغة بمعنى التأدب والذكاء . فنقول ثقفت الحديث أي فهمته بسرعة .

وإذا نظرنا إلى ذلك التعريف فسنجد أنه ليس تعريفا ، فهو لا يكشف عن ماهية معينة أو مدلول ثابت لما نطلق عليه اسم « ثقافة » ، بل هو نظر إلى الثقافة من حيث أنها صفة ، أو صفات ، تحمل على موضوع معين ، وغلب عليها في التعريف السابق الصبغة الأخلاقية .

دائرة المعارف الحديثة

أما « الفكر » فقد اكتفت الموسوعة بإيراد بعض مشتقات اللفظ ومترادفاته ، كالتأمل والتفكير والتفكر ، ثم قالت : « إن التفكير من أبحاث علم النفس ، وهو عملية عقلية نزوعية ، تهدف إلى كشف حقيقة كل مشكلة من المشاكل التي تعترض الإنسان ، لهذا كان التفكير من الصفات التي ينفرد بها الإنسان ، إذ أن التفكير يحتاج إلى استجماع لتجارب الإنسان الماضية ، وإدراك العلاقات بينها في ضوء حقيقة ماثلة أمام الفرد ، فكل عملية تفكير هي في الحقيقة استخلاص حقيقة جديدة من ثنايا حقيقة قديمة ،

* كلية الآداب جامعة العين ـ الامارات العربية المتحدة

أو جملة حقائق ، ومثاله محمد أطول من محمود ، وحسين أطول من محمد ، إذن حسين ولا شك أطول من محمود .

فهذا الاستنتاج الأخير هو حقيقة اكتشفها العقل بالتفكير ، وذلك بمقارنة الحقيقتين السابقتين ، وإذا شاهد إنسان البرق وسمع الرعد وقال : إن السماء سوف تمطر ، فإن هذا الاستنتاج وصل اليه من مقارنة هذه المشاهد الحسية بالحقيقة العامة ، وهي أن البرق والرعد مقدمة لسقوط المطر . « فالتفكير في جميع صوره ما هو إلا محاولة العقل لحل مشكلة من المشاكل التي تواجهه » .

وهذا ليس تعريفا للفكر أيضا ، فقد تطرق المعرِّفون إلى تحليل لبعض العمليات الفكرية ، وتركوا الحديث عن « الفكر » وماهيته ، واستدلوا عليه بالنظر في أمثلة من العمليات الفكرية ، كعملية الاستنتاج أو الاستنباط ، فهذه عمليات فكرية ، وليست هي « الفكر » في ذاته . لقد فعلوا ما فعله (أوطيفرون) حينما سأله (سقراط) عن ماهية التقوى ، فقال : إنها في التقرب إلى الآلهة بممارسة الطقوس وتقديم القرابين لها . فكان رد (سقراط) أن ذلك مثال سلوكي على ما نسميه التقوى ، لكنه يريد أن يعرف من (أوطيفرون) ما الذي يجعل التقوى تقوى ؟ إن هذا هو أساس التعريف .

المعجم الفلسفي

وإذا تركنا هذه الموسوعات العامة ، وانتقلنا إلى المعاجم المتخصصة ، فسنجد الشيء نفسه ، وإن كنا نقترب هنا من التحديد المطلوب فالمعجم الفلسفي الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد عرَّف « الثقافة » بأنها « كل ما فيه استنارة للذهن ، وتهذيب للذوق ، وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع ، وتشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه ، ولها طرق ونماذج عملية فكرية وروحية ، ولكل جيل ثقافته التي استمدها من الماضي وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر ، وهي عنوان المجتمعات البشرية ، ويفرق بينها وبين الحضارة على أساس أن الأولى ذات طابع فردي وتنصب بخاصة على الجوانب الروحية ، في حين أن الحضارة ذات طابع اجتماعي ومادي » .

وهنا نلاحظ أنه ربما كان القول بأن الثقافة هي كل ما فيه استنارة للذهن يشير بالفعل إلى ماهية صورية للثقافة ـ تشير اليها لفظة « ما » التي لم يحدد المعرف محتوى لها ، من حيث أن الثقافة تعني كما قال « دلتاي » اتساع المعرفة والوعي . ولكن استطراد المعرف أفسد التعريف ، حيث تطرق مقدما إلى استطرادات زائدة عن الحاجة من جهة ، كما ميز في هذه الاستطرادات تمييزا غير موفق بين الثقافة والحضارة حينما قال بأن الأولى ذات طابع فردي والثانية ذات طابع اجتماعي . فهو نفسه قد قال قبل ذلك : إن الثقافة لدى الفرد أو في المجتمع ، فهناك ثقافة الفرد . وثقافة الأفراد هي التي تتشكل منها ثقافة المجتمع ككل : فأي ثقافة لا تنفصل فيها ثقافة الفرد عن ثقافة مجتمعه إن كان هناك التوافق المطلوب بين الفرد ومجتمعه .

أما « الفكر » فقد عرف في هذا المعجم بأنه « بوجه عام ، جملة النشاط الذهني ، من تفكير واستنارة وإرادة ووجدان وعاطفة ، وهذا هو المعنى الذي قصده (ديكارت) بقوله : « أنا أفكر إذن أنا موجود » ، وانه « بوجه خاص ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية . أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق » .

خلط غير جائز

وواضح أن هذا التعريف يشتمل على دور منطقي ، فقد عرف الشيء بنفسه ، فالفكر هو « التفكير » أو « ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية » ، كما أنه حسب أن الوجدان والإرادة

والعاطفة من الفكر ، وكم من فروق بينها وبين الفكر مما يعلمه المتخصصون جيدا . كما أن المعرِّف قد استدل على معنى « الفكر » بعبارات شعورية أطلقها أحد المفكرين . وكل ذلك خلط لا يجوز .

وعلى أي حال فنحن لم نذكر هذه التعريفات لمجرد نقدها ، بل ذكرناها لنوضح أننا كثيرا ما نستخدم الكثير من الألفاظ بمعنى واحد ، على الرغم من اختلاف مدلولاتها فعلا ، وكثيرا ما تختلط أمامنا المفاهيم ، لعدم دقتنا في استخدام الألفاظ ، بحيث يترتب على ذلك أن نستخلص نتائج خاطئة نتيجة لذلك اللبس في معاني الألفاظ المستخدمة .

جوهر الثقافة

وربما يكون من المناسب بعد ذلك أن نطرح ما نراه تمييزا بين « الثقافة » « والفكر » ، فإن الثقافة هي جميع المعتقدات والأفكار التي يتوصل إليها الفرد نتيجة اطلاعاته المختلفة حول طبائع الأمور ، سواء كانت طبيعية أو سياسية أو أخلاقية أو دينية . إذ أن الثقافة ـ في اعتقادي ـ تابعة للفكر ، وليس العكس كما يتصور البعض ، هي تابعة له منطقيا ، حيث أن الثقافة التي تتشكل لدى الأفراد والجماعات في أي عصر من العصور يصنعها مفكرو هذا العصر أو ذاك ، ويتلقاها هؤلاء الأفراد ، فيتشكل بناء عليها وعيهم ، وتتسع مداركهم ، وتنمو أفكارهم وتتجدد ، ومن ثم يلقبون بالمثقفين .

وإذا أردنا في ضوء ذلك أن نحدد معنى « الفكر » فهو كما في تعريف « المعجم الفلسفي » أسمى صور العمل الذهني ، حيث يرتبط الفكر بالإبداع ، فالمفكر هو المبدع الذي يستطيع بتأملاته الخروج عن دائرة المألوف ، ويرى ، من أبعاد أي موقف (ما لايراه) بقية الناس ، ومن ثم فهو يتحمل تبعة انهاض معاصريه وإيقاظ وعيهم باستمرار ، والاتجاه بهم ـ عن طريق ما يقدمه لهم من أفكار جديدة ـ إلى آفاق أرحب وأفضل .

وبالطبع فإن كل مفكر مثقف ، ولكن العكس غير صحيح كما قلنا في البداية ، فالمثقف يتلقى نتائج فكر عصره ويفهمه ، وإذا نجح المثقف في أن يزيد وعي معاصريه ، من خلال نقل هذا الفكر إليهم ، يكون قد أدى دوره كاملا ، وليس معنى ذلك أن نلقبه بالمفكر .

بين الثقافة والحضارة

وإذا ما أدركنا ذلك الفرق بين « المفكر » و« المثقف » يمكن أن نتصور علاقة الفكر والثقافة بالحضارة ، إذ أن كثيرا من الناس يتصورون خطأ أن الثقافة هي التي تصنع الحضارة ، أو هي علامة عليها ، وأن المثقفين هم روادها ومبدعوها ، ويقيسون تحضر المجتمع بما فيه من مثقفين !!

إن الحضارة بمظاهرها المتعددة ، من فلسفة وفنون وآداب وعلوم ، يبدعها الفلاسفة والفنانون والأدباء والعلماء . وفي كلمة واحدة يبدعها الأفراد في كل ميدان من تلك الميادين . ولا شك في أن ظهور الفكر الجديد والمنهج الجديد هو نقطة البدء لأي حضارة ناشئة أيا كانت . وانظر في حضارات العالم كافة قديمها وحديثها ، فستجد أنها قامت أول ما قامت على فكر جديد ومنهج جديد ، قدمه مفكروها ، وكان أن ساد هذا الفكر وذلك المنهج ، فأصبح هاديا للعلماء والأدباء والفنانين ، ثم صار حياة يحياها المثقفون أولا ، فالرجل العادي ثانيا .

ولكي نتمثل ما سبق يجب أن يقر في أذهاننا الفرق بين « الحضارة » و« المدنية » ، والفرق بينهما يكمن في أن الحضارة هي في ازدهار تلك المظاهر التي عددناها من قبل دون التساؤ ل عن منفعتها وما تحققه لنا من إشباع مادي . أما المدنية فهي ليست تلك المظاهر الحضارية في ذاتها ، بل هي تبدأ وتبدو حينما نتساءل عن تلك المنفعة

المادية التي نجنيها من تلك المظاهر ، فكأن لمظاهر الحضارة كافة ، جانبها الحضاري ، وجانبها المدني التقني النفعي .

وكثيرا ما نبه الفلاسفة - ومنهم شبنجلر - إلى أن الحضارة إذا ما وصلت المدى النهائي في إبداعاتها ، وتحولت الى مدنيّة كان في هذا بداية انحلالها فكأن « المدنيّة » تمثل مرحلة انحلال « الحضارة » وانهيارها ، وما ذلك إلا لأن التركيز في تلك المرحلة المدنية يكون على الجانب المادي النفعي وهو ليس مسئولية المفكرين والمبدعين ، بل هو مسئولية رجال التخطيط والتنفيذ . ففرق كبير إذن بين أن يكون لدينا « فكر » و« حضارة » ، وبين أن يكون لدينا « ثقافة » و« مدنية » ، فالأولى علامتها الإبداع ، والثانية علامتها الاتّباع .

وقد يكون الأمر هينا ويمكن تداركه إذا ما كنا نتبع في ثقافتنا فكرنا ، وفي مدنيتنا حضارتنا . ولكن الواقع يقول إننا نتبع في ثقافتنا فكر غيرنا وثقافته ، وفي مدنيتنا حضارة غيرنا ومدنيته .□



منتدى العربي

تعقيب

طه حسين
في ميزان النقد العلميّ

بقلم : د. محمد الدسوقي

كتب الدكتور أحمد علبي في عدد ديسمبر ١٩٨٨ من « العربي » مقالا بعنوان « طه حسين في ميزان النقد العلمي » ، تحدث فيه عن أربع قضايا ، تتناول أهم الجوانب الفكرية في حياة العميد الراحل ، وهذه القضايا هي : إسلاميات طه حسين ، ومصادر الفكر التاريخي لديه ، وموقفه من الأحزاب ، ودوره في كتابة القصة والرواية المعاصرة .

وهذا المقال على إيجازه الدقيق ، وما اشتمل عليه من لمحات نقدية طيبة ، يثير بعض القضايا التي تحتاج إلى مناقشة أو تعقيب ، ومن أهمها ما جاء عن الاستشراق ، وموقف العميد من الأحزاب ، ونقده للمنفلوطي ، والحبكة القصصية في أدبه .

وقد ورد كلام الدكتور أحمد عن الاستشراق في مستهل حديثه عن إسلاميات طه حسين ، فذكر أن منهجه فيها يعد أسلوبا تجديديا في البيئة العربية ، تلك البيئة التي سادها الركود والتقليد والغيبيات ، وفي هذا إفراط في مدح العميد ، يحذر الدكتور علبي منه ، كما أن فيه حكما قاسيا على البيئة العربية ، وهو حكم تأباه الموضوعية والأمانة العلمية ، ثم ربط بين منهج العميد في

كتاباته الإسلامية وما قام به الاستشراق من جهد فائق في دراسة حضارتنا ، فأشار إلى أن المستشرقين سبقونا إلى دراسة هذه الحضارة على هدى المنهج والتحقيق والموضوعية والمحبة أيضاً » ولكنه يستدرك قائلا :

« ولا عبرة ببعض الضالين المغرضين ، فهؤلاء نعثر عليهم في صفوف المستشرقين كما نجدهم بين ظهرانينا » .

فالمستشرقون ، كما يرى الدكتور علي ، درسوا حضارتنا دراسة علمية موضوعية ، وأهل الأهواء منهم قلة ، وأصبحوا معروفين ، وهذا الرأي لا يأخذ به إلا المستشرقون ، ومن تتلمذوا عليهم ، وآمنوا بآرائهم ، ولا مجال لتشقيق القول في هذا الموضوع الذي تعددت فيه الدراسات المعاصرة التي أكدت في مجموعها أن الاستشراق لم يدرس حضارتنا على هدى المنهج والتحقيق والموضوعية والمحبة ، وإنما على هدى المصالح الاستعمارية والهيمنة الفكرية ، وكان العميد على الرغم من إعجابه بالمستشرقين يرى أن الاستعمار اعتمد عليهم في تحقيق أغراضه بطريقة علمية ، وأن هذه حقيقة لا شك فيها (انظر أيام مع طه حسين ص ٥٣) . ويكفي في هذا الإحالة على ما كتبه الدكتور طيب تيزيني بعنوان « من الاستشراق الغربي إلى الاستشراق الشرقي » الذي نشر بعدد يناير ١٩٨٨ من « العربي » ، ففيه تأكيد على أن الفكر الاستشراقي في صيغته الإجمالية العامة تعبير عن مصالح الاستعمار الرأسمالي الغربي تجاه بلدان الشرق ، وأنه من هذا المنطق حاول أن ينفي عن الحضارة الإسلامية أصالتها وعقلانيتها ، وأومأ الدكتور طيب إلى أن بين العرب مفكرين يسيرون في ركاب ذلك الفكر على نحو من الأنحاء .

ويعلل الدكتور أحمد انتهاء العميد إلى حزب الوفد ، وتركه حزب الأحرار بالظروف السياسية والاجتماعية التي اكتوت فيها مصر بالاستبداد والجهل ، فضلا عن التطور الفكري للعميد .

والحقيقة التاريخية أن تحول العميد إلى حزب الوفد لا يرجع إلى أنه رأى في هذا الحزب تحررا وسعيا لتحقيق العدالة ، وإنما كان ذلك لأن العميد ـ كما أخبرني ـ تعرض في عهد صدقي سنة ١٩٣٢ م لأزمة اقتصادية شديدة ، بسبب موقفه من الحكومة ، وعدم الاستجابة لها في منح بعض الساسة درجة الدكتوراة الفخرية ، ومن ثم أحاله صدقي على المعاش دون أن يكون له معاش ، ولم تكن كتاباته السياسية تدر عليه شيئا ، فقد كان يكتب مجانا . ويقول العميد : في هذه الظروف جاءني مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وعرضا علي رئاسة تحرير جريدة « كوكب الشرق » ، وهي جريدة وفدية ، وكان راتبي منها مائة جنيه ، ومع هذا لم أوافق إلا بعد أن عرضت الأمر على الأحرار ، ونظرا لأن الأحرار والوفديين كانوا متآلفين ضد صدقي وافقوا على أن أتولى رئاسة تحرير تلك الجريدة .

واستطرد العميد : وكان عملي في « كوكب الشرق » بداية العلاقة بيني وبين مصطفى النحاس ، وازدادت هذه العلاقة وثاقة بمرور الأيام . وكنت أزوره كثيرا في منزله ، وكان



● طه حسين

الرجل يستنصحني في بعض الأمور ، وكان يأخذ بما أشير عليه ، كما كان ينزل عند رأيي إذا اختلفنا .

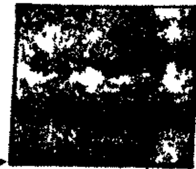
فطه حسين لم يترك حزب الأحرار ويعمل مع الوفد ، لأن هذا الحزب أصبح في نظره أقرب إلى الجماهير من غيره ـ كما يذهب إلى هذا بعض الباحثين المعاصرين ـ وإنما كان العمل في « كوكب الشرق » بداية العلاقة بالوفد ، ثم قويت الصلة بين العميد ورئيس الحزب شيئا فشيئا ، حتى أصبح علما مرموقا من أعلام حزب الوفد ، ووزيرا في آخر وزارة رأسها مصطفى النحاس .

ولم يكن نقد العميد للمنفلوطي طلبا للشهرة ، كما ذكر الدكتور علبي في مقالته ، وإنما كان من وراء هذا النقد الشيخ عبدالعزيز جاويش ، فقد نشر في يوم الخميس الموافق ٢٤ / ٤ / ١٩٦٩ في يوميات جريدة « الأخبار » مقال عن التراث الحي ، جاء في مستهله أن كاتب المقال سأل العميد عن سبب نقده للمنفلوطي ، فقال له : لأن المنفلوطي كان أديبا مشهورا ، فأردت من وراء نقده الشهرة ، ولما قرأت هذا للعميد قال في انفعال : هذا الكاتب كذاب ، فأنا لم أقل له شيئا من هذا ، فضلا عن أن نقدى للمنفلوطي لم يكن القصد منه الشهرة بالنسبة لي ، والحقيقة أن الشيخ عبدالعزيز جاويش كان يكره المنفلوطي ، وهو الذي حرضني على الكتابة ضده ، فقلت للعميد : هل يعني هذا أن نقدكم للمنفلوطي كان نقدا سياسيا أكثر منه أدبيا ؟ فقال : هو ذاك ، ولكنني أستحي مما كتبته ضد المنفلوطي ، لأن ما كتبته لم يكن نقدا بالمعنى الصحيح ، وإنما كان بحثا في صحة المفردات التي كان يستعملها المنفلوطي من الناحية اللغوية ، وكنت أنشر هذا تحت عنوان « نظرات في النظرات » .

وأما الحبكة القصصية في أدب العميد فهي في نظر الدكتور علبي تنقصها الدقة الفنية ، وأرجع هذا إلى أن أدب القصة في الربع الأول من القرن العشرين كان يخطو خطواته الأولى ، وأرجعه أيضا إلى أسلوب العميد في الكتابة ، فهذا الأسلوب حال دون التعبير الذي يحلل الأحداث ويربط بينها في مهارة وإبداع فني .

والذي أود قوله في هذا أن كل ما كتبه العميد من قصص حقيقة ليس فيه خيال ، اللهم إلا بعض الأحداث القليلة ، كما أخبرني بذلك ، فلعل هذا كان من عوامل ضعف الحبكة القصصية لدى العميد ، وإن كنت لا أوافق الدكتور علبي على أن أسلوب العميد كان من أسباب هذا الضعف ، ومع هذا أرى أن الموضوع برمته لا يقضي فيه إلا ناقد متخصص في أدب القصة .

ويتصل بالقصة في أدب طه حسين الرواية التاريخية لديه ، وما قال الدكتور علبي عن هذه الرواية قد يصدق على « هامش السيرة » ، دون « الوعد الحق » ، فقد قال لي العميد إنه كان يفترض من الشخصيات والوقائع ما شاء له الخيال أن يفترض ، ولكنه فيما يتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان يلتزم بالحقيقة التاريخية ، ولا يعمل خياله فيها . □



- يبلغ طول حنجرة المرأة ثلاثة أرباع طول حنجرة الرجل .
- النساء أقل إصابة من الرجال بعمى الألوان .
- يولد (٢١) ذكرا مقابل ولادة (٢٠) أنثى ، ولكن مع تقدم العمر عند الجنسين يبلغ من يصل من النساء سن التسعين أربعة أضعاف من يبلغ ذلك من الرجال .




الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

بشرى جديدة للذين يشكون من أمراض القلب التاجية

تقول إحصاءات أمريكية : إن عدد الذين يتعرضون للنوبات القلبية سنوياً يبلغ (١,٥) مليونا ونصف مليون نسمة ، وأن عدد الذين يموتون منهم يبلغ (بالتحديد ٥٤٠,٠٠٠ نسمة) ، وهذه أرقام ضخمة ، كما لا يخفى ، وإن كانت قد تقلصت عما كانت عليه قبل بضع سنين ، حين بلغ عدد الموتى من الذين يتعرضون للنوبات القلبية ٧٠٠,٠٠٠ نسمة ، والفضل في تقلص هذا العدد إنما يعود للامتناع عن التدخين ، والإلتزام بقواعد الحمية السوية ، والاقبال على ممارسة المشي والرياضة ، فضلاً عن استعمال العقاقير الفعّالة .

وكان عقار (اللوبيد) آخر تلك العقاقير وأحدثها ، وقد قررت استعماله وكالة الغذاء والدواء في ١٩٨٩/١/١٨ ، لقدرته على تكييف الشحوم أو الدهون الموجودة في الجسم ، وقدرته على الحد من احتمالات الإصابة بمرض القلب التاجي ، واحتمالات الموت بسببه .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أمراض القلب التاجية هي من أخطر أمراض القلب جميعها ، فهي أخطر من أمراض القلب الفطرية التي تصيب الأطفال ، والتي قد تكون وراثية ، وأخطر أيضا من أمراض القلب الروماتزمية التي تصيب الفتيان والشباب غالباً ، والتي تراجعت وتناقصت كثيراً منذ الأربعينيات عقب انتشار المضادات الحيوية ، وعقب التقدم الباهر الذي أحرزته الجراحة .

أما تسميتها باسم أمراض القلب التاجية ، فنسبة إلى الشرايين التاجية ، فقد تقصر هذه الشرايين بمد عضلة القلب بالأوكسجين ، فتكون الإصابة بمرض القلب التاجي ، أو إن شئت (الذبحة التاجية الصدرية) أو (الخناق) ، أو (قلة التروية) أو (احتباس الدم) .

فهذه أسماء مختلفة لعلة واحدة ، أما الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بهذه العلة ، فغالباً ما تعزى إلى تصلب الشرايين أو ضيقها الذي يترتب عليه غالبا الانسداد الكامل للشرايين .

وتمتد هنا أصابع الاتهام مشيرة إلى مادة « الكوليسترول » ، فهذه المادة يصنعها الكبد ، وهي تشبه المواد الدهنية ، وتقوم بنشاط مزدوج ، فهي

تسهم في بنية الخلايا في الجسم ككل ، وتسهم أيضا في صنع عدد من هرموناته المختلفة . وللكوليسترول نشاط آخر سلبي ، بل هدام ، وغالبا ما يطغى على نشاطه النافع الذى ذكرنا فهو الذي يعمل على بناء الرواسب الشمعية التي تتراكم داخل الشرايين المتصلبة ، وبخاصة الشرايين التاجية في القلب ، وتؤدي إلى التعرض للنوبات القلبية ، ثم إلى الموت .

والكوليسترول نوعان لا نوع واحد ، نوع حميد وآخر رديء ، والرديء عدو القلب اللدود ، يتراكم على جدران الشرايين من الداخل ، فيسبب ضيقها وعرقلة سير الدم فيها . وهكذا تتكون أمراض القلب التاجية ، والجلطات ، ويحدث الموت المفاجيء وغير المفاجيء وغير المفاجيء في كثير من الحالات .

أما الكوليسترول الحميد ، فمن شأنه أن يخفض نسبة الرديء ، ثم يخفض نسبة الكوليسترول الاجمالية في الدم ، وهو يضمن أيضا الحد من نسبة الشحوم في الجسم .

وهنا تتجلى ميزة العقار الجديد (اللوبيد) الكفيل بزيادة نسبة الكوليسترول الحميد في الدم ، وهو الكفيل أيضا بالحد من الكوليسترول الرديء فيه . ولكن هذه المزايا بالغة الأهمية ، مما لا يسمح بأخذها على علاتها والتسليم بنتائجها ، لذلك كانت الدراسات الواسعة النطاق التي أجراها العلماء في فنلندة ، والتي شملت نحو (٤٠٠٠) مريض ، واستغرقت خمس سنوات ، وقد استهدفت تلك الدراسات المركزة أمراض القلب التاجية فحسب ، وأثر عقار (اللوبيد) فيها ، علماً بأن هذه الأمراض أكثر انتشاراً في فنلندة منها في أي بلد آخر من بلدان العالم . ودلت الدراسات وتجاربها الميدانية على أن اللوبيد يزيد نسبة الكوليسترول الحميد بنسبة ١١٪ ، ويحد من نسبة الكوليسترول الاجمالية في الدم بنسبه ١٠٪ ، أما محتويات الشحوم في الجسم فيحد منها بنسبة (٣٥٪). وهكذا ثبت للعلماء أن (اللوبيد) يقلل عدد الذين يموتون بسبب أمراض القلب التاجية بنسبة لا تقل عن ٣٤٪ .

والجدير بالذكر أن هذه الدراسات الفنلندية قد بلغت من العمق والدقة والشمول ما جعلها موضع ثقة في الأوساط الطبية والعلمية جميعها ، حتى وكالة الغذاء والدواء في واشنطن التي أقرت استعمال (اللوبيد) .

بقي أن نذكر أن (اللوبيد) ليس هو العقار الوحيد ، الذي يعالج أمراض القلب التاجية التي أقرتها وكالة الغذاء والدواء ، وأن الحمية والامتناع عن تناول الأطعمة الدهنية (لا سيما الحيوانية)، وتخفيف الوزن ، فضلاً عن التمارين الرياضية ، تعد العلاج الأول الذي ينبغي لمرضى القلب أن يعتادوه بادىء ذي بدء ، حتى إذا لم يجد هذا العلاج عمدوا إلى تناول العقاقير التي أقرتها وكالة الغذاء والدواء ، لا سيما (اللوبيد) .

قلوب اصطناعية ولكنها عضلية لا بلاستيكية

الجراح العربي مجدي يعقوب الذي يحتل مكانة بارزة بين مختلف الجراحين في بريطانيا ، ويتمتع بشهرة عالمية في جراحة القلوب وزراعتها ، ينوي إجراء عملية رائدة من عمليات زرع القلوب ، وذلك في أواخر السنة الحالية (١٩٨٩) .

وتتميز العملية المرتقبة في أنها تستهدف زرع قلب اصطناعي ، لكنه قلب مصنوع من لحم وعضلات لا من مواد بلاستيكية أو ما إلى ذلك ، ومن عضلات المريض نفسه الذي تجرى له العملية .

والجدير بالذكر أن العضلة التي يصنع منها القلب تؤخذ من العضلات الهيكلية التي تتكون ملاصقة للعظام ، حيث أنها عضلات قوية للغاية ، بل أقوى بكثير من عضلة القلب الطبيعي .

غير أن عضلة القلب الطبيعي تتميز على كل ما سواها بأنها مقاومة للتعب أو الإرهاق ، وحسبك أنها تمكن القلب السليم من النبض ١٠٠,٠٠٠ مرة في ٢٤ ساعة ، أي ما يعادل ٢٥٠٠ مليون مرة على مدى عمر الإنسان . وحسبك أيضاً أنها كفيلة بضخ ما يقارب ٢٠٠٠ جالون من الدم في اليوم الواحد .

ولا ريب في أن العضلات الهيكلية أو العظمية لا تستطيع أداء هذه المهمة ، ولو قامت بها لأصيبت بالتقلصات الحادة وتوقفت عن العمل ، لكن الجراح مجدي يعقوب لم يعزم على إجراء العملية المنتظرة لولا يقينه من نجاح العلماء الانكليز في معالجة هذه العضلات العظيمة ، لتصبح مقاومة للتعب كعضلة القلب .

□□□

منافع جديدة لأشعة الليزر

● كثرت استعمالات هذه الأشعة طبياً ، وتنوعت في المدة الأخيرة ، وكان آخرها محو البقع والتشويهات الخلقية أو ازالتها . تلك التشويهات التي تظهر على وجوه بعض المواليد أو على أجسامهم وهم في الأرحام قبل الولادة . وقد أصبح في الإمكان معالجة هذه البقع في الأطفال ، بحيث ينمو هؤلاء دون مضاعفات قد تسببها لهم تلك التشويهات .

يقول الدكتور (أوون تيان تان) ، أحد روّاد الاستعمال الجديد لأشعة الليزر ، وهو بروفيسور في كلية الطب في جامعة بوسطن : حققت أشعة الليزر نجاحا منقطع النظير ، إذ يستحيل على الإنسان اكتشاف مكان البقعة بعد محوها ، فالجلد يعود كما كان أصله في ذلك المكان ، وفي أي مكان آخر قريب منه أو بعيد عنه .

وتشمل تلك التشويهات البقع والوحمات واللطعات الحمراء الخمرية اللون التي كثيراً ما تغطي كل الوجه أو جزءاً منه .



سلامة البشرية في سلامة البيئة

أبرمت اتفاقية مونتريال بين (٣٠) دولة سنة ١٩٨٧ ، بقصد إنقاذ طبقة الأوزون بحظر صنع الفلوروكربونات ، واستعمالها بنسبة ٥٠٪ ، وذلك قبل حلول القرن الحادي والعشرين ، ذلك أن المستحضرات الكيميائية المذكورة هي السبب المباشر لتلف طبقة الأوزون الواقية ، وللثقب الذي اكتشفوه في تلك الطبقة في أجواء القارة القطبية الجنوبية . وقد ثبت لجمهور العلماء وجود تلك العلاقة السببية عندما قاموا بدراساتهم الميدانية ، سواء في أعالي الجو ، حيث يوجد الأوزون ، أم على سطح اليابسة . وقد توجهت الشركات الأمريكية التي تصنع الفلوروكربونات إلى البحث عن بدائل لهذه المستحضرات ، تؤدي مهمتها دون أن تلحق الأذى بالأوزون ، وقد نالت النجاح بعض تلك الشركات في ذلك الاتجاه .

والظاهر أن التلف الذي لحق بطبقة الأوزون كان أخطر مما تصور الناس ، فمع أن الثقب الذي ظهر في تلك الطبقة في أجواء القطب الجنوبي كان ثقباً موسمياً ، يظهر حيناً ويختفي حينا آخر ،إلا أنه كان يزداد سوءاً ،فقد ثبت للعلماء أنه ثقب أكثر تفاقما في كل مرة يظهر فيها عما كان عليه في المرة السابقة . والأهم من ذلك ما ثبت لعلماء البيئة الانكليز وغيرهم من أن طبقة الأوزون فوق القطب الشمالي أيضاً آخذة بالتلف ، وأن ثقباً شبيها بثقب أوزون القطب الجنوبي سيظهر في طبقة الأوزون الشمالية في فصل الربيع القادم . ولما كانت الشعوب الأوروبية هي أول من يتضرر تبعاً لتلف طبقة الأوزون الشمالية جاءت المبادرات الأوروبية التي ظهرت في شهر مارس الماضي (١٩٨٩) ، والتي اقتفت أثر اتفاقية مونتريال ، إن لم نقل نافستها ، وتخطت الحدود التي وقفت عندها .

وكانت أولى تلك المبادرات الاجتماع الذي عقده وزراء البيئة لدول السوق الأوروبية المشتركة ، في بروكسل في مطلع شهر مارس الماضي ، وقرروا فيه الحد من صنع مستحضرات الفلوركربون بنسبة ٨٥٪ ، وذلك في أسرع وقت ممكن ، على أن يستكملوا حظر صنعها نهائياً قبل نهاية القرن العشرين .

ثم كانت المبادرة الثانية مؤتمر لندن الموسع ، وقد عُقد للغرض نفسه ، وفي الوقت نفسه تقريباً ، وفاجأ العالم بما لم يكن في الحسبان ، ذلك أن رئيسة الوزراء البريطانية التزمت فيه بسياسة خضراء ، تهدف إلى وقاية طبقة الأوزون ، وحماية البيئة على نطاق واسع . وقد احتضنت السيدة تاتشر هذه السياسة الجديدة بدفء فائق يذكرنا بمواقفها البيئية القديمة التي طالما غلب عليها البرود ، واشتهرت باللامبالاة .

وهكذا بدت أوربا متقدمة على أمريكا في حلبة حماية البيئة ووقاية طبقة الأوزون ، ولكن تقدمها هذا ما لبث أن تعرض لنكسة برد فعل سريع مفاجيء ، صدر عن واشنطن ، وبخاصة عن الرئيس جورج بوش ، فقد أعلن البيت الأبيض قرار أمريكا القاضي بوقف صنع الفلوروكربونات نهائيا قبل سنة ٢٠٠٠ . وصرح أحد أعضاء الكونجرس عن المضي في سن قانون يقضي بالتخلص من كل الفلوروكربونات في غضون خمس سنوات .

ألا ترى ـ عزيزي القارىء ـ أن الولاء للبيئة إنما هو ولاء للبشرية ككل ، وأنه يرتفع فوق كل ولاء آخر ، سواء كان للقومية أو للاشتراكية أو غير ذلك . ولعل ذلك يصبح خطوة رائدة لظهور حكومة عالمية شاملة ، قد تتخطى النعرات ، وقد تضع حداً للحروب من أجل الصالح الإنساني العام ، بدءاً بوقاية الأوزون وحماية البيئة من شتى المخاطر التي تهددها .

□□□

القمعية عقار القلب المثالي

القمعية نبات أو عشب ذو زهر ناقوسي الشكل ، وقد يكون أرجواني اللون ، انتشر استعماله لاغراض طبية عديدة ، منذ أكثر من (١٠٠٠) عام . وقد استعمله الانكليز في معالجة السعال وتورم الغدد ، وانتشر استعماله أيضاً لمعالجة الصرع . ويقال : إن الفنان الهولندي فان جوخ استعمل القمعية عند اصابته بالصرع ، وأن تعلقه باللون الأصفر في لوحاته جاء نتيجة استعماله القمعية التي تسبب الاصفرار في الرؤية . وقد غلب استعمال القمعية في معالجة أمراض القلب على سائر استعمالاتها الأخرى ، وذلك منذ سنة ١٧٨٥ ، حين ظهر كتاب الدكتور وليم وذرنغ الذي كشف عن مزايا هذه العشبة في معالجة أمراض القلب ، وهي مزايا فريدة . وقد أجريت دراسات جديدة في الولايات المتحدة ، أكدت فاعلية القمعية وفوائدها الطبية الفذة ، وبخاصة فيما يتصل بالقلب .

□□□

الإدمان يسبب الموت

انتشر إدمان المخدرات في الولايات المتحدة ، وانتشر معه التسمم بسبب الجرعات المضاعفة التي قد يقدم علي تناولها المدمنون . وقد بلغ عدد الذين ماتوا بسبب التسمم (٢٤٩٢ شخصا) ، أي ما يعادل ٥٨٪ من مجموع وفيات التسمم اجمالاً . هذا ما تؤكده إحصاءات سنة ١٩٨٠ ، أما إحصاءات سنة ١٩٨٦ فقد تضاعف فيها هذا الرقم ، حتى بلغ ٤١٨٧ شخصاً ، وتضاعفت فيها النسبة حتى بلغت ٧٣٪ .

مصايف العراق

الطبيعة والتاريخ !



استطلاع : سليمان الشيخ
تصويـر : فهـد الكوح



في فصل الصيف ، وتحت لفحات القيظ ، يتلمس الجميع فيء الأشجار وشواطيء البحار ، من أجل نسمات تلطف الجو وتحد من الحر .

ومن هنا كانت انطلاقة «بعثة العربي» الى مصايف العراق التي تجمع بين جمال الطبيعة ، وعراقة التاريخ ، لتنقل للقاريء صورا من هذا الجمال الذي لاننتبه له كثيرا في أحد اقطار وطننا العربي .

«المصايف هي الأماكن التي يرتادها الناس في فصل الصيف» .

هكذا أجاب مرافق بعثة مجلة «العربي» عندما سألناه عما يعنونه بكلمة المصايف في القطر العراقي .

* عندما سألته : وهل يشمل ذلك كل الأماكن بغض النظر عما إذا كانت في منطقة جبلية أو سهلية أو صحراوية ، أو قائمة على بحر أو نهر ؟

ـ أجاب : حسب ما أعرف فإن أماكن الاصطياف لا تنحصر في أماكن مرتفعة أو منخفضة ، إنها كثيرة ومتعددة ومتنوعة ، فقد تجمع بين جمال الطبيعة والأثر التاريخي .

* تمسكنا بالتعبير الأخير ، وسألنا : وهل تتوافر هذه الأماكن بكثرة في القطر العراقي ؟

ـ أجاب وضحكة الارتياح تحتل محياه : أنى توجهت في هذا القطر الفسيح ـ مساحته ٤٣٨,٤٤٦ كم ـ فستجد فيه أثراً تاريخياً ، وستجد مناظر طبيعية جميلة أيضاً ، تجمع بين روعة الجبال وبهائها وشموخها ، وتموج الصحراء وانسيابها ، وتدفق الأنهار وعطائها المستديم خصباً واخضراراً ونماء ، ثم لا تنس البحر ، ففيه جمال ورقة على الرغم من فوران زبده أحياناً .

* علقت : إذن هناك تنوع في أماكن الاصطياف والسياحة .

ـ أجاب : تنوع غنى وكثير .

* علقت : لا نستطيع أن نعطي كل هذا (الكثير) حقه من التعريف ، فلنختر بعض الأمثلة ، نجمع فيها تنوع ما هو موجود .

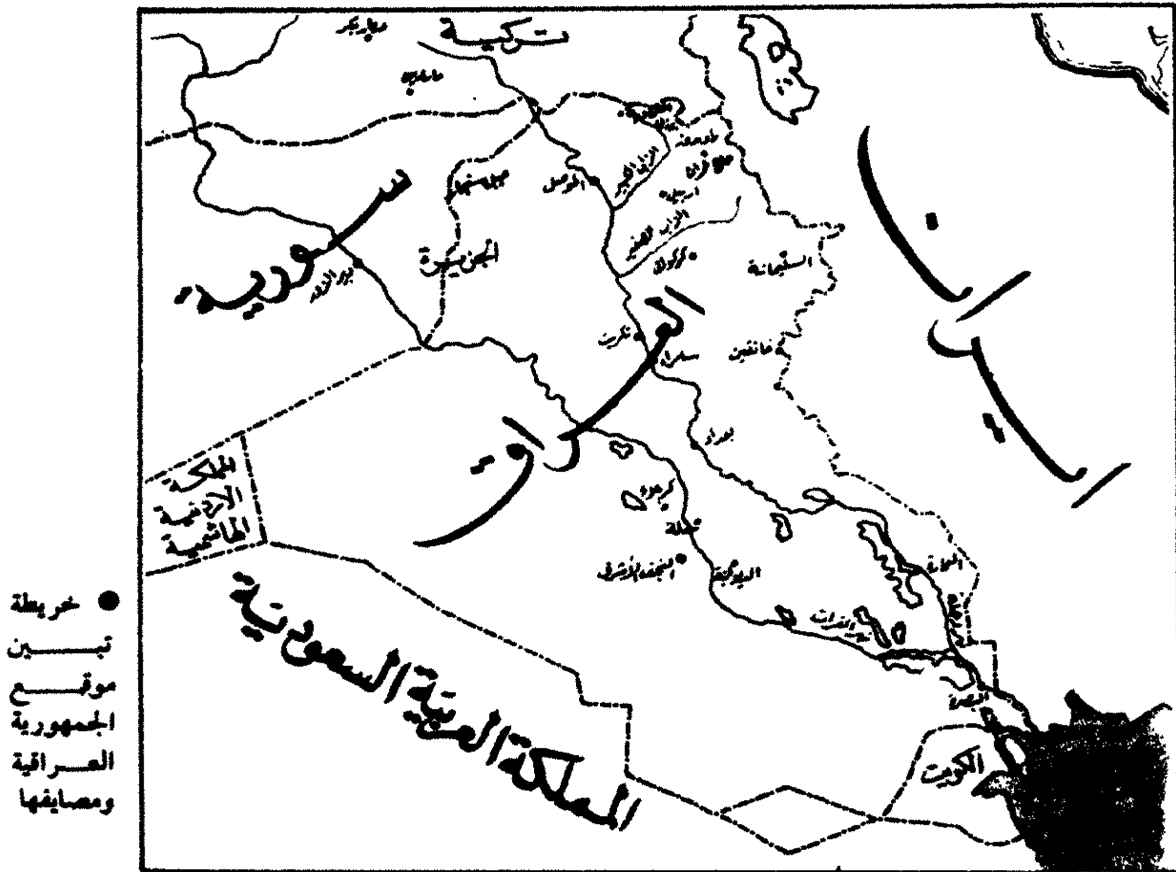
ـ قال : هو كذلك ، فلتختاروا ما تشاءون .

بابل تتجدد

فتوجهنا تواً إلى بابل التي يعني اسمها «باب الإله» باللغة الأكدية . وبابل الآن اسم لمحافظة ، كانت تُعرف بمحافظة الحلة من قبل ، وهي ما زالت مركزاً للمحافظة حتى الآن ، وتقع بالقرب من بابل الأثرية .

ومدينة بابل كانت من أهم مدن العالم في زمانها ، وقد شهدت أحداثاً كثيرة منذ إنشائها في الألف الخامس قبل الميلاد ، فتألقت وسادت أحياناً ، وأهملت وخبا بريق مجدها في أحيان أخرى .

نالت شهرة واسعة زمن المشرع الملك حورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م) ، وأعيدت لها الشهرة والمجد زمن الملك نبوخذ نصر (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م) الذي كان أبرز ملوك العصر البابلي الثاني ، والذي ينسب إليه كثير من مبانيها المهمة التي تم ترميمها ابتداء من سنة ١٩٧٨م حتى الآن . تبعد عن بغداد حوالي ٩٠ كيلومتراً ، تلوح بجانبي الطريق بساتين نخيل وحمضيات ، فيذكر مرافقنا أن مشروع المسيب الزراعي الذي أقيم بين نهري دجلة والفرات لا يبعد كثيراً عن الطريق ، وهو غني بزراعة الحمضيات والنخيل ، ويزرع في المنطقة أيضاً الحنطة والشعير والخضراوات .



● خريطة تبين موقع الجمهورية العراقية ومصايفها

تبلغ مساحة بقايا مدينة بابل ٤١ كيلو متراً مربعاً ، ومن معالمها اللافتة للنظر التي تم ترميمها نموذج لبوابة عشتار ذات اللون الأزرق ، وهي بنصف حجم البوابة الأصلية ، كما ذكرت لنا السيدة شفيقة محمد جعفر ، أمينة متحف نبوخذ نصر .

وقد رأينا في المتحف حوالي ٥٠٠ لوحة ، تمثل تصورات الفنانين من مختلف أنحاء العالم لكيفية بناء برج بابل (زقورة) الذي كان يستعمل للأغراض الدينية والفلكية ، ويبلغ ارتفاعه ٩١ متراً ونصف متر ، ويتكون من سبع طبقات ، وفي أعلى البرج معبد صغير للإله مردوخ . وقد رافقتنا السيدة شفيقة للاطلاع على ما تم ترميمه من بقايا المدينة ، كشارع الموكب ، والقصر الجنوبي للملك نبوخذ نصر .

ثم نصل إلى الأجزاء السفلى لبوابة عشتار ، حيث توجد نقوش بارزة لحيوانات خرافية . وذكرت السيدة شفيقة أن جداريات أخرى مزججة لامعة جميلة كانت بالجدران ، استولى عليها الألمان الذين كانوا ينقبون في الموقع ابتداء من سنة ١٨٩٩ حتى سنة ١٩١٧ بقيادة العالم غولدوي ، وقد نقلوا أجزاء من بوابة عشتار أيضاً ، وهذه الآثار معروضة في متحف برجمون في ألمانيا الديموقراطية . ثم واصلنا تجوالنا في الموقع ، فشاهدنا على يميننا معبداً تمت صيانته ،

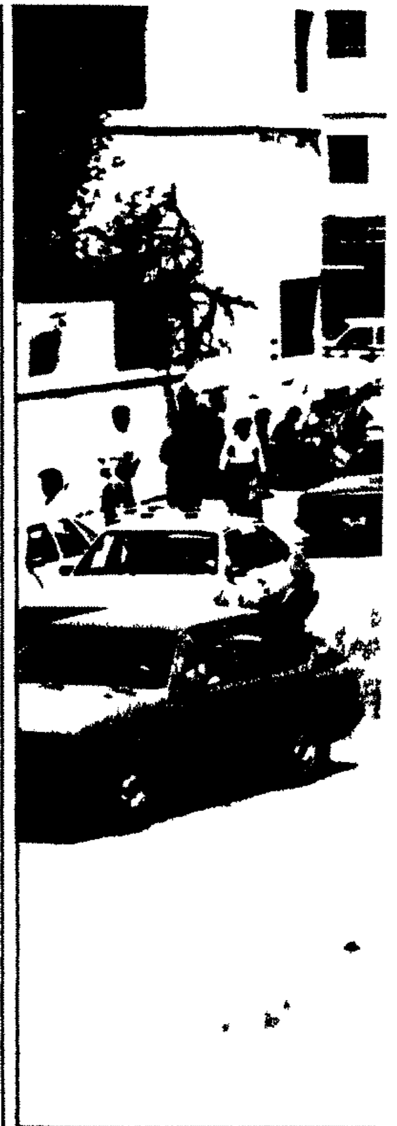
كان مخصصاً للإلهة (نن ـ ماخ) ، أي السيدة العظيمة ، ثم شاهدنا عموداً اسطوانياً على يسار طريق الموكب ، ثم وصلنا إلى ما أطلق عليه الأثاريون اسم القصر الشمالي ، فشاهدنا بعض أجزائه ، حيث يربض في ساحته أهم أثر في بابل ، ويعد هذا الأثر رمز عظمتها ، ويتمثل في أسد منحوت من البازلت الأسود ، يربض على



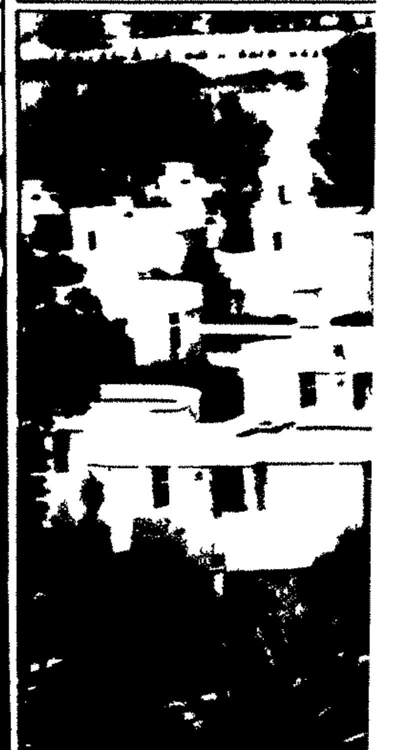
١) صورة لحي من أحياء مدينة أربيل

٢) بيوت مدينة الحبانية السياحية بين الأشجار وعلى حافة البحيرة

٣) مبسم سيجارة ومسبحة من خشب شجر الاسمندار من الصناعات التراثية في محافظة دهوك



٣



شكل إنسان ، ويبلغ طول الأسد حوالي متر ونصف متر ، كما أنه قد تم اكتشاف معبد لعشتار ، إلهة الحب والجمال ، ومعبد آخر يعد من أكبر معابد تلك الفترة ، وهو معبد نابو شخاري ، إله الحكمة .

جزيرة بغداد

لا يمكنك أن تدرك أهمية النخيل في حياة بغداد ، ودورها في توفير حزام من الخضرة الباسقة الشامخة ، إلا إذا ارتقيت برج جزيرة بغداد .

فسوف تفاجأ بالمنظر ، وتصيح بدهشة : كل هذا النخل ؟ وكل هذا الجمال !

يعلق السيد سعد محمد الزركة ، مدير وحدة جزيرة بغداد السياحية ، ونحن نراقب المنظر من البرج : ليس كل هذا نخيل ، فإن زراعة الحمضيات أيضاً مما تشتهر به منطقة الفحامة التي أقيمت فيها جزيرة بغداد .

* علقت : لولا النخيل والحمضيات لكان ما يحيط ببغداد صحراء جرداء إذن ، كالصحراء المحاذية لبساتين النخيل حسب ما أرى ؟

ـ علق السيد سعد : ما دام الماء موجوداً ، وما دام دجلة دائم الجريان ، فإن اللون الأخضر لم ينقطع عن ترصيع الصحراء بمساحاته .

* ومتى تم إنشاء هذه الجزيرة ؟

ـ قد لا تصدق أن هذه المدينة التي تصل مساحتها إلى ثلاثة كيلومترات مربعة ، وربما فيها إنشاءات ، قد تم إنجازها في فترة تقل عن ثلاث سنوات ، بدأت سنة ١٩٨١ ، وانتهت سنة ١٩٨٣ . وهي تبعد عن مركز مدينة بغداد حوالي عشرين كيلومتراً ، وكان نهر دجلة يجري في مكانها نفسه ، فحولناه ، وجعلناه يحيط بالجزيرة من جميع الجهات .

وقد رُبطت الجزيرة بطرق المدينة العامة بثلاثة جسور ، وتحيط بها أشجار النخيل والحمضيات ، وقد كلف إنشاؤها ٣٢ مليون دينار عراقي ، أي ما يعادل حوالى ١٥٠ مليون دولار أمريكي .

* وكم يرتفع هذا البرج الذي يكشف لنا جميع وحدات الجزيرة ، وأجزاء كثيرة من مدينة بغداد ؟

ـ علوه حوالي ٦٠ متراً ، نصف كرته السفلي فيه المياه ، والنصف الآخر مفتوح للجمهور للاطلاع على معالم الجزيرة .

* أرى شباناً وشابات يتراشقون بالمياه قرب إحدى النوافير ؟

ـ في الجزيرة عشرات النوافير الصغيرة والكبيرة ، وبما أن السنة الدراسية في نهايتها ـ كانت الزيارة في الأسبوع الأخير من شهر أيار « مايو » ـ فإن الجزيرة مليئة بالطلبة الذين يستعدون لامتحاناتهم ، وبينهم طبعا من يمرح أو يستروح .

* ما الطاقة الاستيعابية للجزيرة من الناس ؟

ـ يمكن أن تستوعب الجزيرة حوالي ٢٠ ألف زائر يومياً ، ويصل عددهم في الأعياد إلى ثلاثين ألف زائر في اليوم .

هذا وقد أشار السيد سعد إلى بعض منشآت الجزيرة ، كالقسم الخاص بألعاب الأطفال ، والمسرح الصيفي الذي تشبه مظلته الشراع الذي أطلق عليه اسم فنان المسرح الراحل حقي الشبلي ، ويستقبل هذا المسرح نشاطات مسرحية ، وعروضاً فنية أخرى ، وفي الجزيرة عشرات المطاعم الصغيرة والكبيرة ، منها مطعم خاص بالسمك «المسكوف» المشهور في بغداد .

وفيها قاعة للمؤتمرات ، وقاعة للأفراح ، وناد لرياضة (البولينغ) ، وعدة مراكز رياضية ، وعدة أحواض للسباحة ، ومرسى للزوارق في القسم الجنوبي من البحيرة ، ودار للسينما ، وفندق صغير ، وموقف كبير للسيارات .

نهبط من البرج فتستقبل رائحة الزهور أنوفنا ، وأرى عدة أنواع من الأشجار المثمرة



● السيد خليل اسماعيل خضر .

كالنخيل ، والرمان ، والمشمش وأشجار الزينة والزهور والحشائش ، موزعة في أماكن عديدة من البحيرة ، ثم أرى عناق الشعر للنحت .

أبيات من الشعر القديم والحديث متداخلة مع منحوتات تجريدية أو واقعية ، رخام المنحوتات أبيض ، والفنانون مبدعون حقاً في تقديم تمازج خلاق بين الملكة الابداعية الأولى عند العرب ، أعني الشعر ، وبين النحت الذي أصبح طابعاً مميزاً في القطر العراقي .

كي لا تُهدر المياه

نتوجه إلى غرب بغداد ، لا يتركك النخيل ، ولا خرير المياه ، بل يترافقان معك ، ويحكيان لك قصصاً عن الصحراء التي لولا الفرات ودجلة،ربما لم ينبت فيها عرق أخضر . توغل في توجهك ، فيسلمك دجلة إلى الفرات ، ها هي مدينة الفلوجة التي تبعد عن بغداد حوالي ستين كيلومتراً ، تستلقي على ضفاف نهر الفرات ، تودعها أسرارها ، وتأخذ من النهر سر الخصب فيه ، تشرب منه الماء ، وتسقي نخيلها وأشجار فواكهها الباسقة الريانة .

ثمة إشارة مكتوب عليها الحبانية ، فنأخذ منعطفاً على يسار الطريق ، ونمضي في طريق معبد بعناية .

ما زال النخيل يباريك ، وإن كان بأعداد أقل ، مساحة خضراء من الخضراوات تستلقي على جوانب قنوات المياه وحوافها التي تعلن عن وجودها في قلب الصحراء .

توغل في الطريق أكثر ، فلا تجد نفسك إلا والصحراء تحيط بك من جميع الجهات ، انهدام واسع على يمينك ، يدخل زرقة على لون الصحراء ، فتخال أنه الأفق البعيد للسماء ، تقترب أكثر ، فتظهر بعض المباني العالية ، وتعود إليك ألفة اللون الأخضر حول المباني ، ثم تكتشف أن الزرقة ما هي إلا بحيرة كبيرة ، إنها الحبانية ، تبعد عن الفلوجة حوالي ٢٠ كيلومتراً . أقيمت على أطرافها مدينة سياحية ، فيها حوالي ٥٣٠ داراً ، وفندق فيه حوالي ٣٠٠ غرفة .

يستقبلنا السيد محمد علي العاني ، مدير المدينة السياحية ، ويزودنا ببعض المعلومات عن المدينة :

ـ تم افتتاحها سنة ١٩٧٩ ، وبلغت تكاليفها ٣٠ مليوناً من الدنانير العراقية في ذلك الزمان ، وتبلغ مساحتها حوالي كيلومتر مربع . تحتوي إضافة إلى الدور (الشاليهات) والفندق على عدة مطاعم من مختلف المستويات ، وبها مدينة ألعاب للكبار والصغار ، وتحتوي على عدة مسابح ، وأقيم فيها نادٍ للزوارق واليخوت على ضفاف البحيرة .

وفيها عدة ملاعب رياضية ، وقاعة اجتماعات كبيرة ، ومسرح مكشوف ، يستوعب ٨٠٠ شخص ، يمكن أن تعرض على «شاشته» الأفلام « السينمائية »، وكازينو على البحيرة ، اسمه كازينو الخيمة ـ كانت الخيمة موجودة فعلاً سنة ١٩٧٩ ، إلا أنها تمزقت ، فبقى المبنى الذي تحول إلى مقصف ـ وفي المدينة مكتبة ، وعيادة طبية ، وناد ليلي ، وغير ذلك من منشآت .

* سألت السيد محمد : هل صحيح أن بحيرة الحبانية اصطناعية ؟



● صيد السمك واحد من أهم نشاطات السكان وهواياتهم .

١



١) شبان وشابات من الأكراد يمرحون ويدبكون في الحبانية
٢) البلدة التي تصمد ، إنها العمادية

ـ علق : إنها خزان مياه كبير ، فهي أرض منخفضة ، تم تحويل مياه نهر الفرات الزائدة إليها ، وإذا ما زاد منسوب مياهها فإنه يتحول إلى بحيرة الرزازة ،

* ما معدل زوار المدينة يومياً ؟

ـ المعدل اليومي للزوار في فصل الصيف يصل إلى ثمانية آلاف شخص ، وفي الشتاء إلى ثلاثة آلاف شخص .

* وما نسبة تشغيل مرافقها خصوصاً الدور والفندق ؟

ـ تصل النسبة في الأعياد والمناسبات الرسمية إلى ١٠٠٪ ، وأحياناً تزيد على ذلك .

نخرج من قاعة الاستقبال ، ونتجول في المدينة ، ونذهب إلى الدور «الشاليهات» ، بعضها ذو غرفة نوم واحدة وتوابعها ـ حمام ومطبخ وحديقة ـ وبعضها ذو غرفتين للنوم . أشجار البرتقال والنخيل والسرو والرمان تتداخل وتحيط بالمكان . السابحون والسابحات يملأون شواطيء البحيرة ، وبعضهم يسبح في مائها أو يستروح تحت المظلات . نركب زورقاً ، نجول به على البحيرة ، فيتولى زميلي المصور تصوير المدينة ومعالمها .

ثم نخرج ونوالي تجوالنا في مرافق المدينة ، ونصل إلى كازينو الخيمة العربية ، فنجلس على صخور البحيرة ، وفي مكان فسيح مقابل لمشرب الكازينو تماسكت مجموعة من الصبايا والشبان الأكراد ، وطفقوا يغنون ويهزجون ويرقصون ويدبكون ، وعندما هدهم التعب وران الهدوء على المكان ، برز صوت كركرة الموج وارتطاماته الخفيفة بالصخور ، عندئذ أطلق الخيال عنانه بالمدى الأزرق ، ولم يصح إلا على أصوات الزملاء وهم ينادون بعد أن سادت العتمة المكان .

خامس مرأى في العالم

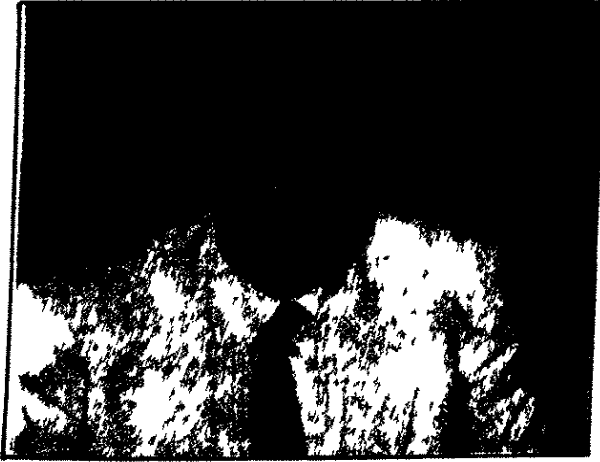
لكي نصل إلى (المرأى) علينا أن نسير جنوب شرق بغداد مسافة تصل إلى حوالي أربعين كيلومتـراً ، ودجلة يرافقنـا ، والنخيـل والحمضيات وأشجار مثمرة أخرى تلوح وتلمع باسقة خضراء .

نصل إلى بلدة المدائن ، فنتوجه إلى حيث يرقد الصحابي الجليل سلمان الفارسي ، ونقرأ الفاتحة على روحه ، وعلى بُعد أمتار قليلة نشاهد (طاق) إيوان كسرى ، فالمدائن كانت عاصمة له في زمن مضى . (والطاق) كان جزءاً من قصر كبير ، يعود عهده إلى منتصف القرن الثالث الميلادي ، ويعد أكبر طاق مشيد بالآجر في العالم ، وأعلاها حسب ما تذكر المصادر التاريخية ، وهو يقع بالقرب من نهر دجلة ، وارتفاع (الطاق) الحالي يصل إلى ٣٧ متراً .

وقد أقامت المؤسسة العامة للسياحة بالقرب من بقايا الإيوان خيمة عربيّة كبيرة من الشَّعْر ، تم تجهيزها بكل ما هو عربي الصنعة ، وفرشت أرضها بالبسط العربية أيضاً .

كما أقامت المؤسسة العامة للسياحة مجمعاً سياحياً بالقرب من المكان ، يشمل فندقاً ودوراً وشققاً ومسبحاً ومطعماً وكازينوا .

وعلى بُعد أمتار قليلة من المكان أيضاً نرى بناء ضخماً ، يشبه شكله شكل «الزقورة» القديمة أو البرج القديم . إنه مرأى القادسية أو «بانوراما» القادسية . وهو أحدث مرأى في العالم



● السيد محمد العاني .

بعد مرائي (بانورامات) موسكو ولينينغراد وبلجيكا وكوريا الشمالية .

افتتح سنة ١٩٨٠ ، وأقيم على مساحة ٢٥٠٠ متر مربع ، بكلفة وصلت إلى سبعة ملايين ونصف مليون دينار عراقي . ارتفاع البناية يصل إلى ٢٨ متراً ، وإذا ما كانت الأبراج القديمة يمكن الوصول إلى أعلاها بدرج متتال ، فإن المصاعد الكهربائية قد تولت الأمر في هذا البناء الحديث .

وقد رسمت مشاهد معركة القادسية التي قامت بين العرب المسلمين ، وبين الفرس سنة ٦٣٧م ، ووزعت مشاهدها على لوحة أو شاشة دائرية من الكتان ، طولها ١١٠ أمتار ، وارتفاعها ١٥ متراً ، وتوزعت تفصيلات المعركة على مساحة تقدر بـ (١٦٤٠) متراً مربعاً . ويمكن الصعود لرؤية المرأى أو «البانوراما» بوساطة مصاعد كهربائية .

وتبلغ المسافة بين السياج والشاشة حوالي عشرة أمتار . ويشترك الصوت والضوء و «الديكور» في تجسيد المرأى . وبعض الأشكال والشخصيات تم تنفيذها بالرسم أحياناً ، وأخرى تم تنفيذها بالنحت والديكور في أحيان أخرى .

ومعركة القادسية من المعارك الفاصلة في تاريخ العرب ، حيث إنها فتحت أبواب العراق ، ثم فارس وما يليها أمام الجيوش العربية .

أحدث مجمع سياحي

الأماكن التاريخية كثيرة متنوعة في مدينة بغداد وحولها ، وربما تحتاج إلى مؤلفات كثيرة للحديث عنها ، وبما أننا اتبعنا اختيار بعض النماذج فقط ، فإننا نكتفي بما نقلنا ، لننطلق إلى شمال العراق ، حيث أن للتاريخ حكاياته ومواقعه ، وحيث للطبيعة جمالها وحضورها الأخاذ .

ننطلق من بغداد متوجهين إلى الموصل ، المدينة العربية العريقة ، وهي تبعد عنها حوالي ٤٠٠ كيلومتر . الطريق الذي سلكناه ممهد تمهيداً جيداً ، وهو ذو اتجاهين . تتوالى مشاهد صفراء وخضراء ، وبينها الماء أحياناً ، تارة تغلب الصحراء ، فنراها مترامية الأطراف ، واسعة ، وتارة أخرى يبرز الماء ، فتلازمه الزراعات الخضراء .

لم يتغير تكرار هذا المنظر إلا عندما وصلنا إلى بلدة بيجي القريبة من مدينة تكريت ، حيث أخذت تبرز سلسلة من الجبال القرعاء . قال مرافقنا : إنها سلسلة جبال حمرين . نوالي سيرنا ، فتزداد مشاهد التلال والجبال حضوراً ، وتأخذ ألوان الطبيعة بالاكتساء بثوب أصفر ، إنه موسم حصاد القمح والشعير ، حقول تم حصادها ولم يبق منها إلا السيقان القصيرة الصفراء ، وحقول قليلة لما يتم حصادها بعد ، سنابلها صفراء قصيرة ، تنتظر المناجل ، أو سكاكين الحاصدات الحديثة . بعض الفلاحين يذرون محاصيلهم ليفصلوا الحب عن التبن ، والنوارج تدرس ، تقودها الخيول ، وتوالي دوراتها الرتيبة حول أكوام المحاصيل .

تلوح الموصل على تلال ، حرارة الجو مرتفعة ، تجاوزت ٣٥ درجة مئوية ، سور المدينة ما زال شاهداً على الأهمية التي احتلتها المدينة في الأيام الماضية . ونينوى أعني آثار نينوى عاصمة الآشوريين لا تبعد كثيراً عن المدينة .

نتجه إلى غرب الموصل ، زراعات القمح والشعير ما زالت تحتل التلال المحاذية ، لون التربة أسمر أو أحمر أحياناً . يلوح تجمع كبير لمياه زرقاء لامعة تحت أشعة الشمس .

* أهي بحيرة ؟

- يجيب مرافقنا : نعم البحيرة الناتجة عن بناء سد صدام ، حيث أقيم على نهر دجلة .

نوالي سيرنا ثم ندخل في انهدام بين تلال . تتوالى أمام أعيننا بيوت جاهزة متشابهة ، تحيط



١) وجه من العراق هرب من القيظ إلى المصايف

٢) شبان يمرحون في جزيرة بغداد السياحية

٣) ألعاب وصغار وكبار في مدينة الحبانية السياحية

۲



بها أشجار السرو والحور والصنوبر .

يعلق مرافقنا : ذلك هو مجمع سد صدام السياحي ، وهذه هي بيوته ومرافقه .

السيد غانم الشيباني ، مدير البلدة ـ أحياناً يطلقون عليها اسم مدينة ـ السياحية ، ذكر لنا أنها تبعد عن مدينة الموصل حوالي ٢٠ كيلومتراً ، وأن ارتفاعها يصل إلى ٨٥٠ متراً فوق سطح البحر ، وقد تم افتتاحها سنة ١٩٨٧ ، وتحتوي على ٤٥٠ وحدة سكنية متنوعة ، بأحجام مختلفة وأسعار مختلفة ، فهناك وحدة سكنية تحتوي على غرفة وصالة ومطبخ ، يدفع ساكنها إيجاراً مقداره (١٥) ديناراً يومياً ، وأخرى تحتوي على غرفتين للنوم وصالة ومطبخ ، يدفع ساكنها إيجاراً مقداره (٢٥) ديناراً ، وثالثة تحتوي على ثلاث غرف للنوم مع صالة ومطبخ ، وفيها ستة أسرة ، يدفع مستأجرها ٣١ ديناراً في اليوم ، كما أن هناك غرفا ذوات سريرين .

والطاقة الاستيعابية للبلدة تصل إلى ١٢٠٠ سرير ، وتحتوي ، إضافة إلى الدور ، على مطاعم متعددة ، وسوق مركزي ، وركن لألعاب الأطفال ، ودار للسينما ، ومسرح صيفي ، وملاعب رياضية عديدة ، ومحلات للخدمات الأخرى ، ومسبحان ، أحدهما للكبار والآخر للصغار .

وذكر السيد غانم أنهم بصدد تطوير ساحل البحيرة ، وتجهيز أماكن للسباحة ، وللزوارق واليخوت ، وبناء مطعم عائم ، وبناء مدينة ألعاب للكبار والصغار ، وبناء قاعة كبيرة للاجتماعات والحفلات تستوعب ٥٠٠ شخص .

وذكر أن الموسم الحالي لتشغيل البلدة الذي يصل إلى ١٠٠٪ يبدأ في شهر حزيران (يونيو) ، وينتهي في أوائل شهر تشرين الأول (أكتوبر) ، كما ذكر أن مرتادي البلدة عراقيون بالدرجة الأولى ، وبعض العرب ، وقلة من الأجانب ، خصوصاً ممن يعملون في المنطقة .

في محافظة دهوك

نغادر البلدة في صباح اليوم التالي ، ونتجه ثانية إلى الموصل ، وبعدها نتجه إلى مدينة دهوك ، مركز محافظة دهوك ، وهي تبعد عن مدينة الموصل حوالي ٧٣ كيلومتراً . ما زال اللون الأصفر يحتل التلال السمراء الحمراء ، إذ أن زراعة القمح والشعير من الزراعات الأساسية في الشمال .

ازداد الحيز الأخضر في التلال والجبال ، وبدأت أشجار الصنوبر وكروم التين والعنب والرمان تتكاثر كلما اقتربنا من المدينة . دهوك مدينة قديمة ، ربما يعود زمن وجودها إلى ما قبل الآشوريين ، وتقع في منحدر بين جبلين ، هما الأبيض والأسود . وهناك عدة اجتهادات في تفسير اسم المدينة ، منها ما أورده حميد المطبعي ، في كتابه «رحلتي إلى شمال العراق» ، جاء فيه :

«إن طائراً أسطورياً ، ضخم الحجم ، وغريب الشكل ، استهوته المنطقة ، فحط فيها ، وفي المكان الذي أقام فيه الطائر ، وفي صخرة كبيرة ، وجدت بيضتان ذاتا حجم هائل ، وقد أقيمت مدينة دهوك في المكان الذي عاش فيه الطائر ، ولذلك سميت بهذا الاسم الذي يتكون من مقطعين : (دو) بمعنى (اثنين) ، و(هيك) بمعنى (بيصة) .

توجهنا من دهوك إلى القرى والبلدان التابعة لها ، الطرق هنا تخترق الجبال ، وهي متعرجة تلتف حيناً ، وتنبسط في أحيان أخرى ، وتكثر على تلالها وجبالها أشجار الصنوبر ، والبلوط ، والاسفندار ـ خشبه أبيض ، تصنع منه المسابح الطويلة ـ وغيرها .

نصل الى بلدة زاويته ، بعد أن نسير ما يقارب ١٧ كيلومتراً من دهوك . وزاويته بلدة قديمة ، ينسبها بعض الناس إلى الآشوريين ، في حين أن اسمها يقترب من إيقاع اللغة الآرامية ،



● السيد محمد أمين البرزنجي .

ويعني زاوية . تكثر فيها الأشجار المثمرة ، وتحيط بها وتنمو بتلالها أشجار الصنوبر ، وترتفع حوالي ٨٥٠ متراً عن سطح البحر

وفي البلدة دار استراحة ، وفندق سياحي صغير ، ومطاعم عديدة . وتجدر الإشارة إلى أن في المحافظات التابعة للحكم الذاتي منشآت تتبع المؤسسة العامة للسياحة ـ وهي مؤسسة حكومية مركزية ـ وأخرى تتبع الإدارة العامة للبلديات والمصايف ، وهي تتبع إدارة الحكم الذاتي في بعض محافظات الشمال .

ينابيع وشلالات

ثم نوالي السير ، فنصل إلى بلدة «سوارة توكا» التي تبعد ١٥ كيلومتراً تقريبا عن زاويته .

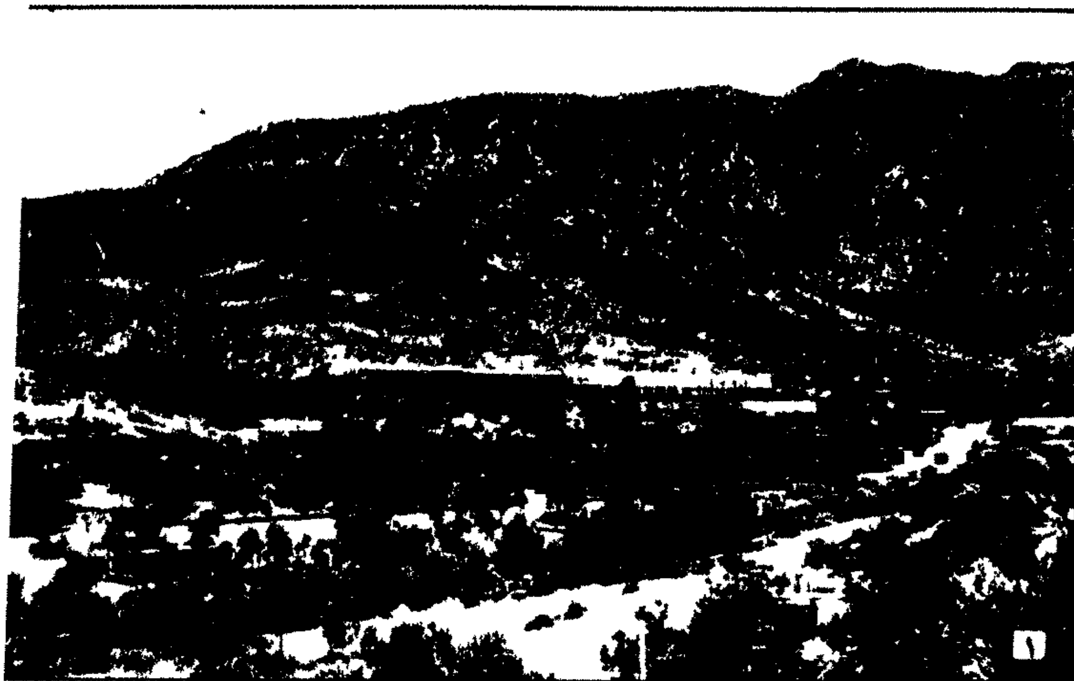
والوصول إليها عبر طريق لولبي جبلي ، وترتفع ١٥٠٧ أمتار عن سطح البحر . وأقصى درجة حرارة في فصل الصيف تصل إلى ٣٣ درجة مئوية . تطل هذه البلدة على واد سحيق ، تكثر فيه أشجار الفاكهة والسرو والاسفندار والصنوبر . وفي البلدة مؤسسات سياحية مناسبة للسائحين . وقد أقامت المؤسسة العامة للسياحة ٣٩ داراً ، سعتها ٢٠٠ سرير ، كما أن فيها «كابينات» سياحية ومنشآت سياحية أخرى ، بينها فندق صغيرة أقامته مصلحة المصايف .

ثم نوالي السير ، فنمر ببلدة «أشاوة» ، وهي مصيف جميل ، اشتهر بشلاله الهادر ، يبعد عن مصيف سرسنك قرابة ٥ كيلومترات .

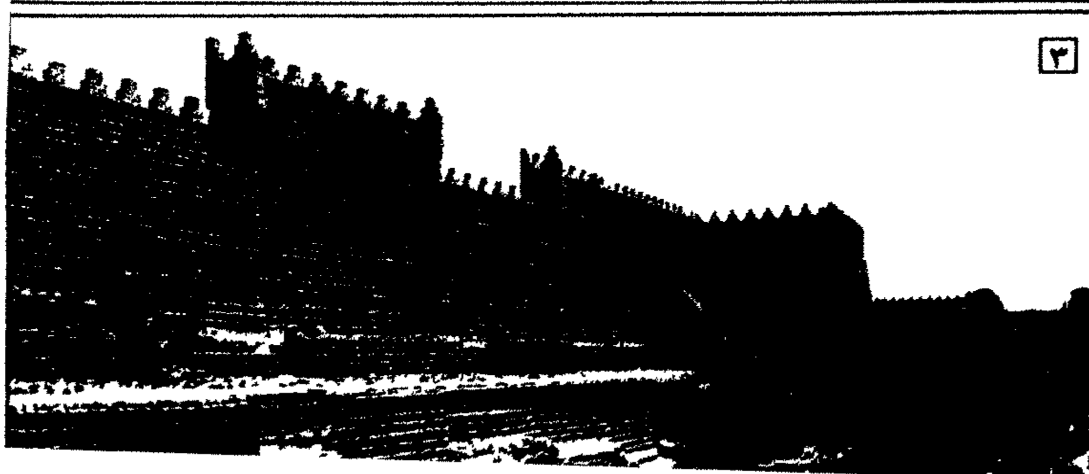
ثم نصل إلى سرسنك التى تعد من أشهر المصايف العراقية وأجملها ، ويستقبلنا في مكتب الناحية السيد خليل اسماعيل خضر ، مدير الناحية ، والمهندس تيدي عوديشو يوخابيس ، مدير المصايف في الناحية ، والسيد زهير صديق فتاح ، معاون مدير السياحة ، ويتولون الشرح والإجابة عن أسئلتنا . كلمة «سرسنك» بالكردية تعني رأس الصدر ، وهي تقع بين سلسلة جبال كاره ، وسلسلة جبال متينة .

وترتفع ١٠٥٠ متراً عن سطح البحر ، وتصل أعلى درجة حرارة فيها إلى ٣٤ درجة مئوية في الصيف تقريبا ، وتشتهر بزراعة العنب ، والرمان والخوخ والمشمش والاجاص والجوز واللوز ، وتزرع فيها الخضراوات أيضاً . وتصب وديانها في نهري الزاب والخابور . عدد سكانها حوالي أربعة آلاف نسمة ، في حين يصل عدد سكان الناحية كلها إلى حوالي تسعة آلاف وخمسمائة . تبعد عن دهوك ما يقارب ٤٢ كيلومتراً . وفي هذه البلدة مؤسسات سياحية عديدة ، بينها فندق سرسنك ، وهو قديم ، مبني من الحجر ، يعود بناؤه إلى الأربعينيات ، وهو مشيد على سفح جبل ، يطل على البلدة ويكشف معالمها ، ويواجهه على تلة مقابلة فندق شلير السياحي الجاهز .

وبالقرب من هذا الفندق دور عديدة ، و«كابينات» متنوعة مؤثثة ، وهناك أيضاً قرية نموذجية سياحية ، تحتوي على ٥٨ داراً ، وفي البلدة مسبح دولي أولمبي ، وتوجد قرية «كارة» السياحية المؤلفة من بيوت جاهزة ، بناها الفرنسيون وتضم ٥٦ داراً . وفيها كذلك صالة سينما ، ودار عرض مسرحي ، وبعض المنشآت السياحية الأخرى ، منها منشآت سياحية أهلية







١) سرسنك في حضن الجبال كأنها حديقة
٢) طاق كسرى في بلدة المدائن
٣) جانب من سور مدينة بابل بعد ترميمه
٤) بوابة ريبار في بلدة العمادية



أيضاً . والجدير بالذكر أن سرسنك شهدت أحد اجتماعات الجامعة العربية في بداية قيامها .

وفي بلدة «انشكي» التي تبعد عن سرسنك قرابة ١٥ كيلومتراً مجموعة من الشقق السياحية والمؤسسات السياحية الأخرى ، وتشتهر هذه البلدة بشلالاتها وهوائها العليل ، وفيها كهف طبيعي حُوّل إلى مطعم .

وإذا ما رغب الإنسان التوجه إلى بلدة «العمادية» فإن عليه أن يمر ببلدة آرادن ، فيها مؤسسات سياحية أيضاً ، وهي تقع بالقرب من «اينشكي» ، يليها سولاف التي ترتفع ١٥٥٠ متراً عن سطح البحر ، وفيها شلالات جميلة ، ومؤسسات سياحية ، أشهرها فندق سولاف ، وشقق سولاف السياحية .

البلدة التي تصغر

يلفت نظرك العلو الشاهق للبلدة ، وشكلها البيضاوي ، فتقول إن اختيار مكانها كان بقصد المتعة ، وإنه موقع عسكري ممتاز ، فيجيبك السيد خليل مدير الناحية : إنها العمادية التي بناها عماد الدين زنكي سنة ٥٢٧هـ ، على صخرة محدودة المساحة ،تبعد عن سولاف ٥ كيلومترات ، والوصول إليها يقتضي المرور بطرق ملتوية ، ترتفع تدريجياً حتى تصل إلى ارتفاع ١٩٨٥ متراً عن سطح البحر ، هو ارتفاع هذه البلدة التي يصل عدد سكانها إلى ما يقارب ١٨ ألف نسمة .

* علقت : إن انهيار أي صخرة من هذه البلدة يسد الطريق العام ، ويقلل من مساحتها .

ـ قال السيد خليل : لقد انهارت صخرة فعلاً في الشتاء الماضي ، وسدت الطريق .

* علقت : هل يمكن القول عنها بأنها البلدة التي تصغر من حيث المساحة .

ـ قال : نعم ، إنها كذلك .

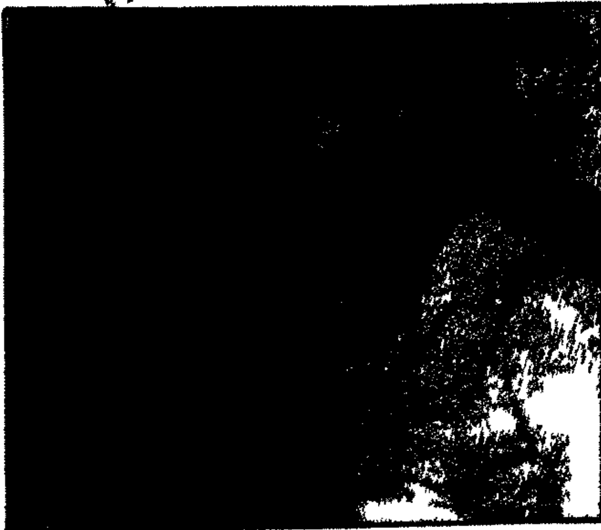
من آثارها الباقية بابان عليهما نقوش ، أحدهما اسمه باب الزيبار ، والثاني باب الموصل ، وفيها منارة المسجد الذي بناه عماد الدين زنكي ، والمنارة منحوتة من صخر الصوان ، كما أن درجها منحوت من الصخر نفسه .

هذا وتشتهر «العمادية» ببعض الصناعات التقليدية ، كمباسم التدخين الطويلة ، والمسابح المصنوعة من خشب الاسفندار .

ونحن في طريقنا للعودة إلى سرسنك ، شاهد زميلي المصور مجموعة من نساء الأكراد بملابسهن الملونة البراقة ، فطلب منهن أن يلتقط لهن بعض الصور ، فأبى بعضهن ، ووافق بعض آخر .

* سألت السيد خليل : لماذا تحب المرأة الكردية الألوان الحارة البراقة ، خصوصاً الحمراء ؟

ـ أجاب : أعتقد أنه لا يوجد في الأمر خصوصية ما ، فألوان ملابس المرأة في منطقة الخليج العربي ـ خصوصاً الملابس التقليدية ـ من الألوان الحارة ، كالأحمر والوردي والسماوي والأخضر وغيرها . ثم أضاف : ويبدو لي أن هذه الألوان الحارة تستهوي معظم نساء العالم ، لأنها بصريح العبارة تلفت نظر الرجال .



● السيد غانم الشيباني .

من صلاح الدين إلى القمة السوداء

عدنا من الطريق التي أتينا منها ، وصولاً إلى الموصل ، ثم توجهنا منها إلى أربيل التي تبعد ٨٦ كيلومتراً عنها . وأربيل عاصمة لمنطقة الحكم الذاتي لأبناء القومية الكردية الذي أعلن عن قيامه سنة ١٩٧٥م ، وهنا ثلاث محافظات في منطقة الحكم الذاتي ، هي : أربيل ، ودهوك ، والسليمانية .

وأربيل مدينة تاريخية قديمة ، جاء ذكرها زمن السومريين ، وعرفت قديماً باسم «أوربيلم» ، أو «اربا ايلو» عند البابليين والآشوريين . وما زالت قلعتها القديمة شاخصة بشكل دائري ، تحكي أجزاء من سيرتها . ومجدها القديمين .

وأول المصايف التي تصل إليها بعد ٣٢ كيلومتراً من أربيل هو مصيف صلاح الدين الذي يقوم على جبل صلاح الدين ـ بيرمام قديماً ـ والطريق إليها متعرج بشكل حلزوني ، وترتفع ١٠٩٠ متراً عن سطح البحر .

استقبلنا في هذا المصيف محمد أمين البرزنجي ، مدير المصايف هنا ، فذكر لنا أن عدد سكانه خمسة آلاف نسمة ، يشتغل كثير منهم بالزراعة وتربية المواشي ، وتكثر فيه أشجار السرو والبلوط ، ومن أشهر أشجاره المثمرة الكرمة ، والتفاح والمشمش والخوخ ، والجوز واللوز ، وأن اقصى درجة للحرارة فيه تصل إلى ٣٢م في الصيف ، وذكر أن اسم هذا المصيف جاء من اسم القائد صلاح الدين ، حيث تذكر بعض المصادر أنه عاش فترة في قرية ديوبين التي تبعد ثلاثة كيلومترات عن مصيف بلدة صلاح الدين .

وذكر السيد البرزنجي أن بلدةصلاح الدين تعد مصيفاً مشهوراً ، حيث تحتوي على مؤسسات سياحية جيدة ، منها بيوت حجرية وبيوت جاهزة ، وخيمات و «كبائن» عديدة ، وفيها فندق صلاح الدين ، وهناك عشرات الفنادق والمؤسسات السياحية التي تتبع القطاع الخاص ، وفيها دار للسينما ، ودارمسرحية ، ومؤسسات سياحية أخرى .

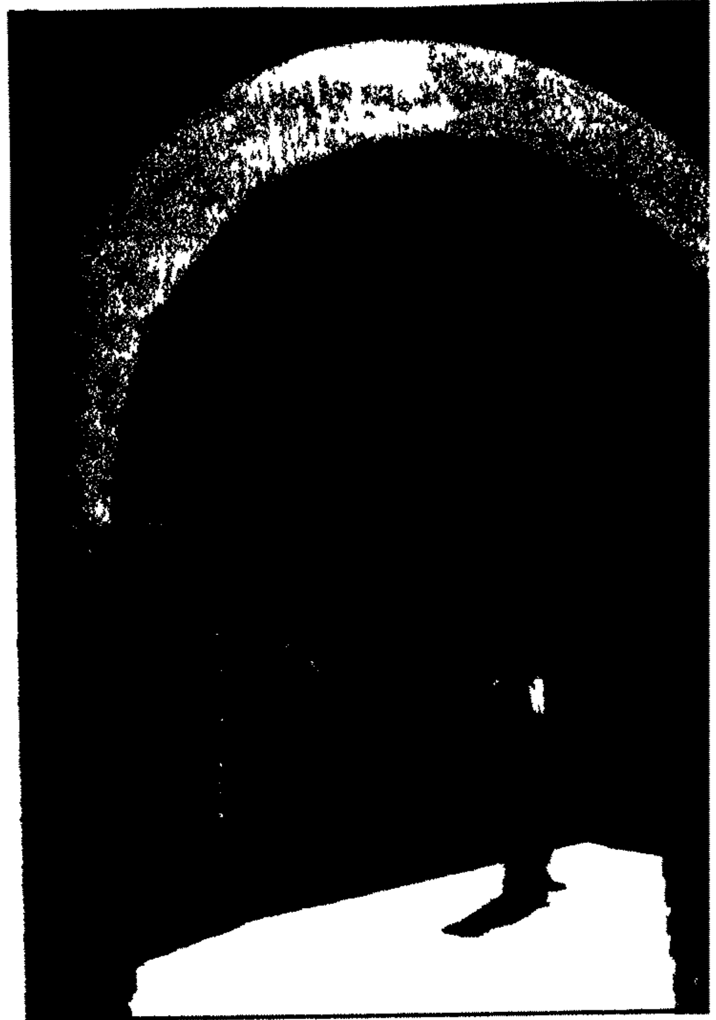
وعلى بعد تسعة كيلومترات ، وعلى جبل مرتفع يطل على أودية خصبة غنية بأشجار الفاكهة ، بنيت قرية «سرى رش» السياحيةسنة ١٩٧٦ ، و«سرى رش» تعني : القمة السوداء ، وتحتوي على فندقين وبيوت جاهزة ، وشقق سكنية ، وعدة مطاعم ، وعدة صالات للألعاب ، وسوق مركزي ، وعدة كازينوات ومسجدين ، وصالة احتفالات كبيرة ، ودار للضيافة ، ومنشآت سياحية أخرى . وتتوزع بين بيوت القرية أشجار مثمرة ، وورود ، وأشجار زينة .

وعلى بعد ١٨ كيلومتراً من مصيف صلاح الدين يقع مصيف «شقلاوة» ، حيث تتوزع بيوتها بين جبل « سفين » وجبل « سورك » (الأحمر) وتربته حمراء فعلاً .

ويرتفع مصيف شقلاوة ٩٦٦ متراً فوق سطح البحر ، وتعداد سكانه يزيد على ٢٠ ألف نسمة ، يعملون بالزراعة والأعمال التجارية والسياحية ورعي الأغنام ، وتكثر فيه الأشجار المثمرة ، مثل العنب والتين والجوز واللوز والخوخ والتفاح والإجاص . وفي مصيف هذه البلدة عدة مؤسسات سياحية حكومية ، وأخرى خاصة ، بينها قرية سياحية من الدور الجاهزة الموزعة بين الأشجار الوارفة الظلال ، وفندق شقلاوة السياحي ، وفيها أيضا عشرات الفنادق التي يملكها القطاع الخاص .

سهل اسمه حرير

وإذا ما رغب السائح في المضي بالطريق المعبد والاتجاه شرقاً ، فإنه سيرى سهلاً من أخصب سهول القطر العراقي ، يطلق عليه اسم «سهل حرير» ، وهناك قرية بهذا الاسم في هذا



● متحف أربيل ونمط العمارة القديم .

السهل ، وتتفجر فيه عدة عيون ، مما يزيده خصبا ، والزراعة فيه طوال السنة .

والبصل والثوم من أشهر المزروعات التي شاهدناها فيه ، وقد كانت ما تزال خضراء ، مما أضفى لوناً أخضر على السهل الذي يقع بين عدة جبال ، كما يشتهر هذا السهل بعسله الصافي أيضاً .

ثم يأخذ الطريق بالارتفاع ، إلى أن يصل إلى جبال (سبيلك) ، وهي امتداد لجبال حرير ، وتكثر فيها أشجار البلوط ، ثم يأخذ الطريق بالانحدار ، وصولاً إلى قرية خليفان ، حيث يمر بها فرع من فروع نهر الزاب الأعلى (أحد فروع دجلة) . ثم يلي القرية بعد كيلومترين شق طولي بين الجبال يصل امتداده إلى حوالي عشرة كيلومترات ، اسمه «كلي علي بك» . (وكلي) كلمة كردية تعني : مضيق ، وعلي بك هذا ، حسب ماهو متداول في المنطقة ، أحد الرجال الكبار الذين عاشوا فيها . والمضيق محاصر بين جبلي (كورك) و (نواذنين) ، ويبعد ٦٠ كيلومتراً عن شقلاوة ، وتتفجر في جنباته المياه ، خصوصاً شلاله الشهير (شلال كلي علي بك) الذي ينبع من عين (الآنا) ، وارتفاع ضغط الشلال يصل إلى ١٢ متراً ، وقد أقيم حوض دائري تحت الشلال ، عمق مائه يصل إلى مترين ، كما ذكر لنا السيد نوزاد عزيز قادر مدير كازينو الشلال ، وهذا الكازينو أنشأته إدارة المصايف منذ سنة ١٩٥٨

ويصب الشلال في نهر الزاب الأعلى ، ويبلغ ارتفاع الموقع حوالي ٨٠٠ متر فوق سطح البحر .

المعايشة الحية أفضل

ونظراً لهدير المياه الساقطة من الشلال ، فإن على المرء أن يصمت ويتأمل ، لأن هدير الماء يطغى على كل الأصوات . وفي المنطقة عدة مناطق سياحية أخرى ، مثل : شلالات بيخال ، وعيون جنديان ، وغيرهما من الأماكن السياحية الأخرى .

وتقع هذه المصايف قريبة من الحدود الشرقية للقطر ، أي قريبة من الحدود العراقية الإيرانية .

في حين أن مصايف محافظة دهوك تقع قريبة من الحدود الشمالية ، أي من الحدود العراقية التركية .

هذه حصيلة جولتنا التي قدمت ملامح من القسمات التاريخية والطبيعية للقطر العراقي ، وتبقى المشاهدة والمعايشة الحية دائما أفضل من القراءة أو الاستماع في كثير من الأحيان . □

الاندماج النووي البارد وقائع اكتشاف القرن

بقلم : الدكتور سعود عياش

منذ ٤٠ عاما والفيزيائيون يحاولون توليد الطاقة بطريق الاندماج النووي . ولكن في مارس الماضي أعلن كيميائيان ـ أحدهما أمريكي والآخر بريطاني ـ أنهما تمكنا من توليد الطاقة من اندماج نووي ، بجهاز بسيط يشبه جهاز تحليل الماء في مختبرات المدارس . فهل يمكن أن يمثل هذا الاكتشاف حلا نهائيا لمسألة توفير الطاقة ، وضمان امداداتها لحقب زمانية طويلة ؟

في ٢٣ مارس الماضي أعلن ستانلي بونس ، رئيس قسم الكيمياء في جامعة يوتا ، ومارتن فلايشمان ، بروفسور الكيمياء الكهربائية في جامعة ساوثهامبتون البريطانية ، في مؤتمر صحفي عقد بجامعة يوتا الامريكية ، عن نجاحهما في تحقيق الاندماج النووي عند درجات الحرارة العادية ، باستخدام جهاز بسيط يشبه ما يستخدمه طلبة المدارس الثانوية في تجارب تحليل الماء . وأعلن الباحثان أيضا أن تجربة الاندماج البارد أنتجت أربعة أمثال الطاقة المستخدمة لإجراء التفاعل . ومن الجدير بالذكر أن بونس كان يعمل أثناء دراسته للدكتوراة تحت إشراف البروفسور فلايشمان .

كان لهذا الإعلان وقع الصدمة في الاوساط العلمية عامة ، وأوساط فيزياء الاندماج النووي بصورة خاصة . فعلى امتداد الأربعين سنة الماضية استثمرت الدول الصناعية المتقدمة أفضل إمكانياتها العلمية والتقنية ، وأكثر من ٢٠ بليون دولار ، دون أن يتمكن العلماء حتى الآن من تطوير مفاعل اندماج نووي للأغراض السلمية ، قادر على إنتاج كمية من الطاقة أكثر مما يستهلك . والآن يخرج علينا اثنان من الكيميائيين ، لا النوويين ، ذوي السمعة الاكاديمية الطيبة ، بأنهما نجحا في تحقيق ما عجزت عنه جهود مئات العلماء المتخصصين مدة أربعة عقود ، وباستخدام جهاز غاية في البساطة ، وكان علماء فيزياء الاندماج النووي قضوا الأربعين سنة الماضية يبحثون في صحراء التيه .

أدى إعلان بونس وفلايشمان إلى ردود فعل متباينة في أوساط الفيزيائيين . فقد أنكر البعض صحة الاعلان ، وآثر البعض الآخر التعليق بحذر إلى أن تتوافر معلومات أكثر . وانتقد آخرون اللجوء إلى وسائط الإعلام العامة

للاعلان عن حدث علمي بمثل هذه الأهمية . فقد جرى العرف في الأوساط « الاكاديمية » على أن يتقدم الباحثون بتفاصيل اكتشافاتهم الجديدة إلى إحدى المجلات العلمية المتخصصة ، لعرضها على محكمين في مجال الاختصاص نفسه ، لابداء الرأي حول صحة ما يدعونه ، ومدى صلاحيته للنشر . وبعد ذلك فقط يمكن لأصحاب الاكتشاف اللجوء إلى وسائل الإعلام العامة لنشر اكتشافهم وتعميمه .

قام بونس وفلايشمان بإرسال ورقة علمية إلى مجلة « الطبيعة » البريطانية ، لنشر نتائج تجاربهما ، غير أن المحكمين بعد مراجعة الورقة طلبوا المزيد من التفاصيل ، قبل أن يتمكنوا من إصدار حكم على مدى صلاحية الورقة للنشر . وقد اعتذر بونس وفلايشمان عن تزويدهم بالمزيد من التفاصيل ، بدعوى ضيق الوقت وكثرة التزاماتهما وارتباطاتهما ، وآثرا بدل ذلك سحب الورقة . وقد تداولت أوساط الفيزيائيين مسودة الورقة ، وأجمع الكثيرون على أنها لا تحتوي على تفاصيل كافية تسمح للآخرين بإعادة التجربة للتأكد من صحة ادعاءات بونس وفلايشمان . وبذلك بقيت الأوساط العلمية تعيش المستوى نفسه من التشوش والارتباك اللذين أعقبا الإعلان الشهير .

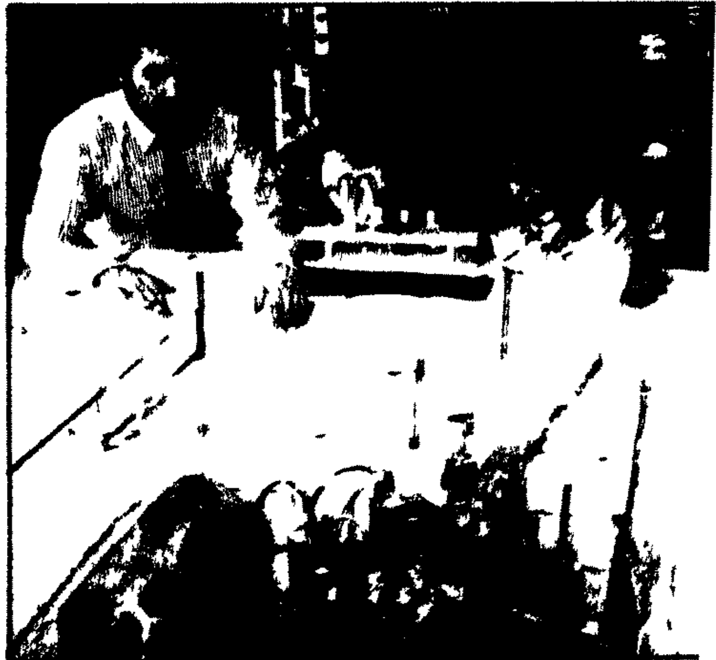
الانشطار والاندماج النوويان

يمكن توليد مقادير ضخمة من الطاقة الحرارية من شطر أو دمج أنوية بعض الذرات . فأنوية الذرات الثقيلة ، مثل اليورانيوم ، يمكن أن تنشطر ، ويؤدي انشطارها إلى تكوين ذرات مواد جديدة ، وإصدار أشعة ، وتوليد حرارة . وعند استخدام الانشطار النووي لأغراض سلمية تستخدم الحرارة المتولدة لإنتاج البخار لتشغيل « توربينات » مربوطة بمولدات كهربائية ، وبهذه الطريقة يمكن تحويل الطاقة النووية إلى طاقة حرارية ، ثم إلى طاقة كهربائية . وبغية الحد من الآثار الضارة ، المصاحبة لتفاعل الإنشطار النووي ، تتم السيطرة على التفاعل في قلب المفاعل النووي ، لضبط معدل التفاعل ، وكمية الحرارة المتولدة ، ومنع الاشعاعات النووية من التسرب . أما في الأغراض العسكرية فيتمثل أهم استخدامات الانشطار النووي بالقنبلة الذرية .

من جانب آخر يمكن لأنوية الذرات الخفيفة أن تنصهر أو تندمج معا ، مكونة عناصر نظيرة (أنوية تحتوي على العدد نفسه من البروتونات وأعداد متباينة من النيوترونات) أو عناصر جديدة . وتذكر بعض المصادر أنه يمكن من الناحية النظرية إجراء أكثر من ١٠٠ تفاعل نووي اندماجي بين أنوية العناصر الخفيفة كالهيدروجين والهيليوم والليثيوم والبيريليوم والبورون . ومنذ بداية أبحاث الاندماج النووي وقع الخيار على الدويتروم كمادة أولية للتفاعل . والدويتروم نظير للهيدروجين ، وتحتوي نواته على بروتون واحد ونيوترون واحد ، بينما تحتوي نواة ذرة الهيدروجين على بروتون واحد فقط . ومن الجدير بالذكر أن البروتون والنيوترون جسيمات دقيقة ، توجد في أنوية الذرات ، ولهما الكتلة نفسها ، غير أن للبروتون شحنة موجبة ، بينما النيوترون متعادل الشحنة . وقد وقع الخيار على الدويتروم بسبب وفرته الكبيرة في الطبيعة ، حيث توجد ذرة دويتروم واحدة بين كل ٦٥٠٠ ذرة هيدروجين . ونظرا لمخزون الهيدروجين الهائل في الطبيعة ، المتمثل بكميات مياه البحر الضخمة ، يمكن القول بأن موارد الدويتروم وفيرة جدا ، واستخلاصها أمر سهل .

إن فكرة الاندماج النووي بسيطة ، لكن تطبيقها العملي غاية في الصعوبة ، فالفكرة الأساسية في التفاعل هي تقريب نواتي دويتروم الواحدة من الأخرى ، بحيث تنصهر أو تندمج إحداهما بالأخرى . أما الأمر الصعب في التفاعل فهو أن للنواتين الشحنة الكهربائية الموجبة

نفسها ، مما يعني أنهما ، تحت الظروف العادية ، تتنافران . وكلما قصرت المسافة بين النواتين ازدادت قوى التنافر والطرد . وللتغلب على هذه القوى يقوم العلماء بتزويد الأنوية بطاقة حركية ضخمة ، تسمح لهما بالاصطدام والاندماج . وكان هذا الأمر يتم حتى الآن عن طريق رفع درجة حرارة الأنوية إلى ما يقارب ١٠٠ مليون درجة . وبعد مضي أربعة عقود من البحث والتجارب لمّا تنجح حتى الآن أي من محاولات الاندماج النووي بهذه الطريقة في إنتاج طاقة أكثر من الطاقة المستخدمة لإجراء التفاعل . وربما كان الاستثناء الوحيد هو القنبلة الهيدروجينية التي تعمل على أساس الاندماج النووي . ويذكر في هذا الصدد أن تحقيق الاندماج النووي عند تفجير قنبلة هيدروجينية يتطلب تفجير قنبلة نووية أولا ، لتوفير الظروف اللازمة لحصول الاندماج النووي . إن صعوبة توفير الشروط اللازمة للاندماج النووي هي العائق الأساسي أمام استخدامه في الأغراض السلمية . وأما على



● فيزيائيان من جامعة ييل الأميركية يتابعان ، إجراء تجارب الاندماج النووي البارد

مستوى الطبيعة فإن أشهر تفاعلات الاندماج النووي تلك التي تحصل في قلب الشموس ، ومنها الشمس التي تزود الأرض باحتياجاتها الأساسية من الطاقة .

إن الاهتمام بالاندماج النووي ينبع من وفرة المادة الأولية ـ الديتروم ـ وكمية الطاقة الضخمة التي يمكن توليدها من التفاعل . فالحسابات تقول بأن دمج أنوية « الدويتروم » الموجودة في متر مكعب واحد من ماء البحر ينتج كمية من الطاقة ، تعادل الطاقة الناتجة عن حرق ٢٠٠٠ برميل نفط ، وأن كل كيلو متر مكعب من ماء البحر يحتوي على طاقة ، تعادل طاقة كل مخزون النفط العالمي المعروف . وإذا أخذنا في الاعتبار أن بحار العالم ومحيطاته تحتوي على أكثر من بليون كيلو متر مكعب من الماء ، يمكن القول أن طاقة الاندماج النووي تشكل مصدرا لا ينضب من الطاقة .

انطلاقا من الحقائق السابقة يمكن فهم (لماذا أثار إعلان بونس وفلايشمان اهتماما شديدا في الأوساط العلمية والحكومية والاقتصادية ؟) فبالنسبة للعلماء يعد الاكتشاف اختراقا في أصعب جبهات العلم وأعقدها ، وحلا سهلا لواحدة من أصعب المشكلات . فليس غريبا أن يقول البعض : إن هذا الاكتشاف إذا ثبتت صحته سيكون « اكتشاف القرن » . أما بالنسبة للأوساط الحكومية فإن تحقيق الاندماج النووي البارد يعني تقديم حل لإحدى المسائل الاستراتيجية المهمة ، وهي ضمان موارد الطاقة وإمداداتها على المدى الطويل .

مسارات تفاعل الاندماج النووي

يقول الفيزيائيون النوويون : إن التفاعل الاندماجي لنواتي ذرتي دويتروم يتخذ أحد ثلاثة مسارات هي :

(١) تندمج النواتان لتكوين التريتيوم وإطلاق بروتون وحرارة . والتريتيوم هو أحد نظائر



● مارتن فلايشمان (اليسار) وستانلي بونس (اليمين) يعرضان اكتشافهما أمام إحدى لجان الكونجرس الأمريكي ، وقد طلبا مبلغ ٢٥ مليون دولار لمواصلة أبحاثهما حول الاندماج النووي البارد

الهيدروجين ، وتحتوي نواته على بروتون واحد ونيوترونين ، وهو عنصر مشع ، ويمكن التعرف عليه بقياس الإشعاعات الصادرة منه .

(٢) تندمج النواتان لتكوين نواة الهيليوم ـ ٣ التي تحتوي على بروتونين ونيوترون واحد ، وينطلق من التفاعل نيوترون واحد بطاقة محددة . ويمكن الكشف عن وجود النيوترونات ومعرفة عددها باستخدام أجهزة خاصة بذلك . والهيليوم ـ ٣ نظير عنصر الهيليوم ـ ٤ الذي يحتوي في نواته على بروتونين ونيوترونين . والمعروف أن الهيليوم ـ ٣ عنصر نادر في الطبيعة .

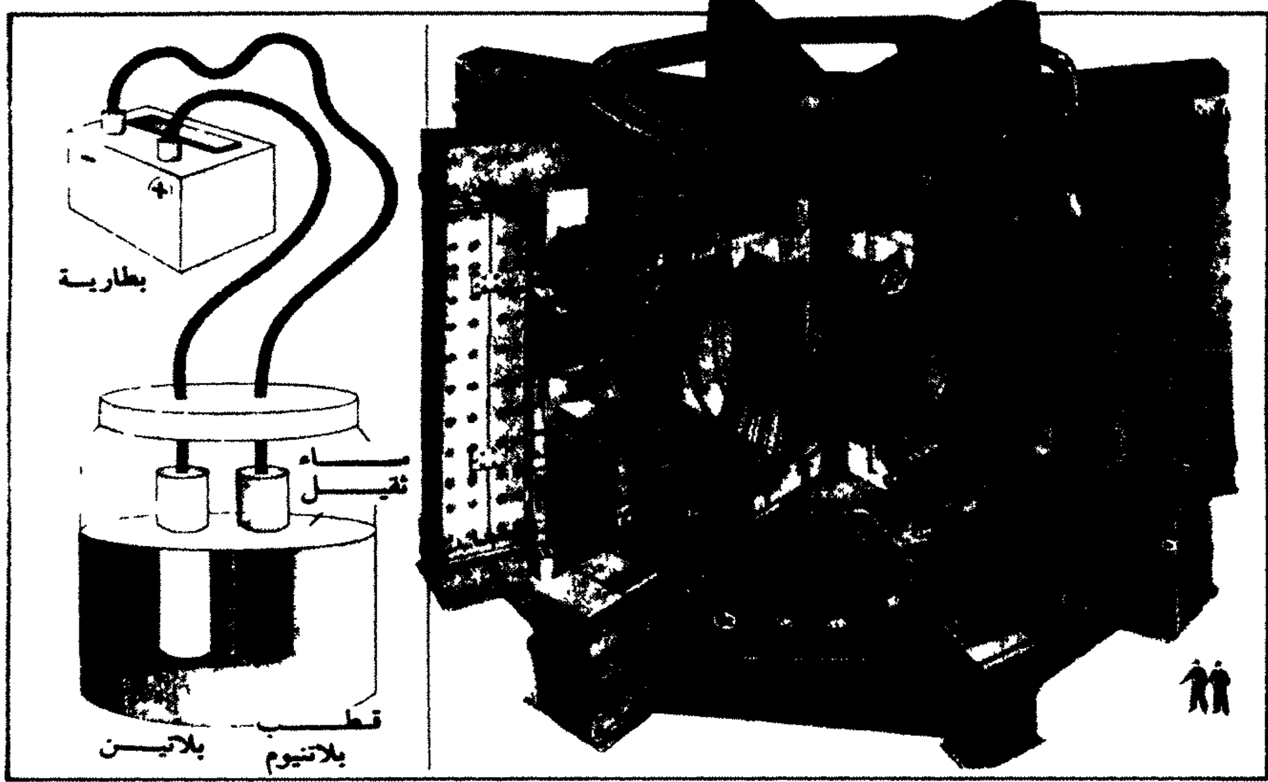
(٣) تندمج النواتان لتكوين الهيليوم ـ ٤ ، ويصاحب التفاعل إطلاق أشعة جاما . وهذه يمكن الكشف عنها باستخدام أجهزة خاصة أيضا .

إضافة إلى التفاعلات الثلاثة السالفة التي تقبلها الأوساط العلمية هناك رأي آخر يقول ـ اعتمادا على إعلان بونس وفلايشمان ـ : إنه يمكن للنواتين أن تندمجا لتكوين الهيليوم ـ ٤ وإطلاق حرارة بدل أشعة جاما ، غير أن هذا الرأي لما يثبت بعد ، وما زال ينتظر التأكيد النظري والعملي .

التجربة المثيرة

ذكر بونس وفلايشمان أنهما أجريا تجربة الاندماج النووي البارد في أنبوبة اختبار . فقد وضعا في الأنبوبة ماء ثقيلا ، يحتوي على بعض أملاح الليثيوم (ماء يتكون من الأوكسجين والدويتروم بدل الهيدروجين) ، وغمرا فيه قضيبا من معدن البلاديوم ، لفّ حوله سلك من البلاتين ، ثم ربط قضيب البلاديوم بالقطب السالب لمصدر كهربائي ، كبطارية السيارة ، وربط البلاتين بالقطب الموجب . وبالمناسبة يشبه هذا الجهاز ما يستخدمه طلبة المدارس الثانوية في تجارب تحليل الماء إلى مكوناته من الأوكسجين والهيدروجين .

ترك الجهاز جانبا أياما عديدة والتيار الكهربائي يمر في القطبين المغمورين ، ونتيجة مرور التيار الكهربائي تحلل الماء في الأنبوب إلى الاوكسجين والدويتروم . وقد تجمع الدويتروم ، ذو الشحنة الموجبة ، على قضيب



● مقطع في جهاز الاندماج النووي الحار شديد التعقيد (يمين) مقابل جهاز الاندماج النووي البارد شديد البساطة (يسار)

البلاديوم المتصل بالقطب الكهربائي السالب . وللبلاديوم تركيب بلوري شبكي ، ومن خصائصه أنه يمتص الهيدروجين ونظائره .

يقول بونس وفلايشمان : إن البلاديوم امتص الدويتروم داخل تركيبته الشبكية ، وأنه حين ازدادت أعداد أنوية الدويتروم داخل التركيبة اقترب بعضها من بعض بصورة شديدة ، بحيث اندمج بعضها ببعض ، وأدى الاندماج النووي إلى إطلاق حرارة ، بلغت ـ حسب ما ذكره بونس وفلايشمان ـ أربعة أضعاف الطاقة الداخلة في التفاعل .

لم يكن من السهل على الجماعة العلمية ، وبخاصة الفيزيائيين النوويين ، القبول بأنه يمكن التجاوز والاختزال لجهود أربعين سنة من الأبحاث والجهود المضنية بتجربة بسيطة ، كما لم يكن من السهل على الفيزيائيين التسليم بأن اثنين من الكيميائيين قد حققا إنجازات في حقل الفيزياء ، عجز عنها أفضل عقول الفيزيائيين ومما زاد الأمر حرجا أن الفيزيائيين يقرون بإمكانية إحداث اندماج نووي بارد من الناحية النظرية ، لكنهم يدركون أن تحقيقه على مستوى عملي لإنتاج الطاقة غير ممكن ، لعدم توافر الشروط اللازمة لحصول التفاعل

بين التأكيد والنفي

عقب إعلان بونس وفلايشمان سارع الباحثون ، في أكثر من ١٠٠ مختبر في دول العالم المختلفة ، لمحاولة إعادة تجربة الاندماج النووي والتأكد من صحتها ، غير أن النتائج التي أعلنت عملت على زيادة التشويش والارتباك السائدين في الأوساط العلمية . فعلى مسافة قصيرة من جامعة يوتا ، في جامعة بيرجهام يونج ، أعلن الفيزيائي ستيفن جونز أنه يعمل في موضوع الاندماج النووي البارد منذ سنين عديدة ، وأنه

كان قد اتفق مع مجموعة بونس وفلايشمان على أن لا يبادر أي من الطرفين إلى الإعلان عن أبحاثهما بصورة منفردة . ويقول جونز : إن التفاعل الذي أجراه أدى إلى اطلاق النيوترونات ، لكنه لم يؤد إلى توليد أي مقدار يذكر من الحرارة .

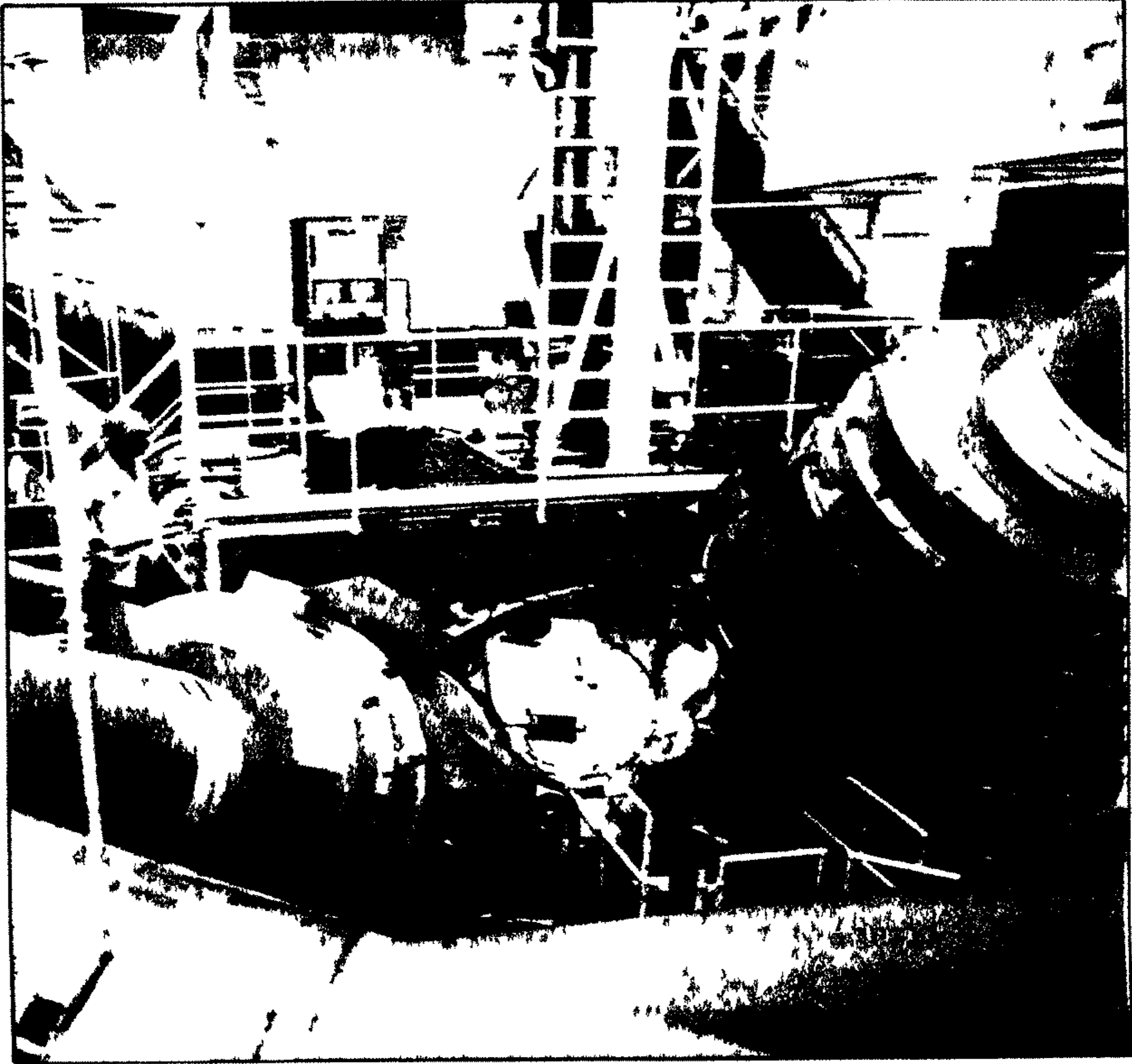
في معهد جورجيا للتقنية أعلنت مجموعة بحثية أنها تمكنت من تكرار تجربة بونس وفلايشمان ، وأن التجربة أدت إلى إطلاق النيوترونات ، مما يشكل دليلا على حصول الاندماج النووي . وبعد أيام من هذا الإعلان بادرت المجموعة إلى إصدار تصريح صحفي ، تراجعت فيه عما ذكرت ، وعزت النتائج إلى خلل في جهاز اكتشاف النيوترونات . ثم أعلنت مجموعة أخرى من جامعة تكساس أنها تمكنت من تكرار التجربة التي نتج عنها إطلاق نيوترونات وتوليد حرارة . وبعد أيام تراجعت المجموعة البحثية عما ذكرته ، ثم تراجعت عن التراجع . وقد جاءت تأكيدات أخرى عن النجاح في تكرار التجربة وقياس زيادة في عدد النيوترونات أو الطاقة الحرارية المتولدة من جامعات ومراكز أبحاث أخرى في الولايات المتحدة والهند والبرازيل والصين والاتحاد السوفيتي واليابان والإمارات العربية المتحدة . وفي إيطاليا أعلنت مجموعة بحثية أنها تمكنت من تحقيق الاندماج البارد دون استخدام الماء الثقيل ، إذ تم بدل ذلك استخدام معدن التيتانيوم وغاز الدويتروم لإحداث تفاعل الاندماج النووي تحت ضغوط ودرجات حرارة مختلفة . وقالت المجموعة الايطالية : إنها لاحظت إطلاق أعداد كبيرة من النيوترونات من التفاعل ، لكنها لمّا تتأكد بعد إن كانت الطاقة المتولدة كافية لتسويغ التطبيقات العملية مستقبلا .

من جانب آخر ، لم تتمكن أي من المجموعات البحثية في مراكز الأبحاث النووية الرئيسية في العالم من تأكيد أي من ادعاءات بونس وفلايشمان . ففي مختبر ارجون القومي في الولايات المتحدة ، قامت مجموعات بحثية بمحاولة تكرار تجربة الاندماج النووي البارد ، غير أنه بعد مضي شهر على بدء التجربة لم يجد الباحثون أي أثر يمكن أن يعزى للاندماج البارد . وقالت مجموعة أخرى : إنها لم تتمكن من اكتشاف أي زيادة في عدد النيوترونات فوق المستوى الموجود غالباً في البيئة . وفي مختبرات هارويل النووية ، في بريطانيا ، لم تتمكن المجموعات البحثية المختلفة من اكتشاف أي نيوترونات أو حرارة يمكن أن تعزى إلى ظاهرة الاندماج النووي البارد ، علما بأن التجارب في هارويل أجريت بمساعدة مارتن فلايشمان .

الخلاصة

بعد مضي وقت ليس بالقصير على إعلان بونس وفلايشمان عن نجاحهما في تحقيق تفاعل الاندماج النووي البارد ، لم تتمكن أي من المجموعات البحثية في العالم من تكرار نتائجهما بالكامل ، وإنما ذكرت مجموعات مختلفة أنها لاحظت زيادة في عدد النيوترونات التي يفترض أنها صدرت عن التفاعل . غير أن أيا من مختبرات الأبحاث النووية الرئيسية في العالم لم تتمكن من تأكيد أي من نتائج بونس وفلايشمان .

إن قصة الاندماج النووي البارد ما زالت على المستوى نفسه من الارتباك والتشويش منذ الإعلان عنها في ٢٣ مارس الماضي . فمقابل تأكيدات العديدين بعدم نجاحهم في تحقيق التفاعل ، يصرّ بونس وفلايشمان على صحة تجاربهما ، وأنهما سيكشفان المزيد من التفاصيل بعد الانتهاء من تسجيل حقوق براءة الاختراع . ومما يزيد من الارتباك والحيرة أن بونس وفلايشمان يتمتعان بسمعة طيبة ، وأن آراءهما ، في مجال اختصاصهما ، تؤخذ على محمل الجد ، فكيف يمكن أن يخاطرا برصيدهما « الاكاديمي »



● جهاز ليزر شديد التعقيد يستخدم في إجراء تفاعلات الاندماج النووي الحار

بالإعلان عن مثل هذا الكشف الخطير بطريقة استعراضية ؟

تختلف الآراء في الرد عن السؤال ، فمن قائل بأن إدارة الجامعة ضغطت على الباحثين للإعلان عن الكشف ، لتأكيد حقوق براءة الاختراع ، ومن قائل بأنها « الغيرة المهنية » والبحث عن الشهرة والمجد ، ومن قائل بأن الهدف هو جائزة نوبل ولا يستبعد البعض أن تحاول بعض المصالح الاقتصادية الاستفادة من الإعلان الشهير لتحقيق مكاسب مادية

الأمر المؤكد هو أن المسألة لن تستغرق الجماعة العلمية طويلا قبل إصدار تقييم علمي صحيح لحقيقة النتائج التي أعلن عنها بونس وفلايشمان وقد تؤدي حملة التطورات التي صاحبت الإعلان عن الاندماج البارد إلى بعث الاهتمام به مرة أخرى وإلى أن تتحقق إنجازات ملموسة في حقل الاندماج النووي الحار والبارد ، سيستمر العالم بالاعتماد على مصادر الطاقة الحجرية لتلبية معظم احتياجاته □

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



■ موسيقا الرحم .. والحياة اللغوية للطفل



مُوسيقا الرَّحم وَالحَيَاة اللغويّة للطفـــل

بقلم : الدكتور سامي محمود علي

لا تبدأ حياة الطفل عندما يخرج مولوداً من رحم أمه ، بل قبل ذلك بكثير ، فليست الولادة سوى مرحلة من مراحل حياة الجنين التي تبدأ داخل الرحم ، وهناك يستمع الطفل إلى الأصوات الأولى التي تشكل إيقاع حياته بعد أن يخرج إلى الدنيا .

كل منا يعيش حياة قبل الحياة ، حياة لها خصائصها وطبيعتها ، إنها الحياة داخل الرحم التي لها امتداد في الماضي له تأثيره ـ دون شك ـ على الأيام التالية لما بعد الولادة . يستطيع من يزور متحف التاريخ الطبيعي في لندن أن يدخل حجرة صغيرة مظلمة ، تصميمها يشبه رحما كبيرا . في هذه الحجرة يسمع المرء نفس الأصوات التي يسمعها الجنين ، من دقات قلب الأم ، وصوت هضم طعامها وامتصاصه ، وغير ذلك من أصوات . إنها تجربة غريبة ، تجد وقعها على الوجوه التي تعود بالذاكرة في رحلة عبر الماضي البعيد .

لقد وجد أن لهذه الأصوات الجنينية التي يطلق عليها اسم « موسيقا الرحم » تأثيراً مهدئاً وملطفاً على الأطفال الذين يظهرون اضطرابا بعد الولادة ، لذلك فقد طبعت بعض الشركات هذه الموسيقا

الرحمية على أشرطة « تباع ، حيث ثبت أن لها تأثيرا يفوق فعل بعض الأدوية المهدئة للأطفال الذين لا يكفون عن الصراخ أو الهياج في شهورهم الأولى .

إن لذلك معنى آخر ، فالطفل الذي يولد لم يصادف الأصوات والضوضاء حوله لأول مرة ، بل إنه تعرف عليها وهو ما يزال جنينا لم ير النور . والحقيقة أن الأصوات الداخلية المتمثلة في دقات قلب الأم وضوضاء الهضم ليست هي التي يتأثر بها الجنين فقط لكنه يتأثر في الوقت نفسه بالضوضاء الخارجية التي يمكن أن تتعرض لها الأم ويتفاعل معها ، فنبضات قلب الجنين تزداد ، كما تضطرب حركته عند تعرض الأم لكل ما يثير فزعها أو اضطرابها .

وهكذا يعيش الجنين حياة الأم مثلها تماما ، وعبر الحبل السري تنتقل هرمونات الأم التي تؤثر بدورها على أجهزة الطفل وأنسجته . لكن السؤال الذي يطرح هو : هل لهذه الضوضاء الداخلية أو الخارجية التي يتعرض لها الجنين تأثير على حياته بعد الولادة ؟

إن طفلنا البشري يولد ولديه حنين غريب لحياة الرحم . ولعلنا نقول بطريقة أخرى : إن الحياة الجنينية التي تمتد تسعة أشهر تبدو كأنها كانت غير كافية ، فإذا وضعنا طفلنا بعد ولادته مباشرة في ظروف مشابهة لحياته داخل الرحم ، وتركناه دون لفائف أو ملابس فإنه يتخذ الوضع نفسه الذي كان عليه في رحم أمه بثني رجليه ويديه ووضع أصبعه في فمه . كما أظهرت الأبحاث بصورة قاطعة أن الأطفال حتى سن الثلاثة أشهر الأولى من أعمارهم ينتابهم الخوف والاضطراب إذا كانت أمهاتهم قد تعرضن أثناء الحمل لحوادث أليمة أو صدمات نفسية ، أما الأطفال الذين ولدوا لأمهات عوملن بلطف ورعاية أثناء حملهن فإنهم أقل تأثرا بالخوف ، كما أنهم يبدون استعدادا أكثر للهدوء . وليس من قبل المصادفة كذلك أن الطفل المولود يميل إلى النوم والراحة إذا وضع في سرير متأرجح ، وهو ما يعود به إلى حياته داخل الرحم ، حيث كان يتأرجح مع حركة الأم

لكن ما يثير الدهشة في كل ذلك أن الطفل الرضيع قد لا يهتم بأي أصوات حوله في الوقت الذي يستجيب بشدة لصوت أمه ، ويهدأ ويكف عن البكاء إذا داعبته أمه بصوتها الحنون الرتيب . إن ذلك يبدو كأن هناك حبلا سريا آخر لم يقطع بعد الولادة ، لكنه متصل ، والطفل لا يستمد من هذا الحبل الغذاء والاوكسجين كما كان جنينا ، لكنه يستمد منه الآن ذكريات الدفء والسلام المرتبطين بحنان الأم وعطفها . إذن فالجنين يعيش في عالم من الأصوات ، يعايشها ويألفها ، ويمكن اعتبارها التجربة (بروفة) لحياته بعد الولادة في عالم الضوضاء .

لكن ما العلاقة بين ما يسمى « موسيقا الرحم » وبين تعلم الطفل الكلام واللغة ؟ هل يولد الطفل مزودا بالاستعداد الفطري لعملية



إن صوت الأم يعيد الطفل إلى حياة الهدوء والسلام في الرحم .

النطق ، أم أن عوامل البيئة هي وحدها التي تهيىء الطفل لنطق الحروف وإخراج الألفاظ ؟ إن هذه الاسئلة تثير قضية طال فيها الجدل ، لكننا الآن أمام مفاهيم جديدة ، يمكن أن تضيف أبعادا أخرى لهذه القضية .

عملية الكلام

إن عملية الكلام عند الطفل ليست من العمليات السهلة ، بل هي من أعقد ما يجب أن يتعلمه الطفل في سنوات حياته الأولى . وطريقة إخراج الألفاظ ترتبط بصورة مباشرة بالشفتين واللسان والأسنان والحبال الصوتية ، لكنها تتصل بصورة غير مباشرة وبأهمية أكثر بمناطق الترابط في لحاء المخ ، أو ما يسمى قشرة المخ . ومناطق الترابط هي المراكز المسئولة عن البصر والسمع واللمس ، وارتباط كل هذه المراكز في المخ بمركز الكلام الذي يقع - غالبا - في النصف الأيسر من المخ .
والحقيقة أن مناطق الترابط هذه تضم مساحة واسعة جداً من سطح المخ البشري ، بما لا يمكن مقارنته بأمخاخ أي من المخلوقات الحيوانية ، إضافة إلى أن مركز الكلام لا يوجد إلا في المخ البشري فقط . ولعلنا بذلك نكون قد اكتسبنا صفتنا الإنسانية التي مكنتنا من خلق الحضارة ، عن طريق تطور لغة التفاهم والاتصال عبر الأجيال في عمر تاريخنا كله . إن ما نريد أن نقوله هو أن الأجهزة المسئولة عن عملية الكلام عند الطفل ، سواء كانت شفتين ولسانا وأسنانا وحنجرة ، أو مناطق البصر والسمع واللمس والكلام في المخ ، يجب أن تعمل كلها معا ، ولعل هذا يفسر لنا سبب تعقيد عملية الكلام لدى الطفل .

والطفل الوليد يبدأ بالصراخ ، وقد يمضي صراخ المولود حتى الأسبوع الخامس من عمره بلا مدلول ، إلا أن الخطوة الأولى في التطور تأتي بعد هذه الأسابيع إذ يأخذ الصراخ عنده معنى وله ، إنه يصرخ ليعلن عن سروره ، أو يصرخ معبراً عن نفوره من شيء أو كراهيته له ، ويختلف - دون شك - إيقاع الصراخ أو حدته في كل حالة ، فهو هادىء إذا كان مسرورا ، والثاني على عكس ذلك . واعتياد الطفل على الصراخ يجعله يشعر أنه يمكن أن يأتي به - أي بالصراخ - بإرادته ، فيعتاد منه التعبير الصوتي وتقليد الآخرين فيما بعد . وقد وجد أن تطور ملكة الكلام عند الطفل تتوقف على نمو الصراخ وكثرته ، خاصة الصراخ الدال على السرور .

من هنا نجد امتداد تأثر الطفل بضوضاء الرحم ، أو ما يسمى « موسيقا الرحم » ، فالطفل قد اعتاد على الأصوات جنينا ، واعتاد أن ينفعل معها - كما وضحنا - وهو في شهور حياته الأولى ويظل متأثرا



على هذه الشاشة تتحول الأصوات إلى أشكال لمساعدة الطفل المصاب بالصمم على فهم معنى الكلام .

بذلك ، فهو ينفعل لأي تغير حادث في الوسط حوله أو في جسمه بالصراخ ، فالتغير في البيئة المحيطة به هو الفعل ، وصراخه هو رد الفعل ، وبعد وقت قصير يجد نفسه قادرا على إحداث صوت ، كما أن اللُّعَب التي تقدم إليه مثل « الشخاليل » يمكن أن تصدر صوتا . إن تآلفه مع الصوت وقدرته على إحداثه ، سرعان ما يتحولان إلى وسيلة لتلبية رغبة أو مطلب ، وخطوة بعد أخرى ، يتحول الصراخ إلى إيقاعات منتظمة ، ذات مقاطع صغيرة مثل : با ـ أو ـ ما ـ دا ، وهذه في الحقيقة أول مراحل الطفل لنطق الحروف وإخراج الألفاظ .

وسعادة الأبوين الظاهرة بنطق طفلهما لأحد حروف الهجاء تشجع الطفل على التكرار ، كما أنه يستشعر سرور المحيطين به عندما يحاول تقليد أحد هذه الأصوات ، وهو إن كان في شهور عمره الأولى يعرف من نبرة صوت الأم وحدّته ما الذي ترغبه أو تشعر به ، إلا أنه عندما يكبر قليلا يحاول أن يفهم معنى ما تقول ، ويرتبط ذلك في ذهنه بمفهوم معين .

ويمكن لتطور اللغة عند الطفل أن يسير في خطوات تأخذ في النمو مع تطور حالته « الفسيولوجية » بشكل عام ، لأن عملية الكلام ـ كما قلنا ـ ليست عملية قائمة بذاتها ، بل ترتبط بنمو حواس الطفل وتطورها ككل ، وتطور الكلام عنده يختلف مع اختلاف عمره ، ويمكن تحديد هذا التطور مع ملاحظة أن هذا التطور يختلف بين طفل وآخر ، وهذا في أغلب الأحيان لا يعني مرضاً أو قصورا ، فطاقة الطفل المحدودة قد تميل إلى نمو يختلف عن سواه ، فالطفل الذي يتكلم مبكراً ـ مثلا ـ يمكن أن يتأخر في قدرته على المشي ، والعكس صحيح كذلك .

والحقيقة أن هناك سؤالا ما يزال بلا إجابة : هل تعلّم اللغة عند الطفل يخضع لعوامل البيئة أم للوراثة ؟ قد لا يكون من السهل الإجابة بشكل قاطع ومؤكد ، إلا أن عدة حقائق يمكن أن تعطي المرء صورة كاملة لحقيقة هذه القضية .

فالملاحظ أن الأطفال ، في جميع أنحاء العالم ، وبصرف النظر عن جنسياتهم ولغتهم الأصيلة ، يخرجون الأصوات نفسها في الشهور الأولى من أعمارهم ، ثم تتغلب عوامل البيئة ونوعية اللغة المحيطة بهم في اكتسابهم لغة البلد الذي ينتمون إليه . إن ذلك يعني أن الطفل يولد ولديه استعداد فطري أو « بيولوجي » لتعلّم اللغة بالتفاعل مع البيئة ، فهناك « برمجة » كاملة لعملية الكلام ، تكون جاهزة في مخ الطفل ، لكنها تأخذ شكلها مع نمو الجهاز العصبي للطفل ، وتطوره وتفاعله مع عوامل البيئة المحيطة به . وقد لا يتفق هذا تماما مع ما جاء به « تشومسكي » فيما يعرف بالنظرية اللغوية التي يقول فيها : إن الأطفال يولدون ولديهم نماذج جاهزة للتركيب اللغوي ، أو بمعنى آخر ، أن الطفل يرث اللغة في رأيه عن طريق أنظمة لغوية ترثها الأجيال جيلا بعد جيل .

إن القضية كما نرى ـ قضية الوراثة أو البيئة ـ لا يمكن القطع فيها بهذا أو بذاك ، بل إن المتفق عليه علميا أن لكل من الوراثة والبيئة تأثيرها على الفرد وتكوينه ، لكن ما يمكن أن يقال : انه قد يكون لأحدهما تأثير يفوق الآخر ، وبذلك نستطيع أن نقول : إن الطفل يولد ولديه استعداد « موروث » لتعلّم الكلام واللغة ، ثم يكون للبيئة اليد العليا في تحقيق هذا التعلّم أو عدم تحقيقه ، فالطفل يولد ولديه « مشروع » لتعلّم الكلام » ، لكن البيئة ، بعواملها المختلفة ، هي التي تنفذ هذا المشروع .

إن هذا يعطينا صورة واضحة عن أهمية البيئة ، ليس في تعلّم الكلام واللغة فقط ، بل في تعلم السلوك الإنساني نفسه . □

أجيال لا تعرف صحبة الأبوين

بقلم : نادية يوسف

أثنان زائد واحد ، هكذا يصف الأوربيون عائلاتهم التي تتكون من أب وأم وطفل أو طفلين على الأكثر . ولكن ماذا عن العائلة الكبيرة ، هل انتهى عصرها مع تعقيد أساليب الحياة وارتفاع مستوى المعيشة وغير ذلك من التغيرات ؟

المقال التالي إلقاء للضوء على مشكلات الأسر الكبيرة .

لسنا في حاجة إلى إبراز أهمية أن تكون الأسرة الجديدة في حدود طفلين أو ثلاثة ، حيث صار طبيعياً أن يتكرر مشهد طفل في يد الأب وطفلة في ذراع الأم .

أما غير المألوف اليوم فهو أن نرى صورة الأم التي تمشي في الطريق وتجر خلفها سبعة أطفال أو أكثر ، وإذا كان هذا المنظر يتكرر كثيراً في الدول النامية ، فإن الأجيال الجديدة قد روعت حين استيقظت ذات صباح ، فوجدت الأطفال الأبرياء في أفريقيا يموتون بسبب عدم قدرتهم على الحصول على شربة ماء .

وعلى الرغم من أن قضية الأسرة الكبيرة قد حسمت منذ زمن ، خصوصاً في بلدان العالم المتقدم ، فلكل قاعدة دائماً شواذ ، فالأسر هناك لا يخلو أيضاً من عدد من العائلات التي اختارت ، بإرادتها أو بغيرها ، أن تكون من الأسر ذات العدد الضخم ، وكتب عليها أن تظل مطاردة بأسئلة محرجة :

هل كل هؤلاء الأطفال أبناؤك ؟ كيف أنجبتهم ؟ انظروا إلى هذا الجيش ؟ أين الوقت والنقود والصحة لرعاية كل هؤلاء ؟

وقد كان لزاماً على هذه



العائلات ، لندرتها وغرابتها ، أن تخضع لدراسات اجتماعية شاملة متعددة ، وأن تجيب عن كل التساؤلات التي تدور حول « سيكولوجية » الإنجاب ، وكيف تحسن رعاية أبنائها ، وما تعانيه من مشكلات .

أم البنين والبنات :

منذ سنوات قليلة قررت إحدى المؤسسات التي تعمل في طب النفس أن تستثمر هذه الظاهرة ، لكي تعرف عن يقين كيف أمكن للأسرة الكبيرة أن تصبح كبيرة ، وما دوافعها إلى ذلك .

كل الإحصائيات الحديثة تشير إلى أن إنجاب عدد كبير من الأطفال أمر غير مرغوب فيه في المجتمعات المعاصرة ، حتى أن ٤٪ فقط من الأسر هي التي أنجبت أكثر من ثلاثة أطفال .



والغريب أن كتب التربية الحديثة والعناية بالطفل لا يقرؤها إلا الأسر التي تنجب طفلاً أو طفلين ، وحتى لو حاولت الأسر الكبيرة الاستفادة من هذه الكتب فإنها لن تتمكن من ذلك ، لأن هذه الكتب صنعت خصيصاً من أجل الأسرة الصغيرة .

إن الأشخاص المشتغلين بالفكر يكتفون دائماً بطفل أو طفلين ، لذلك اختارت المؤسسة ٥٠ أسرة ، ممن أنجبوا أربعة أطفال فأكثر ، وتتراوح أعمار الأمهات فيها بين ٣٨ و ٤٠ سنة ، وكلهن بلا استثناء أجمعن على أن أمنيتهن الكبرى هي أن تخفت حدة الضوضاء التي يحدثها الأولاد في المنزل ، وأنها عادة لا تخفت إلا ساعة الطعام ، ليحل محلها ضوضاء الأطباق والملاعق .

قالت الأمهات أيضاً : إنهن يخصصن ٦٧ ساعة في الأسبوع لمسئوليات البيت والأولاد . بعض الأمهات يعملن خارج المنزل في مهن مختلفة ، ممرضات أو مدرسات أو في مهن كتابية ، أما الآباء فيعملون عمالاً ومهنيين ، وفي أحيان أخرى بمناصب إدارية متوسطة .

إن عدداً من الشائعات تخضع لها الأسرة الكبيرة العدد - هكذا أوضحت الدراسة - وعلى سبيل المثال ، فالآباء لا يستطيعون تذكر أسماء الأطفال وأعمارهم ، وأن كل الأطفال في الأسر الكبيرة غير متفوقين في مراحل التعليم المختلفة ، أو يتعثر في التعليم على الأقل واحد أو اثنان . ، وأن وجود الطفل في عائلة كبيرة يؤدي به إلى استعمال ملابس إخوته الكبار على الدوام ، وأنهم يعيشون في منزل جدرانه ملوثة وقذرة ، ولا يأكلون سوى الخبز » والحبوب » « والمعكرونة » .

وفي الواقع أن هذه الشائعات صحيحة إلى حد ما ، وهذا لا يمنع أن عدداً كبيراً من العائلات الكبيرة العدد يعيشون في بحبوحة من العيش ، وأفضل حالاً من الأسر الصغيرة العدد ، وأنهم مهتمون بأولادهم ، قلقون عليهم ، غير أن هذا يكلفهم الكثير من الوقت والجهد والمال .

إن الدراسات الحديثة تثبت ، بشكل ما ، أن عدداً قليلاً من الأسر هي التي تخطط لكي تصبح أسرة كبيرة العدد ، ولكن الأمر في معظم الأحيان يسير حسب الأحوال ، وإن كانوا لا يألون جهداً في سبيل إسعاد صغارهم .

آباء وأمهـــات :

« سوزان » أم لثمانية أطفال وهي في السادسة والثلاثين من عمرها ، تعمل ممرضة بقسم العناية المركزة في مستشفى كبير . تقول : إنني أواجه مشكلة أطفالي بقدر كبير من المنطق والعقل وسرعة الحركة في مواجهة المشاكل والتحديات ، إنني أسعد دائماً لأنني أستطيع عمل أكثر من شيء في وقت واحد ، وتؤكد : « ... تنظيم الوقت مهم جداً لسير الحياة اليومية العادية ، ولكنني كثيراً ما أسامح نفسي إذا أهملت في إنجاز شيء لأطفالي » .

ولكن الأمر ليس بهذه السهولة دائماً ، فلقد أثبتت الدراسة أن ٩٦٪ من الآباء في الأسر الكبيرة العدد يشعرون في أيام عديدة أنهم سيتحولون ، في وقت ما ، إلى مجانين ، إنهم يصرخون في وجوه أطفالهم ، أو يغرقون أنفسهم في حمامات ساخنة ، أو يجلسون منفردين مدة ساعات وراء أبواب مغلقة .

وتقول أم لخمسة أطفال ، تصف نفسها : إنني عصبية وغيورة وعاطفية الى أبعد الحدود ، أما زوجي فهو الهادىء في العائلة ، إنه من الرجال الأذكياء ، يعرف كيف يقي نفسه من عذاب الأولاد ، إنه من ذلك النوع الذي يتفادى المشاكل ، على العكس مني ، فأنا أحب مواجهة التحديات والصعوبات ، أما هو فعندما تتأزم الأمور في المنزل ، بسبب الأولاد ، فانه ينسحب في هدوء ، ليخرج أو لينام ، ولأذهب أنا وأولادي إلى حيث نشاء .

الدراسة تقول : إن الآباء - عموماً - يتميزون بالهدوء والنظام والحزم ، ويعدون أنفسهم مسئولين تماماً عن الإنفاق على الأسرة ، إنهم يعملون ساعات إضافية خارج المنزل ، ولذلك فإنهم عندما يعودون يطلبون الهدوء والراحة من عناء العمل ، ولا شيء غير ذلك .

والحق أن الأسرة الصغيرة أيضاً لها مشاكل ، فإن « آن » مثلاً لديها طفلتان جميلتان ، وهي فخورة بذلك طبعاً ، لأنها تشعر أن لديها الوقت الكافي للعناية بالصغيرتين وبنفسها وبزوجها أيضاً ، ولكن - والكلام لأم الطفلتين - الصعوبة الحقيقية تكمن في كيفية تسلية إحدى الطفلتين أثناء غياب الأخرى .

وعلى الرغم من صحة المقولة التي تؤكد أن الصداقة بين الإخوة شيء له قيمة كبيرة ، فإن الوقت والمال يحسبان من الأشياء المهمة التي يجب وضعها في الحسبان دائماً ،



العائلة الكبيرة ، هل ولى عهدها ؟

فقد أكدت ٤٦٪ من الأسر الكبيرة العدد أن عليها أن تكافح المشاكل الصيحة لأطفالها . وقالت ٢٤٪ من الأسر بأن لديهم طفلاً مصاباً بتعثر واضح في التعليم . ونحو نصف هذه الأسر لديهم طفل أو أكثر مصاب بمشاكل نفسية وعصبية ، أما ٤٥٪ من الآباء فيؤكدون أن أحد أطفالهم يعاني من حساسية شديدة ، ويحتاج لمزيد من الحب والرعاية أكثر من الآخرين .

إن الصورة ليست بهذه القتامة دائماً ، ولكن هناك عدداً من الأسر الكبيرة العدد قد منحه الله طفلاً أو أكثر من الموهوبين في أي فرع من فروع العلم أو الفن .

الأطفال والمسؤولية :

والغريب في الأمر أن الأطفال الكبار في هذه الأسر يتحملون المسئولية في وقت مبكر جداً ، ربما أكثر مما تتحمله أعمارهم الصغيرة ، ذلك ما تقوله أم لسبعة : «ماذا أفعل ؟ إنني أفترض الصدق والأمانة والتصرف السليم من أولادي ، وأدعو الله أن يكون افتراضي صحيحاً ، بحيث لا أضطر لمراقبتهم في غدوهم ورواحهم ، لأنني لا أستطيع بأي حال من الأحوال أن أفعل ذلك مع سبعة أطفال » .

إن التفاعل بين أفراد الأسرة الواحدة لا بد أن يتم بدرجة ما ، فإذا كنت أباً لطفلين فإن هناك طريقاً واحداً فقط للتفاعل مع الطفلين ، وإيجاد وسيلة للتفاهم بينهما ، أما إذا كانوا ثلاثة أطفال فأكثر فإن هناك أكثر من طريق لإحداث هذا التفاعل . هكذا يرى أصحاب الأسر الكبيرة العدد ، أما الدراسة فترى أن إمكانية التعاون والمشاركة والعراك أيضاً فموجودة بدرجة كبيرة ، ولهذا فإن الأطفال في الأسرة الكبيرة العدد لهم سياسة خاصة بمشاعر الحب بينهم . وتظهر هذه المشاعر على هيئة تقارب بين طفلين بحكم السن أو الجنس أو الاشتراك في غرفة نوم واحدة ، أو بين طفل كبير يعد نفسه مسئولاً عن أخيه الأصغر . أياً كان الأمر فإنه من المحال أن يظهر الأطفال الحب بعضهم لبعض بشكل متكامل تماماً ، ولكن الآباء يستغلون فرصة التقارب هذه ، للاستفادة منها في تهيئة جو مناسب للمذاكرة أو اللعب أو الطعام أو النوم ، ومنهم من يستغلها بطريقة أكثر فاعلية ، عندما يكلف الأخ الأكبر بتوضيح بعض الدروس لأخيه الصغير . . وهكذا يفلت الآباء من هذه المسئولية .

والحق أن هناك نوعاً من المساعدات لا يستطيع الطفل الكبير أن يقوم بها ، وهذه حالة أم لخمسة أطفال ، كتبت تقول : إن صغيرتنا ولدت معاقة ، برأس صغير وحجم مخ غير طبيعي ، ونظرها ضعيف أيضاً ، وهي تبلغ من العمر ٢١ شهراً ، لذا تحتاج لمساعدة منتظمة ، وتحس بالراحة مع شقيقاتها الفتيات ، إنهن يقدمن لها كل مساعدة ممكنة ، ولكنني - وهذا هو المهم - أحس بالذنب لأنني أحملهن فوق طاقتهن بالنظر إلى أعمارهن الصغيرة .

وتبقى المقولة المهمة هي أن اختيار عدد من الأطفال الذين ستنجبهم الأسرة ، مهم جداً لكي تستطيع التعرف على أفضل الطرق لتنشئتها ، وامكانيات الوالدين النفسية على الأقل لرعاية الصغير ، لأن طفلاً قوياً ومتعلماً يضيف قوة وشموخاً لمجتمعنا الخلاق الذي يحتاج لأن نفكر مرتين ، كي نعرف ما هو العدد الذي نستطيع أن نرعاه نفسياً واجتماعياً وليس مادياً فقط ، دون أن نتعرض - نحن - لضغوط نفسية لم تكن في الحسبان . □



الشريك المخالف

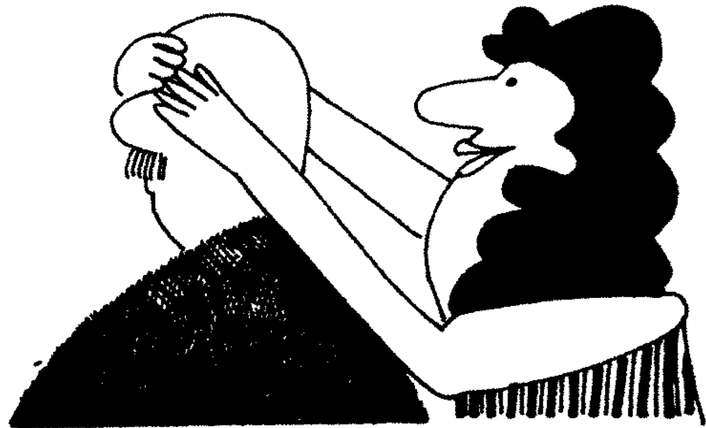
■ يقال : إن أيام الزواج الأولى هي التي تحدد مصيره ، فإذا تم اجتياز الأشهر الأولى للزواج بسلام فإنه سيصمد ويستمر . وإلا فالنهاية غير سعيدة لحدث يفترض أن يكون سعيدا .

ومنذ تزوجنا ، وأنا حريصة على عدم إثارة أي مشكلة مع زوجي ، خاصة أنني عرفت ما يغضبه ويزعجه ، كما عرف هو ما يثيرني ويكدرني قبل الزواج . ولكن يبدو أن وجهة النظر التي تقول : إن الخلافات جزء أساسي من الحياة الزوجية صحيحة تماما ، فقد ثارت بيننا مشاكل لم نتوقعها قط ، ولم يكن لنا أن نتوقعها لبساطتها ، وسخفها أحيانا ، فقد لاحظت اهتمام زوجي ببعض التفاصيل الصغيرة ، وإعطائها أهمية أكبر بكثير من حجمها الحقيقي ، فقد بدأ يوجه إليّ الانتقاد ، لأنني مثلا أتأخر في النوم أيام العطل ، على الرغم من أنه قد قرر البقاء في المنزل وعدم الخروج ليمارس « راحته التامة وحريته المطلقة » كما يقول .

ثم بدأ بافتعال مشكلات صغيرة أخرى على هذا النحو ، فإذا قلت له : إن الطقس اليوم جميل ومناسب للخروج إلى البحر قال : إن الشاطيء سيكون مزدحما بأناس من كل لون ونوع . وإذا اقترحت عليه الذهاب لتناول العشاء في أحد المطاعم قال : إنه لا يحب التجمعات الكبيرة والأماكن العامة ، بل يفضل عليها الجلوس مع عدد محدود من الأصدقاء ، وإن آثرت تجنب المشاكل وجلست أشاهد التلفاز قال : إنني أهمله وأعطى للتلفاز اهتماما أكبر . وإن تصفحت مجلة أو قرأت كتابا قال : إن هذا منزل وليس مكتبة عامة ، فدعينا نتحدث !

إنني أخشى التحدث مع أحد حول هذه المشاكل ، لأنني أعلم كم هي صغيرة وتافهة ، ولكنها على الرغم من صغرها تشيع في منزلنا الصغير توترا لا يهدأ إلا عند ذهابنا إلى العمل . وكل ما أرجوه هو أن تكون هذه الفترة مرحلة عابرة من حياتنا الزوجية التي كانت خاتمة قصة حب تحدت صعابا كبيرة .

..هي



اختلافات زوجية

كثيرا ما سمعت من أصدقائي الذين سبقوني للزواج أنه - أي الزواج - « حالة » جديرة بالبحث والدراسة والتأمل ، ولأنني لست دارسا أو باحثا ، فإنني أتوقف لأتأمل حياتي الزوجية التي بدأت أخيرا ، لعلي أخرج باستنتاج ما ، أو خلاصة معينة حول هذا الأمر أو ذاك من شؤون الحياة الزوجية ، يزيد خبرتي ويثري معرفتي .

وآخر ما وقفت لأتأمله ، تلك المشكلات الصغيرة التي لا ينتبه لها أحد ولا يكترث لها الأزواج ، وقد توصلت إلى ما يشبه اليقين بأن هذه المشكلات الصغيرة هي التي تحسم أمر الزواج نحو النجاح أو الفشل ، فزوجتي امرأة ناضجة مهذبة لبقة ، وأهم من هذا كله أننا تزوجنا بعد قصة حب طويلة . لكن هناك أشياء لا يمكنك اكتشافها في زوجتك إلا بعد الزواج . فأنا مثلا تعودت أن أستيقظ مبكرا لأبدأ يومي نشيطا ، وأنجز أكبر عدد ممكن من الأعمال ، أما زوجتي فإنها تفضل النوم حتى ساعة متأخرة ، مما يزعجني كثيرا . وأنا مثلا أحب أن أقضي وقتي بالحديث معها ومناقشتها ، وهي تفضل مشاهدة التلفاز بمسلسلاته السخيفة المملة . وهي تحب الخروج إلى شاطيء البحر أو إلى البر أو إلى أي مكان آخر ، فالمهم عندها هو الخروج من المنزل وكفى ، أما أنا فأحب أن أظل داخل منزلنا الهاديء الوادع ، حيث يمكنني الحصول على الراحة التامة والحرية المطلقة . هي تحب ارتياد الأماكن العامة والمنتزهات والحفلات التي تبدو لي صاخبة لا تحتمل . وأنا أفضل التجمعات الصغيرة ، حيث يمكن لكل الجالسين التعبير عن أنفسهم ، واستماع بعضهم الى بعض بوضوح ، مما يجعل الجلسة أكثر قربا وحميمية . وهكذا .

إن زواجنا ما زال في شهوره الأولى ، ونحن لما ننجب أطفالا بعد ، وأعترف بأنني لا أواجه مشكلات كبيرة ، وكثيرا ما أقنع نفسي بأنني سأعتاد على هذه الأمور في المستقبل عندما تواجهني المشكلات الحقيقية للحياة الزوجية ، وحينذاك ستسنح لي الفرصة لأكون حكيما بالفعل .

هو ..





طبيب الأسرة
قضايا منزلية

الطبيبُ مَريض

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

يؤكد رأي شائع أن أسوأ المرضى هم الأطباء ، في وقت تسود فيه قناعة متناقضة بين الناس بأن الأطباء لا يمرضون ، لهذا تملك الدهشة عامة الناس ويسودهم الاستغراب إذا ما علموا بمرض طبيب ، لأنهم يفترضون فيه العلم بخفايا الأمور وأسرار الصحة والمرض ، مما يستطيع معه الطبيب أن يتفادى كل علة ، وأن يتقي كل مرض ، متغافلين عن الحقيقة بأن بعض الأمراض لا حيلة لأحد في تفاديها ، بل ربما كانت طبيعة العمل في الحقل الطبي تجعل الطبيب أقرب إلى الإصابة بالمرض والعدوى ، بدليل أن المؤسسات والهيئات الطبية تعوض الأطباء عن خطر الإصابة ، بما يعرف اصطلاحا ببدل العدوى أو بدل طبيعة العمل ، بل إن بعض الولايات الامريكية قد ذهبت إلى سنّ القوانين التي تحكم هذه الظاهرة ، وتنظم قواعد التعامل فيما عرف عندهم بتشريعات الطبيب المريض .

كما قام المجلس الطبي في بريطانيا بوضع قواعد قانونية ، تحكم أسلوب التعامل مع الطبيب المريض ، مما لا نجده في أي مهنة أخرى .

كثير من الأطباء الذين مارسوا الطبابة سنوات عديدة أصبح عسيرا عليهم أن يتقمصوا شخصية المريض ، ويصعب عليهم الاعتراف بهزيمتهم أمام المرض ، قناعة منهم أن اعترافهم هذا يهز الثقة فيهم ، ويشكك في كفاءتهم العلمية ، لهذا نجدهم يكابرون ويجاهدون في إخفاء العوارض الأولى ، إلى أن يعجزوا عن الاحتمال ، ولكن بعد فوات الفرصة في الكشف المبكر ، وبعد أن يتمكن المرض منهم ويصبح علاجه عسيرا بعد أن يستفحل ويتفاقم .

وغالبا ما يلجأ بعض الأطباء في بادىء الأمر إلى تقمص شخصية مزدوجة ، هي شخصية الطبيب إلى جانب شخصية المريض ، ولهذا فإن الطبيب المريض عادة ما يفقد التسلسل المنطقي المتبع في التشخيص والعلاج على السواء ، فنرى الطبيب يقوم بعملية عد تنازلي مع نفسه ، بدلا من العد التصاعدي

للتشخيص ، بمعنى أن الطبيب يفترض في أسباب العلة التي أصابته أسوأ الاحتمالات ، بدلا من أن يبدأ بالأبسط ، وهو لهذا يتعاطى أقوى العقاقير وأشد الأدوية تأثيرا ، مما يعقد الأمر ، فطبيب ما ، قد يلاحظ عند السعال بصاقا فيه دم مثلا ، فيقفز إلى ذهنه احتمال الإصابة بسرطان الرئتين ، بينما الاحتمال الأولى أنه مجرد احتقان في الحلق .

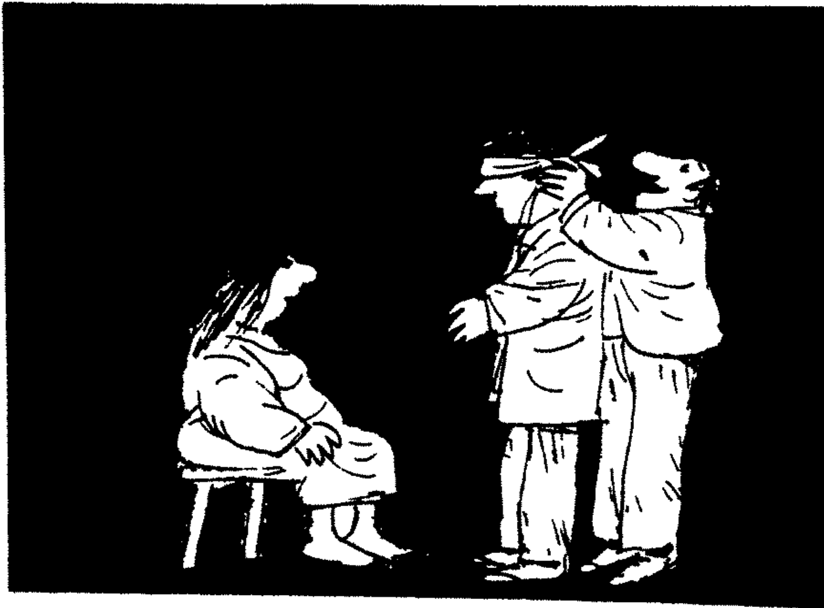
من هنا كانت التقاليد الطبية تقضي بعدم تولي الطبيب علاج نفسه أوعلاج أحد أفراد اسرته المقربين إليه ولكن الظاهرة السائدة هي ان يقصد الطبيب المريض - بعد أن يفشل في علاج نفسه ، ويضيع الفرصة الذهبية في تشخيص مبكر لمرضه ، وعلاج بسيط - إلى الاستعانة بطبيب صديق أو قريب ، وهو أمر يؤدي بالتالي إلى معاملة خاصة؛ لأنه مريض متميز ، يستأثر بعناية خاصة ، مما أدى إلى ظاهرة غريبة في عالم الطب ، أطلقوا عليها اسم « مرض التوصية » الذي يتميز بحدوث كثير من المضاعفات والإشكالات التي يخشاها - الطبيب المعالج على مريضه ، ويبررون هذا بزيادة الحرص الذي قد يدفع إلى نقيض ما نتطلع إليه ، وهو خطأ .

الإشعاع :

منذ أن ابتكر رونتجن أشعته السينية ، و الطب هو المجال الأرحب لاستعمالها في التشخيص ، غير أن أخطار هذه الأشعة على الكائن الحي لم تكن معروفة في أول عهدها ، فأسرف الأطباء في استعمالها دون حرص منهم على الوقاية ، فكان الثمن هو حياة الكثيرين ممن كانت هذه الأشعة مجال عملهم . وحتى عهد قريب كان تأثير هذه الأشعة المدمر على خلايا الدم والمتسبب في سقوط الشعر وسرطان الجلد أمراً شائعا مألوفا بين الأطباء ، ومن يعمل معهم في مجال الإشعاع ، غير أن هذا الأمر قد انحسر خطره مع إدراك مخاطر الاشعاع ، وابتكار أساليب الوقاية التي نجد من أبرزها حماية العاملين بعوازل من الرصاص ، وإلزامهم بحمل عدادات خاصة تقيس مدى تعرضهم للإشعاع ، حتى يمكن عزل من زادت نسبة تعرضه له ، وأصبح احتمال ضرره قائما ، في الوقت المناسب قبل استفحال الخطر .

أمراض القلب :

حتى عهد قريب كانت أمراض القلب التاجية شائعة بين جمهور الأطباء ، وتفوق في معدلاتها معدلات انتشارها بين عامة الناس . وربما كان التعليل المقبول لهذه الظاهرة هو انتشار عادة التدخين بين الأطباء ، قبل أن تعرف أخطاره



وأضراره على وجه التحديد ، حتى أن التدخين كان يبدو إحدى مقومات مظاهر الأطباء الشائعة ، وعادة مميزة من عاداتهم التي يتباهون بها .

طول العمر :

من المظاهر الساخرة التي سادت حتى عهد قريب أن يقدر معدل عمر الطبيب بحوالي ٥٧ عاما في المتوسط ، وهو الإنسان الذي يفترض فيه أن يدرك أسباب الصحة والمرض ، ويعمل من أجل الحياة ، بينما يصل متوسط عمر ضباط الجيش إلى ٧٥ عاماً ، وهم الذين نذروا أنفسهم للموت والتضحية . ولعل التعليل الذي ساقه بعض المختصين لهذه الظاهرة الغريبة هو أن الطبيب يقع تحت عبء الإجهاد الجسدي والتوتر النفسي ، فيما يقضي ضباط الجيش أيام العمر في ممارسة الرياضة البدنية ، وتوفر لهم إمكانيات الراحة الجسدية والنفسية دوما ، غير أن الحال في السنوات الأخيرة قد اختلف بالنسبة للأطباء ، حيث أصبح معدل العمر للطبيب أطول من معدل عمر الانسان العادي ، نظرا للإقلال من التدخين ، والحرص على تفادي الأسباب المدمرة الأخرى للصحة ، مثل الكوليسترول والدهنيات الأخرى وملح الطعام ، مما قلت معه احتمالات إصابة القلب أو ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين وما إلى ذلك من أمراض أخرى قاتلة .

الأمراض النفسية :

أكثر من دراسة جادة جرت في الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا لفهم الحالة النفسية للأطباء ، وماهية الأمراض العقلية الشائعة بينهم ، نظرا لخطورة معاناة الطبيب من مرض نفسي أو عصبي على أسرته من ناحية ، وعلى مرضاه من ناحية أخرى .

وقد أظهرت الدراسات الأخيرة أن معدلات الانتحار والإدمان بين الأطباء الأمريكيين والانجليز مرتفعة ، لدرجة تشكل ظاهرة خطيرة ، إذ قد تصل إلى ثلاثة أضعاف معدلاتها بين عامة الناس .

ولو تناولنا قضية الانتحار التي ترتفع معدلاتها بين الأطباء بصورة مثيرة للدهشة فإنها تؤكد سعة انتشار مرض الاكتئاب النفسي بين الأطباء.

الحياة الأسرية :

الصحة الاجتماعية دليلها الاستقرار الأسري للإنسان ، غير أنه من الملاحظ أن قضية الانتحار أو الشروع فيه أكثر احتمالا بين المطلقين من الأسرة الطبية ، بينما تتدنى النسبة بين المتزوجين الأسوياء السعداء في زواجهم ، المستقرين أسريًّا . وإذا كانت نسبة الانتحار بين المطلقين من عامة الناس تزيد بمعدل ثلاثة أضعاف معدلها عن أصحاب الأسر السوية السعيدة المستقرة ، فالأمر بين الأطباء يزيد ١٣ ضعفا ، ولعل تفسير هذه الظاهرة كما يرى علماء النفس هو :

١ ـ سهولة الحصول على العقاقير القاتلة بالنسبة للأطباء .

٢ ـ انتشار حالة الاكتئاب بين الأسرة الطبية .

٣ ـ تعامل الأطباء مع الصحة والمرض أزالت من نفوسهم مشاعر رهبة الموت ومواجهة قتل الذات .

والذي يشد الانتباه أن الطبيبات هن أكثر ميلا للانتحار من الأطباء الذكور ، بل الأغرب أن إحدى الدراسات قد أشارت إلى أن الطبيبات المتخصصات في الأمراض النفسية هن أكثر تلك الفئات انتحارا ، غير أن هذه الدعوى تحتاج إلى دراسة أشمل وأعمق لقبولها أو رفضها . لا غرابة إذن أن يقال : إن أسوأ المرضى هم الأطباء . □

اختيار

« كان علي أن أختار فاخترت » ، بهذه الجملة ذات الوقع الأليف والمعنى الملتبس أنهى صديقي حكاية فشله في زواجه ، وهو أمر كان متوقعا منذ البداية ، لكنه أصر على إتمامه إصرار طفل على اللعب بما يؤذيه .

كان مطالباً بأن يختار ، والاختيار حرية قبل أي شيء آخر ، وبكلمات أخرى ، كان صديقي مطالبا بأن يمارس حريته ، فأي جدل هذا الذي جعله مجبرا على ممارسة أمر يفترض أن يكون إراديا تماما . وواصل صديقي حديثه ، وكأنه ممثل على مسرح الحياة يلقي « مونولوجه » الأخير :

« دون اختيار نولد ، وتبسط أمامنا الحياة بعد ذلك ، بعدد لا ينتهي من الاختيارات : اختيار في الحب ، واختيار في اللعب ، واختيار في العمل ، واختيار في الصداقة ، واختيار في الاهتمامات ، واختيار في التوجهات ، اختيار فيما نقرأ وفيما لا نقرأ ، وفيما نشاهد أو لا نشاهد، وفيما نفعل أو لا نفعل ، وفيما نقول أو لا نقول . اختيارات لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة ، ولا تتوقف إلا بتوقفها

ولكن على الرغم من هذا الفضاء الفسيح من الاختيارات المتاحة ، فإنك لا تختار مستقبلك ، فالمستقبل هو الذي يختارك بقدر ما تختاره ، والحياة هي التي تأخذك في دوامة من الاختيارات : اختياراتك للآخرين واختيارات الآخرين لك فعبر هذه الفرص المتاحة يقع عليك الاختيار بقدر ما يكون عليك أن تختار .

الاختيار حرية ، لكنها ليست حرية مطلقة ، بل حرية بها شبهة القيد . والاختيار حق ، لكنه الحق المشروط بحقوق الآخرين التي لا تنتهي ، والاختيار امتياز بشري خالص ، غير أنه في الوقت نفسه فتح لباب الحياة على حيرة تتجدد بتجدد الاختيارات ، وتتعدد بتعددها ، تستمر طالما استمرت الحياة

الاختيار فرصة تمنحها الحياة لنا لاتخاذ القرار الصائب ، لكننا نكتشف أن القرار الصائب ليس هو بالضرورة القرار المناسب ، وإن القرار المناسب ليس هو بالضرورة المتوافر ، وإن توافر فانه ليس بالضرورة اختياراً مشروعا ، فينفتح باب الاحتمالات على مصراعيه نحو عبث الحياة التي تطلقك بقدر ما تقيدك ، وتوفر لك من الفرص بقدر ما تعيقك عن اغتنامها ، وتتيح لك من المتع بقدر ما تحرمك منها .

إنه وهم كبير ، يقدم لنا على شكل حقيقة شبه مطلقة ، سراب يتراءى لنا في محطات الحياة المصيرية العديدة ، وما علينا سوى الاختيار »

استمعت إلى صديقي حتى النهاية ، لم أناقش حديثه الذي لم أتفق معه كله ولم أرفضه كله ، واكتفيت بالصمت « الصاخب » الذي اشتعل بداخلي . كم هو صعب ورهيب أن تكون حرا ؟ ! .

صلاح حزين

بقلم : الدكتور حسن عباس

مترادفات أسلوبية

اشتهرت مدينة همذان في تاريخ الثقافة والفكر العربيين بأسماء عدد من الأعلام ، منهم من ولد فيها واتخذها دار إقامة ، ومنهم من توسد ثراها ولم يكن من أبنائها . أما الأعلام ممن ولدوا فيها ففي مقدمتهم بديع الزمان الهمداني الذي توفي في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، وكان شاعرا أديبا من أئمة الكتّاب ، وقد اشتهر بكتابيه « الرسائل » و « المقامات » . وأما من توفوا فيها ولم يكونوا من أبنائها ففي مقدمتهم ابن سينا أبو علي الفيلسوف الطبيب ذو الشهرة الواسعة .

على أن هناك كاتبا وشاعرا من همذان أيضا ، لم يترك من المصنفات إلا القليل ، ولكنها ـ على قلتها ـ كثيرة النفع عظيمة الفائدة ، أفضلها كتاب « الألفاظ الكتابية » . وهذا الكاتب الشاعر هو عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني الذي توفي في القرن العاشر الميلادي . وفي هذا الكتاب عكف الهمذاني على ألفاظ كان يتداولها كتاب الرسائل والدواوين ، فعمد إلى المترادفات منها أو المتشابهات في المعنى ، وتتبع استعمالاتها ودورانها في لغة أولئك الكتّاب وأساليبهم ، وجمع أعدادا كثيرة منها ، وصنفها في أبواب بحسب المعنى . وفي ذلك يقول : « فجمعت في كتابي هذا لجميع الطبقات أجناسا من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس .. المحمولة على الاستعارة والتلويح ، على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة ، دون مذاهب المتشدقين والمتفاصحين . . . ملتقطة من كتب الرسائل وأفواه الرجال . . . ومتخيرة من بطون الدفاتر ومصنفات العلماء ، فليست لفظة منها إلا وهي تنوب عن أختها في وضعها من المكاتبة ، أو تقوم مقامها في المحاورة إما بمشاكلة أو بمجانسة أو بمجاورة . فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التي توضع فيها كانت له مادة قوية وعونا وظهيرا » .

ومن أمثلة ما تخيره الهمذاني في كتابه من الألفاظ والعبارات المترادفة ما جاء بمعنى اصلاح الفاسد ، تقول : لمَّ فلان الشعث ، وضمَّ النَّشر ، ورمَّ الرث ، وسدَّ الثغر ، ورقع الخرق ، ورتق الفتق ، وأصلح الفاسد ، وأصلح الخلل ، وجمع الشتات ، وجبر الوهن . وكل هذه العبارات تدور حول معنى الجمع بعد التفريق والإصلاح بعد الخلل . فإذا صلح الفاسد قلت استقام المائل ، وانشعب الصدع ، وانجبر الوهي ، وانحسم الداء ، وارتتق

الفتق ، واعتدل الميل ، واندمل الكلْم .

وفي باب اللوم ترد ألفاظ وعبارات يشيع استعمالها بين الأدباء والكتاب ، لم ينل منها الزمن ، ولم يفسدها طول العهد . تقول : لمت الرجل لوما ، وعذلته عذلا ، وأنَّبته تأنيبا ، وقرَّعته تقريعا ، ووبخته توبيخا ، وبكَّته تبكيتا ، ولحيته لحيا ، وعنفته تعنيفا . فهي المعاتبة ، ثم اللوم ، ثم التقريع ، ثم التوبيخ ، ثم التأنيب .

ومن ضروب اللوم أيضا قولهم : استذم الرجل ، واستلامَ وألامَ إذا فعل فعلا يلام عليه فهو مليم ، وما زلت أتجرع فيك الملائم . ويقال : لام فلان غير مليم ، وذم غير ذميم ، وأنحى فلان على فلان باللائمة ، وأحال عليه بالتعنيف .

ومن العبارات الشائعة في باب التوبة قولهم : تاب الرجل من ذنبه ، وأناب ينيب إنابة ، وأفاء يفيء فيأ وفيئة . ويقال : غسل إساءته ، ومحا ذنبه ، وأعتب يعتب إعتابا ، والاسم العتبى وهي المراجعة ، وأقلع عنه إقلاعا ، ونزع عنه نزوعا . ويقال أعتب الرجل إذا تاب . ويقال استفاق استفاقة ، وارعوى ارعواء ، وانتهى انتهاء ، وارتدع ارتداعا ، وقد أقصر الرجل إقصارا . ويقال : أقصرت عن الشيء إذا نزعت عنه ، وقصرت عنه إذا عجزت عنه قصورا ، وقصرت فيه إذا فرطت فيه . ويقال إذا رجع عن توبته : ارتد ، وانتكث ، ونكص على عقبيه ، وارتكس .

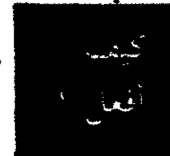
وفي باب التمادي في الضلال تقول : تمادى الرجل في غيّه ، وأوضع في جهله (والإيضاع : السير الشديد) ، وتتابع في عمايته ، وتاه في ضلالته ، ولجَّ في غلوائه ، وسدر في غيه ، ومضى في عمايته ، وتردّى في جهالته ، وجمح في غوايته ، وأمعن في إساءته ، وضرب في عشوائه .

وفي باب العفو تقول : عفوت عن فلان ، وصفحت عنه ، وتجاوزت عن ذنبه ، وأغضيت عنه جفني . ويقال : تغاضيت عنه ، أي تغافلت عنه ، وأقلت عثرته ، وأنهضته من كبوته ، وأنهضته من ورطته ، وكظمت غيظي ، وأبقيت عليه ، وأغضيت منه على قذى . ومن قول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : « فكم أغضي الجفون على القذى ، وأسحب ذيلي على الأذى ، وأقول : لعل وعسى » .

ويقال في باب الزلة والخطأ : كان ذلك من فلان زلة ، وهفوة ، وعثرة ، وسقطة ، وفلته ، وكبوة ونبوة . ومن الأمثال في هذا : لكل جواد كبوة ، ولكل صارم نبوة ، ولكل عالم هفوة .

ويقال في باب الغيظ : غضب الرجل غضبا ، واغتاظ اغتياظا ، وتضرم تضرما ، واحتدم احتداما ، واستشاط استشاطة ، وامتعض امتعاضا . وتقول : ضمد فلان على فلان ، وحرِد وعبِد ، وقد فار فائره ، وهاج هائجه ، ووجدته مغيظا ، و مُحنقا ، ومُحفظا .

وخلاصة القول أن طول عمر اللغة العربية ، وكثرة التابعين ممن أودعوها أسرار فصاحتهم ، ونبوغ قرائحهم ، قد أغناها ، ووسع مجالات التعبير فيها ، بحيث يمكن إيصال المعنى الواحد بوسائل مختلفة ، وأساليب متنوعة ، فاللفظ زينة المعنى ، والمعنى عماد اللفظ . □



المؤلف : لقد اكتشفت لأول مرة بعد عشر سنوات من التأليف أنني لا أصلح للتأليف إطلاقا .
الصديق : وهل تنوي اعتزال التأليف ؟
المؤلف : كيف أفعل ، وقد صرت شهيرا كما ترى ؟!

بعض محاسن «اليتيمة»

لقد سميت هذه القصيدة «اليتيمة» لأن قائلها مجهول . وقد وردت أربع روايات للقصيدة ، تبدأ كلها برواية القاضي أبي القاسم التنوخي ، وتنتهي بالشاعر المجهول ، إلا واحدة منها ذكرت أن القصيدة ربما كانت من نظم دوقلة المنبجي . ولم تزد على ذلك .

وهناك من الرواة من يدعي أنها من « غُفل » شعر ذي الرمة ، الشاعر الأموي المشهور . أما ناشر القصيدة المعاصر ، وهو الدكتور صلاح الدين المنجد ، فيعقب على ملاحظات الرواة بقوله : « .. أما دوقلة فلم تذكره الكتب والمصادر مطلقا . وقد وجدنا أن اسمه في سند ابن خير الحسين بن محمد المنبجي ، ولقبه دوقلة . وزعم عيسى اسكندر المعلوف أن اسمه دوقلة العبد ، وأنه أخذ ذلك من مخطوطة المكتبة الظاهرية ، وليس في مخطوطة الظاهرية هذا الاسم.»

من هذه الروايات ، ومن غيرها ، يتضح الخلط والاضطراب في نسبة القصيدة ، مما يرجح إبقاءها « يتيمة » ، ليس لأنها تسببت في مقتل ناظمها كما ذهبت إحدى الروايات فحسب ، بل لأن القطع في نسبتها إلى شاعر بعينه أمر متعذر .

وكما اختلف الرواة في نسبتها الى شاعر معين ، اختلفوا أيضا في القصة التي نسجت حولها . على أن هناك قصتين متداولتين لايتسع المقام لذكر أكثر من واحدة منهما : وهي رواية جرجي زيدان في مجلة الهلال ، وقد نشرها في مطلع هذا القرن : « ذكروا .. أن فتاة من بنات أمير من أمراء نجد ، بارعة الجمال ، اسمها دعد ، كانت شاعرة بليغة ، وفيها أنفة ، فخطبها الى أبيها جماعة كبيرة من كبار الأمراء ، وهي تأبى الزواج إلا برجل أشعر منها ، فاستحث الشعراء قرائحهم ، ونظموا القصائد ، فلم يعجبها شيء مما نظموه . . . وكان في تهامة شاعر بليغ ، حدثته نفسه أن ينظم قصيدة ، (ويذهب بها الى نجد) فالتقى في طريقه بشاعر (آخر) ، فلما اجتمعا باح التهامي لصاحبه بغرضه ، وقرأ له قصيدته ، فرأى أن قصيدة التهامي أعلى طبقة من قصيدته ، وأنه إذا جاء بها الى دعد أجابته الى خطبتها . فوسوس له الشيطان أن يقتل صاحبه ، وينتحل قصيدته ، فقتله ، وحمل القصيدة حتى أتى نجداً، ونزل على ذلك الأمير ، وأخبره بما حمله على المجيء . فدعا الأمير ابنته ، فجلسته بحيث تسمع وترى . وأخذ الشاعر ينشد القصيدة ، فأدركت دعد من

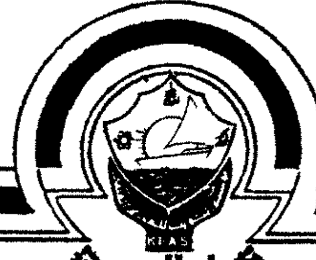
لهجته أنه ليس تهاميا ، ولكنها سمعت أثناء إنشاده أبياتا تدل على أن ناظمها من تهامة ، فعلمت بنباهتها أن الرجل قتل صاحب القصيدة ، وانتحل قصيدته ، فصاحت بأبيها « اقتلوا هذا ، فإنه قاتل بعلي » ، فقبضوا عليه واستنطقوه فاعترف .

والقصيدة مكونة من ٦١ بيتا ، وقد يزيد هذا العدد أو يقل تبعا للمخطوطة التي ننظر فيها ، وهي في أربع مخطوطات .

تبدأ القصيدة بالوقوف على الأطلال ، ثم يلي ذلك وصف دعد وصفا حسيا جميلا ، يليه غزل رقيق ، ينم عن مشاعر فياضة ، وتختتم بأبيات في الحكمة ورفعة النفس . وقد اخترنا بعض أبيات الوصف :

لَهفي علی دَعْدٍ وما حفَلت
إلّا بحَرِّ تَلَهُّفي دَعْدُ
بيضاءُ قد لبس الأديمُ أديم
الحُسْنِ فهو لجلدها جِلْدُ «١»
ويزينُ فوديها إذا حسَرت
ضافي الغدائرِ فاحِمٌ جَعْدُ «٢»
فالوجْهُ مثلَ الصبح مبيضٌّ
والفَرْعُ مثلَ الليل مسوَدُّ «٣»
ضِدّان لّما استجمَعا حَسُنا
والضدُّ يُظهِرُ حُسْنَهُ الضِدُّ
وجَبينُها صَلْتٌ وحاجِبُها
شَخْتُ المَخَطِّ أزَجُّ مُمتَدُّ «٤»
وكأنّها وَسْنَى إذا نظَرَتْ
أو مُدْنَفٌ لّما يُفِق بَعْدُ «٥»
بفُتُورِ عَينٍ ما بها رَمَدُ
وبها تُداوى الأعْيُنُ الرُّمْدُ
وتُريكَ عِرْنينًا به شَمَمٌ
وتُريك خدًّا لونُه الوَرْدُ «٦»
وتجيلُ مِسْوَاكَ الأرَاكِ على
رَتِلٍ كأنَّ رُضابه الشُّهْدُ «٧»
والجِيدُ منها جيدُ جازئةٍ
تعطو إذا ما طالها المَرْدُ «٨»
وكأنما سُقيتْ ترائبُها
والنحر ماء الحسنِ إذْ تبدو «٩»
وامتدّ من أعضادِها قَصَبٌ
فَعْمٌ زهتْهُ مرافقٌ دُرْدٌ «١٠»
ولها بَنَانٌ لو أردْتَ له
عَقْداً بكفّكَ أمْكَنَ العَقْدُ «١١»
والمِعْصمان فما يُرى لهما
من نَعْمةٍ وبَضاضةٍ زَنْدُ
والبطْنُ مطويٌّ كما طُوِيَتْ
بيضُ الرِّيَاطِ يصونُها المُلْدُ «١٢»
وبخصرِها هَيَفٌ يُزيِّنُه
فإذا تَنُوءُ يكادُ ينقدُّ «١٣»
وَمَشَتْ على قَدَمَيْنِ خُصِّرتَا
وأُلينَتَا ، فتكَامَلَ القَدُّ

«١» الأديم : الجلد . أي أن جلدها لبس جلدا آخر من الحسن .
«٢» الفودان : مثنى فود ، وهو معظم الشعر مما يلي كل أذن «٣» الفرع : الشعر «٤» صلت : واسع واضح . الشخت : الدقيق . الأزجّ : الدقيق الطويل «٥» مدنف : المريض و قد ثقل مرضه «٦» العرنين من كل شيء أوله ، وعرنين الأنف أوله ، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين ، والشمم : الارتفاع «٧» الأراك : جمع أراكة ، شجر يستاك بأعواده له نكهة طيبة . والرتل : الثغر الذي فيه أسنان حسنة التنسيق ، كثيرة البياض «٨» الجازئة : الظبية ، تعطو : ترفع رأسها ، المرد : شجر الأراك . «٩» الترائب : موضع القلادة . والنحر : أعلى الصدر «١٠» الفعم : الممتلىء . الدرد : أي ليس بها نتوء عظم . «١١» بنان : الأصابع ، مفردها بنانة . «١٢» الرياط : الثياب اللينة الرقيقة . الملد : الشباب الناعم . «١٣» الهيف : دقة الخصر . تنوء : تنهض . ينقد : ينقطع . يقول : إن خصرها يكاد ينقطع لعظم أردافها ورقته .



بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

دعوة للترشيح لجائزة الكويت لعام ١٩٨٩

تمشياً مع أهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحقيقا لأغراضها في تدعيم الانتاج العلمي وتشجيع العلماء والباحثين ، تقوم المؤسسة بتخصيص جوائز في مجالات العُلوم والآداب والفنون والتراث وذلك وفق برامجها السنوية . وتسجل المؤسسة من خلال هذه الجوائز اعترافها بالانجازات الفكرية المتميّزة التي تخدم التقدم العلمي وتساعد على النهوض بالمجهودات المبذولة لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين :

ومواضيعات جائزة الكويت لعام ١٩٨٩ في المجالات الخمسة هي كما يأتي :

١ - العلوم الأساسية : علم الوراثة .
Genetics

٢ - العُلوم التطبيقية : الهندسة الصناعية .
Industrial Engineering

٣ - العلوم الاقتصادية والاجتماعية : دور المرأة في التنمية في الوطن العربي .
The Role of Woman in Development in the Arab World

٤ - الفنون والآداب : النقد الأدبي .
Literary Criticism

٥ - التراث العلمي العرّبي والإسلامي : البيطرة وعلم الحيوان في التراث العربي .
Veterinary and Zoology in Arab Heritage

وتخصص المؤسسة سنويا في كل مجال من المجالات المذكورة جائزتين مقدار كل منهما (١٠,٠٠٠ د . ك) عشرة آلاف دينار كويتي . جائزة لواحد (أو أكثر) من أبناء دولة الكويت وأخرى لواحد (أو أكثر) من أبناء البلاد العربية الأخرى . كما تقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية درع المؤسسة وشهادة تقديرية تبين مميزات الانتاج بصورة مختصَرة .

ويتم منح جائزة الكويت وفق الشروط الآتية :

١ - يجب أن يكون الانتاج مبتكرا وذا أهمية بالغة بالنسبة الى الحقل المقدم فيه ومنشورا خلال السنوات العشر الماضية.
٢ - ألا يكون المرشح قد نال جائزة ، عن الإنتاج المقدم ، من أية جهة أخرى .
٣ - تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيئات العلمية كما يحق للأفراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها . ولا تقبل ترشيحات الهيئات السياسية .
٤ - يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشّح ونبذةً مختصرة عن حياته وانتاجه ومبررات ترشيحه لنيل الجائزة .
٥ - لا يعاد الانتاج المُقدّم الى مرسله سواء فاز المرشحُ أو لم يفز .
٦ - لا تقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز .
٧ - على الفائز أن يقدم محاضرة عن الانتاج الذي نال الجائزة بسببه .
٨ - تقبل الترشيحات ابتداء من ١٩٨٩/٤/١ ولغاية ١٩٨٩/١٠/٣١ مشفوعة بأربع نسخ من الانتاج المقدم .

ترسل الترشيحات ، والاستفسارات بشأن الجائزة ، على العنوان الآتي :

السيد مُدير عَـام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

ص . ب : ٢٤٥٢٦٣ الكويت . الصفاة 13113 ـ تلفون : ٢٤٢٥٨٩٨

ـ فاكس : ٢٤١٥٣٦٥ (٩٦٥) ـ تلكس : ٤٤١٦٠ كيفاس

نظرات نقدية في صناعة المعجم العربي

بقلم : الدكتور حامد صادق قنيبي *

المعجم كتاب يجمع بين دفتيه ألفاظ اللغة ، مفرداتها وتراكيبها والمعالم الحضارية فيها ، بغية شرحها وإيضاحها ، شريطة أن يرتب ترتيبا معينا . فما الجديد الذي جاء به هذا المقال ؟ .

صناعة المعجم تقوم على دعامتين أساسيتين هما : التعريف والتصنيف ، وهما متلازمتان ، تؤثر الواحدة في الأخرى . والمعجم الأوربي على الرغم من حداثته النسبية لم يحد عن الترتيب « الالفبائي » النطقي المطلق . وذلك لأن شخصية اللغات الأوربية تتسم بالإلصاق والنحت ، والألفاظ فيها وحدات مستقلة ، كل لفظ فيها يشكل مدخلا مستقلا .

أما المعجم العربي ، وهو العريق في أسبقيته لكثير من معاجم اللغات الأخرى ، فإن الترتيب فيه وإن تعددت مدارسه إنما يقوم على أساس من أن شخصية اللغة العربية تتسم بالاشتقاق والقياس ، وأن اللفظة فيها جزء من بناء متكامل ، وبينها وبين الأصل وشائج وعرى لا تنفصم .

الترتيب الصوتي

أما تعدد منهجيات ترتيب المداخل فيه فقد كان استجابة لتحقيق غايات معينة ، لم تخل بالجوهر الأساسي لطبيعة اللغة الاشتقاقية ، وإنما كانت خدمة تعليمية لمستعملي المعجم .
فالترتيب الصوتي التقليبي نبع أصلا من رغبة الخليل بن أحمد الفراهيدي في جمع اللغة

* أستاذ اللغة والأدب بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران ـ المملكة العربية السعودية .

وتدوينها ، درءا لطروء ظاهرة اللحن ، وتأكيدا على تعزيز صلة الأصوات العربية بتلاوة القرآن الكريم . وحقا لقد استحق الخليل بن أحمد الفراهيدي ريادة المعجم العربي ، لأنه استطاع بنظرية ترتيب الحروف ترتيبا صوتيا ، وتقليب جذور اللغة موضعيا ، أن يستدعي ألفاظ العربية ، ويؤكد ثبات أصوات حروفها . ثم توالت مدارس المعجم العربي ، وإن ظلت عالة عليه إلا أن كلا منها حاول أن يضيف جديدا .

فمدرسة القافية ، ورائدها أبو نصر اسماعيل الجوهري (من علماء القرن الرابع للهجرة) ، هدفت إلى تزويد المتأدبين والشعراء بالقوافي والأسجاع ، ولم تخرج عن الترتيب الأصولي الاشتقاقي إلا عند اعتماد أواخر الأصول محورا لترتيب المداخل ترتيبا ألفبائيا حقليا .

أما مدرسة الترتيب الالفبائي الأصولي (حسب أوائل اللفظ العربي) ورائدها محمود بن عمر جار الله الزمخشري ، فلقد سهلت على الدارسين استخدام المعجم ، وسلكت ألفاظ اللغة في عقد منتظم الحلقات ، أساسه الأسر اللفظية التي تتجمع حول أصل اشتقاقي واحد .

ثم إننا قد نرى مدارس أخرى تجمع بين أكثر من منهجية ، ولكل فيما يرى مذهب .

مشكلة الألفاظ الدخيلة

لقد حظيت مدرسة الترتيب الالفبائي (حسب أوائل الأصول) بالنصيب الأوفر من اهتمام المعجميين ، حتى أن الاتجاه الحديث اتجه لإعادة ترتيب المدارس الأخرى على طريقة (المصباح المنير وأساس البلاغة) . ولكن ما زالت الألفاظ المعربة والدخيلة مشكلة يتصدى المعجميون لحلها ، ذلك أن إدخالها متن اللغة ، واختلاطها بالأصول الاشتقاقية ، مدعاة للبلبلة والاضطراب . يقول الطاهر الزاوي في مقدمة (ترتيب القاموس المحيط ص ٤ : « ولطلاب العلم عذرهم في الانصراف عن مراجعته - قاموس الفيروز أبادي - إذ كيف يعلم طالب العلم أن يوسف في (أ س ف) ، وفيروز أباد في (ف ر ز) » .

وإذا نظرنا إلى الألفاظ المعربة التي دخلت متن اللغة العربية وجدنا اضطراب مداخلها واختلاف نظام ترتيبها في المعجم ، بسبب محاولة إلحاقها بالأبنية العربية وتطورها الدلالي . أضف إلى ذلك عدم الاتفاق على نطق موحد لها ، وهو ما اصطلحوا على تسميته بتعدد اللغات ، قال الجواليقي : « وكذلك تجد العرب إذا وقع إليهم ما لم يكن من كلامهم تكلموا به بألفاظ مختلفة » .

نماذج من المعرب

عند مطالعتنا - مثلا - للفظ (الأطربون) نرى تعدد لغاتها ، واختلاف المعاجم في إدراجها ، ولولا اعتمادنا على معجم (المساعد) لما استطعنا أن نقف على مفارقات وضعها في المصادر العربية ، لأن تجريدها يفضي حتما إلى تعدد احتمالات العثور عليها ، فهي في (التاج) في مادة (طـ ر ب ن) ، وفي (التهذيب) في مادة (ذ م ر) ، وفي غيرهما في مادة (طـ ر ب) .

وتحت مادة (ب ر س) نجد في (اللسان) لفظ (النبراس) ، على اعتبار النون زائدة ، كما نجد (البرنساء) ، على اعتبار النون زائدة ، وليس هناك رابط معنوي بين (النبراس والبرنساء والبرس) ، فالأول للمصباح ، والثاني لابن الإنسان . يقول محقق المعرب للجواليقي ص ٣٨٨ في (النبراس) : « لم يذكر أحد غيره - الجواليقي - أنه معرب ، وقد ذكره ابن دريد في (باب ما جاء على فعلال ونفعال) في الجمهرة (٣٨٦/٣) . وذكره (اللسان) في فصل النون ، وأشار إلى أنه ثلاثي ، وذكره قبل في فصل الباء ، وقال : (قال ابن سيده : وإنما

قضينا بزيادة النون ، لأن بعضهم ذهب إلى أن اشتقاقه من البرسن الذي هو القطن ، إذ الفتيلة في الأغلب إنما تكون من قطن) . وذكره الأزهري في الرباعي ، قال : (ويقال للسنان نبراس ، وجمعه النبارس) . و (الآجر) : الطوب المشوي ، فيه لغات ، قال صاحب المقرب ص ٦٩ : « وفيه لغات : آجُرٌّ ، بالتشديد . وآجُرٌ ، بالتخفيف . وآجُورٌ ويَاجُورٌ ، وآجُرُون وآجِرُون . وقد ذُكِرَ في اللسان في مادة (أ ج ر) » .

و (الإسفنط) : الخمر المعتقة . فيه سبع لغات (المعرب للجواليقي ص ٦٦) ، وذكر في أكثر من مادة : ففي (اللسان) ذكر في خمس مواد : (أصفد . أصفط . أسفط . أصفِعِند . سفط) . والمعروف أن (اللسان) ناقل عمن سبقه . وفي (تاج العروس) ذكر في مادتين : (سفط وصفط) .

و (جبريل) ، قال الجواليقي في المعرب (ص ١٦١) : إن فيه سبع لغات . وقد ذكره صاحب اللسان في ثلاث مواد : (جبر . جبرل . جبرن) ، وقال في (البحر المحيط) ٣١٧/١ : « وقد تصرفت فيه العرب على عادتها في تغيير الأسماء الأعجمية ، حتى بلغت فيه إلى ثلاث عشرة لغة » .

أمثلة أخرى

ومثل هذا كثير في المعربات والدخيل . وانظر - إذا شئت مزيدا - مداخل ولغات الطائفة التالية من الألفاظ : المنجنيق . رستاق. الطيلسان . العربون . الفالوذج . ابراهيم . بالإضافة إلى ما ورد عند ذكر معانيها من مفارقات .

وعلى أي حال ، فلقد انتهى مجمع اللغة العربية بالقاهرة من انتهاج المزاوجة بين النظام الالفبائي الأصولي (بحسب أوائل الألفاظ) ، والنظام الالفبائي النطقي المطلق ، لحل مشكلة إدراج الكلمات المعربة والدخيلة ، وهي في ازدياد كما أوضحنا ، فاعتبر كلمات : اسبرين . وتلفون . ونيوترون . ونيون . وأمثالها ، كل حروفها أصولا ، ونجدها بحسب ترتيب حروفها لا تحت جذر معين . وقريب من هذا النهج صنع العلايلي معجم (المرجع) . □

حلم:

● دخل أبو دلامة على الخليفة المنصور ذات يوم فأنشده:

إني رأيتك في المنا م وأنت تعطيني خيارة

مملوءة دراهما وعليك تأويل العبارة



فقال المنصور: «امض فأتني بخيارة أملؤها لك دراهم ودنانير» .

فغاب قليلا، وعاد يحمل قرعة كبيرة، فقال المنصور:

- ما هذا؟

- عفوك يا مولاي، لقد حلمت بالقرعة، ولكني نسيت، فلما رأيتها في السوق تذكرتها.

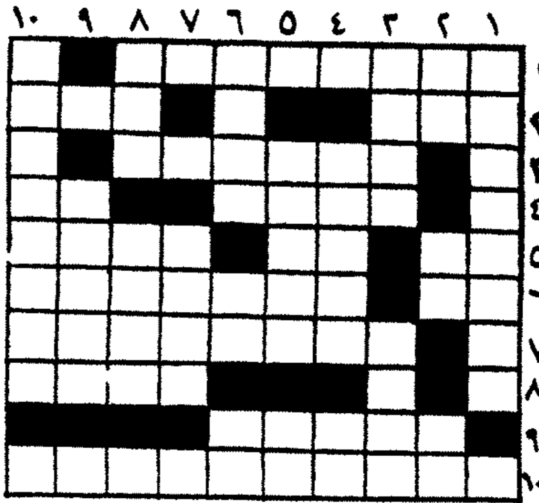
فضحك المنصور وأجازه.



الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .



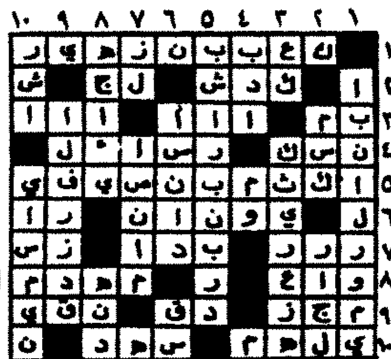
كلمات أفقية :

١ ـ فيلسوف ومؤرخ عربي يعد مؤسس علم الاجتماع .
٢ ـ يتمدّد دون أن ينقطع ، تيس جبلي له قرنان معقوفان .
٣ ـ مزمار في صيغة الجمع .
٤ ـ يكرم الضيف معكوسة ، جواب .
٥ ـ اترك ، تجدها في يباب ، يعيش زمناً طويلاً .
٦ ـ مودّة ، جغرافي ورحالة عربي ولد في القدس .
٧ ـ شاعر أندلسي رقيق العاطفة ، دقيق الوصف ، طريف التشابيه .
٨ ـ من أنبياء الله .
٩ ـ من سور القرآن الكريم .
١٠ ـ الاسم الأول لفيلسوف الهند طاغور .

كلمات عمودية :

١ ـ اسم لشاعر كتب قصيدة من ٦٠ ألف بيت تعرف بالشاهنامة .
٢ ـ فاقَ وتميَّز ، حَسَب ، حرفان متشابهان .
٣ ـ متصل بالنجوم ، أمتن وأقوى .
٤ ـ موسيقي أندلسي أخذ الغناء عن اسحق الموصلي ، حرف جر .
٥ ـ جثن أو اثنين ، اشتد في العداوة .
٦ ـ يسيل دماً ، صفرة البيض ، برد شديد .
٧ ـ يقضي على ثورة أو تمرّد .
٨ ـ ضياء ، رقميّ .
٩ ـ اسم لفرعون شهير .
١٠ ـ جغرافي عربي كبير وصاحب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » .

● حل مسابقة العدد الماضي يوليو ١٩٨٩م .



	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١		ك	ع	ب	ب	ن	ز	هـ	ي	ر
٢	ا		ث	د	ش		ل	ج		ش
٣	ب	م		ا	ا	ا		ا	ا	ا
٤	ن	س	ك		ر	س	ا	ء	ل	
٥	ا	ك	ث	م	ب	ن	ص	ي	ف	ي
٦	ل		ي	و	ن	ا	ن		ر	ا
٧	ر	ر	ر		ب	د	ا		ز	س
٨	و	ا	ع		ر		م	هـ	د	م
٩	م	ج	ز		د	ق		ن	ق	ي
١٠	ي	ل	هـ	م		س	هـ	د		ن




Nadia Hijab

Womanpower

The Arab debate on women at work

تأليف : نادية حجاب

عرض وتحليل : الدكتور ابراهيم أبو زيد

وجهة نظر جديدة حول أوضاع المرأة العاملة في الوطن العربي ، أهم ما يميزها أنها شاملة وغير تقليدية ، وتطرح من الأسئلة حول المرأة العاملة [illegible] [illegible]



كتاب الشهر

إن أي تحليل علمي و « أكاديمي » للمسألة النسائية في العالم بشكل عام ، وفي المجتمع العربي بشكل خاص ، يتطلب بحثا تفصيليا في الدور الاجتماعي والوظيفي للمرأة ، وموقف الدين من المرأة ، والصلة بين المرأة والتغيرات الاجتماعية ، وعلاقة المرأة مع تطوير المجتمع وتحديثه .

وفي عصرنا هذا أخذ موضوع المرأة حيزا كبيرا من المناقشات ، لم تكن تطرح من قبل ، فهناك مثلا في العالم الغربي نقاش مستمر حول مهمات المرأة الاجتماعية ، ودورها السياسي والاقتصادي ، وحقها بالانتخاب . هذه المناقشات سمحت للمؤسسات « الأكاديمية » ، وبخاصة الجامعات في العالم الغربي ، باتخاذ الجنس (gender) مقياساً « أكاديمياً » في الدراسات الإنسانية والاجتماعية ، مما أدى إلى ازدياد نسبة الطالبات في الجامعة .

إن أحد أهم العوامل التي أثرت - وما زالت تؤثر - على حاضر المرأة في أي مجتمع بما في ذلك المجتمعات « الاشتراكية » هو عامل الدين . إن كل الأديان العالمية ، بداية بالهندوسية والبوذية ونهاية باليهودية والمسيحية والاسلام ، اتخذت مواقف نظرية محددة من المرأة ، وقد أثرت هذه المواقف الدينية تأثيرا جذريا على مسألة « تحرير المرأة » في المجتمعات الحديثة ، وفي كثير من الأحيان فإن نقاش هذه المسألة لم يخرج عن حيز النقاش حول الدين وفلسفته وتأثيراته الاجتماعية والسياسية .

وفي هذا المجال فإن أي حركة نسائية عربية - باعتقادي - يجب أن تخضع الدين كنظرية وكفلسفة حياة لمقاييس المناقشات العلمية والعقلية الدائرة في المجتمع العربي حول المرأة ، وكذلك يجب النظر بجدية نحو الفلسفة الدينية ومدى تأثيرها على النساء في المجتمع .

النساء والتغير الاجتماعي

إن موضوع النساء والتغير الاجتماعي يتساوى في أهميته مع موضوع الدين والنساء ، فالتحولات الاجتماعية السريعة في كل المجتمعات الحديثة جرت على حساب النساء أكثر من الرجال . وحتى في مجتمع متقدم علميا وصناعيا كالمجتمع الامريكي مثلا ما زالت هناك الكثير من العوائق العملية التي تمنع المساواة الاجتماعية والعلمية بين المرأة والرجل ، فالرجال عادة يتخذون القرارات المهمة في معظم مجالات الحياة . وهذا بالتالي يؤدي إلى خلق فروق اجتماعية بين الرجل والمرأة . إن هذه الفروقات بدأت بالواقع مع حلول الثورة الصناعية في أوربا في القرنين السابع والثامن عشر ، وتشغيل النساء والأطفال في المصانع . هذا الاستغلال العملي للنساء خلال الثورة الصناعية انتقل أيضا لاستغلال نساء العالم الثالث مع التوسع الاقتصادي والعسكري للغرب خارج أوربا بعد القرن الثامن عشر . وكما نرى فإن النساء والأطفال مازالوا يشغلون مركزا اقتصاديا مهما في كثير من بلدان العالم الثالث ، وبخاصة الفقيرة منها . ولكن مع أهمية هذا المركز فإنه يعد متدنياً مقابل مركز الرجال الاقتصادي .

إن السؤال المطروح هنا هو أنه إذا كانت المرأة ، وبخاصة في العالم الثالث ، في علاقة تبعية مع الرجل ، والقرارات السياسية

والاجتماعية العليا في المجتمع في يده فيا هو دورها في تطوير مجتمعها وتحديثه ؟

هذا هو السؤال الذي تحاول الكاتبة نادية حجاب الإجابة عنه . تناقش المؤلفة العديد من القضايا المعاصرة التي تخص المرأة ، وهذه القضايا يمكن تلخيصها كالتالي :

أولا : دور المرأة الاجتماعي .

ثانيا : موقف الدين ـ أي الاسلام ـ في هذه الحالة من المرأة .

ثالثا : علاقة المرأة مع التغير الاجتماعي .

رابعا : المرأة والتحديث .

تبدأ نادية حجاب كتابها باقتباس عن المحامية الكويتية بدرية العوضي التي تقول : إن المشكلة الرئيسية للنساء في الوطن العربي هي أنهن لا يعرفن حقوقهن القانونية ، والسبب الرئيسي لهذا الجهل هو أن النساء لم يشتركن في العملية القانونية أو في سن تشريعات . بعد ذلك تنتقل الكاتبة للحديث عن المرأة في الوطن العربي في السبعينيات من هذا القرن .

استعراض تاريخي

تؤرخ الكاتبة للمسألة النسائية في الوطن العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل الثمانينيات من هذا القرن . في تحليلها لهذه المسألة تتبع الكاتبة القواعد النظرية التقليدية التي طرحها البرت حوراني في كتابه « الفكر العربي في عصر النهضة » ، فتتحدث عن موقف كل من الأفغاني ، ومحمد عبده ، والطهطاوي ، وقاسم أمين ، تجاه المرأة . والكاتبة تعتقد ، كما يعتقد حوراني ، أن هذه الشخصيات عكست فكرا « ليبراليا » في العصر الحديث ، وأكدت على أهمية تثقيف المرأة كعنصر إنساني فعال في المجتمع . وفي هذا الإطار لا تذكر أهمية مفكرين عرب آخرين ، طرحوا في كتاباتهم الصراعات العقلية والعملية التي مر بها المجتمع العربي (وبخاصة المصري) في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، كالشيخ حسن العطار ، والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي ، واللذين تنبع أهميتهما من الاحتكاك المباشر مع الأفكار الغربية ، ونقاش هذه الأفكار من وجهة نظر تشريعية وتاريخية . ولا شك أن هذين المؤلفين طرحا الأسس النظرية للفكر العربي الحديث ، بما يتعلق بالشريعة ، وبالقانون الوضعي والعلم والفلسفة الغربيين . في هذا السياق نرى أن ما تسميه الكاتبة « الامبريالية الثقافية » في الوطن العربي ، في النصف الأول من هذا القرن ، ما هو إلا صورة أخرى للسيطرة السياسية والاقتصادية للعالم الغربي على الوطن العربي . إن الاستعمار قد شجع الأقليات في الوطن العربي على إشغال مراكز إدارية وتعليمية مهمة في الوسط العربي . إلى جانب ذلك فإن الاستعمار شجع النساء الأجنبيات على الانخراط في الحياة الثقافية ، وهذا أدى إلى خلق فجوات بين النساء العربيات ، والنساء الأجنبيات ، في الوطن العربي .

بعد انتهاء الاستعمار ، تقول الكاتبة : إن الفكر القومي العربي حاول حل إشكالية المرأة في المجتمع العربي ، ولكن الفكر القومي جوبه بمقاومة اجتماعية وفكرية من أفكار السلفيين الإسلاميين . تذكر الكاتبة في هذا المجال أن الحركة الإسلامية جربت إعطاء صبغة جديدة لهوية المرأة وعلاقتها مع الرجل ، وذلك بالاعتماد على مفاهيم إسلامية ، وبحسب رأي الكاتبة فإن الحركة الإسلامية شجعت المرأة بلباسها الإسلامي على الانخراط في سلك التعليم والعمل خارج المنزل . فالمرأة حسب هذا المفهوم تستطيع أن تصبح معلمة أو صحافية أو مهندسة دون أن تخسر هويتها كامرأة مسلمة .

والفلسفة الإسلامية النظرية ترتكز على أهمية الإنسان (الرجل والمرأة) في النظرة الإلهية للكون . وترى الكاتبة أن الحركات الإسلامية



كتاب الشهر

المعاصرة حاولت أن تعيد صورة الإنسان كما يصورها القرآن إلى مركز فكرها الاجتماعي وحركتها السياسية . وبالتالي فإن المرأة مساوية للرجل في صفاتها الإنسانية ، وإن كان يجب عليها أن تتبع الرجل في الميادين السياسية والاجتماعية . إلى جانب ذلك فإن الحركة الإسلامية اتخذت الحجاب سلاحاً لمقاومة الغرب ، وبخاصة ضد الاستعمار الثقافي الغربي ونتائجه السلبية بالنسبة للعائلة والمرأة المسلمة . فالكاتبة تقتبس كلمات امرأة مسلمة من مصر بقولها : إن الغرب عرف كيف يسيطر علينا ، وذلك بالقضاء على ثقافتنا الإسلامية عن طريق اختراق العالم الإسلامي بواسطة التقنية والبضائع الغربية . مما أدى إلى الاعتماد السياسي والاقتصادي على الغرب ، وفقدان الهوية الثقافية العربية عن طريق تطبيق أساليب مشوهة من نظرية التحديث . فالعالم الغربي في هذا المجال يريد من الانسان العربي أن يكون دائما في حاجة ثقافية وفكرية له . ولا شك أن الوطنيين الإسلاميين في الوطن العربي يتفقون على ضرورة المواجهة الثقافية والفكرية للغرب ، مما يضعهم على قدم المساواة في تحقيق الاستقلالية للشخصية العربية والإسلامية ، وفي ضرورة اتخاذ منهج فكري معين لتحقيق هذه الاستقلالية .

كما رأينا سابقا فإن النقاش حول المرأة العربية ليس نقاشا عن دورها في المجتمع فقط ، وإنما نقاش عن دور الإسلام أيضا . وفي هذا المجال تذكر الكاتبة أنه من الصعوبة بمكان أن ينتقل هذا النقاش حول المرأة خارج إطار الإسلام على الرغم من أن النظم السياسية الحاكمة في الوطن العربي قادرة بتفكيرها على أن تخرج عن إطار الإسلام . ولكن يجب علينا ان ننتبه إلى أن النقاش حول المرأة في الوطن العربي بشكل عام مرتبط بمسألة التحرر الوطني إلى جانب ارتباطه بالإسلام . وهذا يحتم على أبناء المجتمع العربي أن ينظروا بجدية إلى علاقة الدين بالمجتمع ، وعلاقة الدين بالمرأة . فأي عملية تطويرية في المجتمع العربي لن تنجح ـ كما تقول الكاتبة ـ إذا لم يأخذ المعنيون بأمور التطوير في الوطن العربي بعين الحسبان الدور الحيوي والفعال الذي يجب أن تشغله النساء في هذا المجال .

المرأة العربية والعمل

ما هو الدور العملي للنساء في الوطن العربي ؟ وما هي العلاقة بين الرجل والمرأة في ميدان العمل ؟ تبدأ الكاتبة نقاش هذا الموضوع المهم بقولها : إن استيعاب المرأة في عملية تطوير المجتمع الشاملة تعد من أهم الخطوات لتحرير المرأة . ولكن من المشاكل الرئيسية أن هناك قليلاً من النقاش الجدي والعام حول عملية التطوير في الوطن العربي . فمن التناقضات الرئيسية أن ميدان العمل ، وبخاصة في مصر والسودان والأردن ، لا يستطيع استيعاب الرجال للعمل ، مما يحجم دور المرأة في العملية التطويرية .

وتحذر الكاتبة من أن عملية التحديث على النمط الغربي لا تعني في كثير من الحالات تقدم المرأة في ميدان العمل ، فالتحديث قد يؤدي إلى خفض ـ وليس إلى إعلاء ـ مركز المرأة ، خاصة في المناطق الفلاحية ، حيث تشغل المرأة مركزا

عمليا مميزا عن الرجل . وبالاعتماد على هذا المفهوم فإن العملية التطويرية ، اقتصاديا واجتماعيا ، في الوطن العربي ، يجب أن تعتمد على خطة اجتماعية واعية ، بمقدورها تطوير الامكانية الانتاجية المحلية التي يمكن أن تؤدي نهائيا إلى دفع المعدل العام للدخل القومي .

بالاضافة إلى ذلك يجب تطوير علاقات إنتاجية جديدة على مستوى الثقافة المدرسية والجامعية . وبرأيي أن أي تقدم في وضع المرأة في المجتمع يجب أن يركز أكثر على القدرات الإنسانية ، وليس على التصنيع في المجتمع فقط .

وتذكر الكاتبة أن من أهم العوائق أمام التطوير الإنساني والاقتصادي في الوطن العربي هجرة الأدمغة ، فحسب الكثير من الاحصائيات ، وبخاصة التي قام بها الدكتور انطوان زحلان ، فإن نسبة هجرة الأطباء والعلماء والمهندسين من الوطن العربي إلى أوربا الغربية وشمال أمريكا تساوي ٥٠٪ في حالة الأطباء ، و ٢٣٪ في حالة المهندسين ، و ٥١٪ في حالة العلماء (حسب إحصائيات ١٩٧٦) . ولا شك أن هذه النسب عالية جدا ، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن العائلة والمجتمع والدولة يصرفون الكثير من الجهد والمال لتعليم أبنائهم ، وبخاصة في المجالات الحيوية التي لها علاقة بالعملية التطويرية .

بعد شرح العملية الانتاجية وموقف المرأة منها تنتقل الكاتبة إلى الحديث عن هجرة العمالة في الوطن العربي نفسه ، خاصة إلى أقطار الخليج العربي ، وتأثير هذه الهجرة الداخلية على النساء . إن هجرة العمال (الرجال خاصة) للتفتيش عن مصادر رزق جديدة ، أدت إلى ارتفاع نسبة عمل النساء في السودان مثلا . فالكاتبة تشير إلى أن نسبة ازدياد عمل النساء في السودان في سنة ١٩٨٣ كانت ٢٣٪ ، ولكن الكثير من النساء شغلن مراكز غير مهنية ، خاصة في المصانع ، وبعضهن اشتركن بالعملية التربوية ، مما أدى إلى احتكاك أكثر بين المرأة والمجتمع .

ومع هجرة الأزواج للتفتيش عن الرزق بدأ كثير من النساء يلعبن دورا جديدا في المجتمع ، خاصة بإدارة شؤون العائلة المختلفة . إن بروز دور المرأة يرجع إلى تنامي قوة مركزها المالي ، والكثير منهن - حسب رأي الكاتبة - يشجع هجرة الأزواج للبحث عن العمل ، لأن هذا يضمن لهن الاستقلالية المالية ، وحق الشخصية ، لبُعد أزواجهن عنهن ، وحسب رأي الكاتبة فإن ظاهرة هجرة الأزواج أدت إلى نتيجتين متشابكتين في حياة النساء العربيات : النتيجة الأولى رفع مستوى المرأة المالي والاجتماعي ، والنتيجة الثانية اشتراك المرأة في اتخاذ القرارات بالنسبة لحياتها وحياة أولادها ، خاصة أن الرجل في المهجر بحاجة إلى استشارة زوجية في الكثير من القرارات والخطوات التي لها علاقة بحياته وحياة العائلة بشكل عام . □

من وصايا لقمان لابنه :



حدثنا أدب التاريخ الواثق، قال: إن من وصايا لقمان لابنه:

- احفظ قلبك في الصلاة، واحفظ نظرك في بيوت الناس، واحفظ لسانك في مجلس الناس، واحفظ بطنك من حلقومك، واذكر اثنين، وانس اثنين: اذكر الله والموت، وانس إحسانك إلى من أساء إليك!



من المكتبة العربية

ما مشكلة طفلي ؟

تأليف : ملتون براتن ، وسيليفيا أو. ريتشاردسون ، وتشارلز مانغل

عرض : د . عادل عبدالكريم ياسين

لا يعد كل من يرتبك من الأطفال أو يعجز عن أداء حركة ما ، أو يعجز عن التعبير عن نفسه بوضوح متخلفا ، فقد يكون عادي الذكاء ، لكنه « عاجز عن التعلم » . فما الفرق بين التخلف والعجز عن التعلم ؟ الكتاب الذي نعرض له فيما يلي محاولة للإجابة عن هذا السؤال .

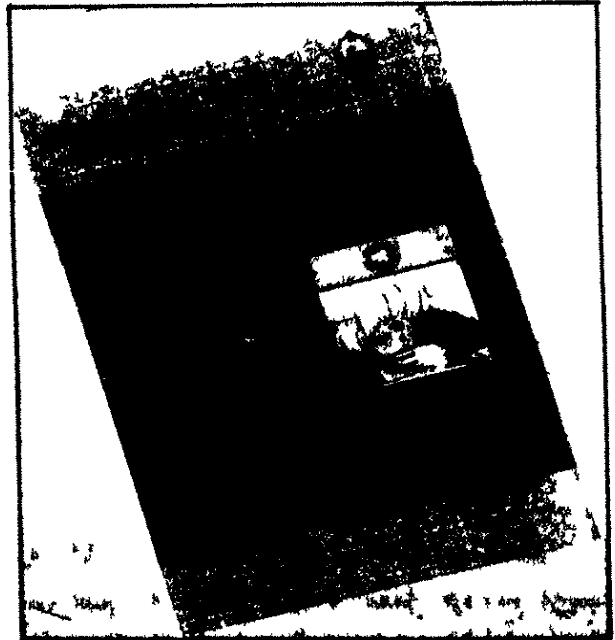
يقع كثير من الآباء في الارتباك والحيرة حين يلحظون عدم قدرة صغيرهم على إمساك الأشياء بكلتا يديه ، أو يلحظون إفراطا في حركته واندفاعه ، كما يواجه المعلمون صعوبات في تدريس بعض الطلبة ، ممن يثيرون الشغب في حجرة الدراسة ، أو يقومون بمضايقة زملائهم ، أو يهملون في أداء واجباتهم ، أو يكرهون المدرسة والدروس . وتشير الدراسات إلى وجود ارتباط بين هذه المظاهر السلوكية والاضطراب في الوظيفة العقلية أو الإدراك ، كما تشير إلى معالجة كثير منها إذا تيسر تشخيصها في مرحلة مبكرة .

وقد يوصف هؤلاء ـ خطأ ـ أنهم متخلفون عقليا ، وقد يكون بينهم مثل تلك الحالات ، غير أن الدراسات الحديثة الجادة ترى أن تصف ـ ضمن معايير معينة ـ هؤلاء « بالعجز عن التعلم » ، فالطفل المتخلف عقليا يكون محدود الفهم والقدرة على التعلم ، أما الطفل « العاجز

● ترجم الكتاب الى العربية د . لطفي محمد الأسدي .

عن التعلم » فإنه طفل مختلف ، إذ لا يقل ذكاؤه عن المتوسط ، وتكون لمثل هذا الطفل قدرة حبيسة ، تتحول الى طاقة إيجابية إذا أحسن التعامل معها ، أو قد تتفجر عن سلوك طائش ، إذا لم نتفهمها . ويشير الكتاب إلى أن حوالي ١٠٪ من أطفال العالم يعانون من هذه المشكلة ، كما أن تشخيص المعلم المبكر لهذه الحالة قد يساعد على تقديم العون المناسب في مجابهة جوانب العجز .

ألف هذا الكتاب ثلاثة من العلماء البارزين في علم النفس التربوي ، تقصوا فيه أشكال العجز عن التعلم ، وسبل البحث عن العون . وقد حظي الكتاب بشهادات تقدير عديدة ، من جهات تهتم بهذا المجال . تقول « مجلة الطفل غير العادي » : « إن من بين جميع الكتب التي صدرت على مر السنين في التربية الخاصة ، هناك ثلاثة أو أربعة فقط تستحق القراءة والاقتناء ، وهذا الكتاب واحد منها » . ويقول قسم الطب النفسي للأطفال في جامعة هارفارد : « طلع علينا كتاب عملي ، يزخر بالمعلومات ، متين الأسلوب ، يخاطب آباء


● غلاف الكتاب

الأطفال المصابين بالعجز عن التعلم وأمهاتهم . ويطيب لنا أن نزكيه باعتباره دليلا ممتازا في متاهة هذه الآراء المتصارعة في مجال العجز عن التعلم » .

ولقد أحسن « مركز تقويم وتعليم الطفل » في الكويت في اختياره وتقديمه ، كما أحسنت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في نشره ، إذ أنه يضيف إلى الحقل العام ، والحقل التربوي على وجه خاص ، معلومات قيمة ، لا تنحصر فائدتها في حقل العجز الخاص عن التعلم ، بل إنها تتيح فهما أفضل للعقل ، وكيفية عمله ، وهذا الفهم يتيح إمكانية وضع استراتيجيات للتعليم على نحو أوفى . ويشتمل الكتاب على عشرة فصول تقع في ٢٢٤ صفحة .

أذكياء ولكن أغبياء

هذا هو عنوان الفصل الأول الذي يناقش الأحكام غير الدقيقة التي تصدر عن العديد من الأطفال ، بسبب من التصنيف غير الدقيق لحالاتهم ، إذ قد يوصفون بالاضطراب الانفعالي ، أو بالتخلف العقلي ، دون أن يكونوا كذلك فعلا . وتتجسد المأساة في تحويل هؤلاء إلى مؤسسات خاصة ، لا ينبغي أن يكونوا فيها إن وخاصة العجز عن التعلم ، لا تؤثر في الذكاء ، بل تؤثر في مناطق محددة تختص بالتعلم والسلوك بما يتعذر على بعضهم تعلم القراءة أو الكتابة أو التهجي أو الحساب ، على الرغم من قدراته في نواح أخرى . وهذا الطفل المتسم بالذكاء يدرك إخفاقه وعجزه عن مجاراة الآخرين بما يعجز عن إدراك كنهه ، ومن ثم ينعكس هذا كله على سلوكه ، ليبدو مشاغبا أو منعزلا . ويعقد الكتاب مقارنة بين الطفل المتخلف عقليا والطفل الذي يعاني من عجز عن التعلم ، إذ كثيرا ما يصنف العاجز عن التعلم كمتخلف عقليا ، فتخسر المجتمعات بعض الذين يتمتعون بذكاء عالٍ بسبب هذا الفهم

القاصر (ولولا حسن الحظ لجاء تصنيف اينشتاين واديسون في قائمة المتخلفين عقليا بسبب حالة العجز عن التعلم التي صاحبتهما) .

إن علة « العجز عن التعلم » ما تزال مجهولة ، ولم يحسم العلم أمره فيها حتى الآن ، ويبحث الكتاب بعد ذلك في كيفية تمييز الأطفال المصابين بالعجز عن التعلم ، وكيفية تهيئة مصادر التشخيص والمعالجة ، للمساعدة على إعدادهم لممارسة حياة الكبار بنجاح .

أربع حكايات

يورد الفصل الثاني حكايات أربعة أطفال ، تثير الأسى واللوعة . فالطفل « بوبي » بدا متقد الذهن ، لكنه تجاوز بسوء سلوكه حدود الصبر لدى أبويه ومعلمته ، مما دفع أمه إلى التفكير بقتله مع أخويه ، والانتحار تخلصا من الضغط الذي عانته بسببه ، غير أن أملا جاء عن طريق طبيب نفسي ، اكتشف حالته وهو في العاشرة ، حيث حوله إلى مدرسة خاصة ، أنشئت لمعالجة المصابين بالعجز عن التعلم . فلم يكن الطفل متخلفا عقليا كما صدر الحكم عليه قبل اكتشاف حالته ، بل استطاع أن يتعلم ، وأن يضبط سلوكه كالأسوياء من أقرانه ، ووصل بعد سنوات ثلاث من الجد إلى مستواه الطبيعي ، وتخرج في المدرسة الثانوية ، ثم التحق بمعهد لدراسة علم المحاسبة .

ويعالج الفصل الثالث العجز عن التعلم إذ لا تتشابه أعراضه لدى مختلف الأفراد الذين يعانون منه .

فالطفلة (ريبكا) تعاني من صعوبة في القراءة ، لأنها لا تميز الاختلاف بين حروف الهجاء . والطفل (ميلت) يجيد القراءة ، غير أنه لم يستطع أن يتعلم عملية الطرح ، إذ لا يستوعب مفهوم اختلاف قيمة العدد عن غيره ، علما بأنه في العاشرة من عمره . ويعاني الطفل (تيم) صعوبة في استعمال المقص في الروضة ، قد يكون تحكمه العضلي قابلا للتحسن بما يتيح له تعلم الكتابة .

وتتبين مجموعة الأعراض الرئيسية في النقاط الآتية :

١ - الانتباه ومستويات النشاط : يكون الطفل مفرط النشاط ، دائب الحركة ، أو يبدو سمجا غليظا ، ويسرع لاستطلاع كل حركة غريبة بما يبدد انتباهه .

٢ - الحركة ونمو الادراك : يكون الطفل أخرق في تصرفاته ، فقد يرتطم بالأشياء ، ويتعثر بالسجادة ، وإناء الحليب ، وقد يجد صعوبة في استعمال أقلام التلوين أو في الكتابة ، أو في تزرير ملابسه . وقد يعاني من مشكلات إدراكية بصرية أو سمعية . ويضطرب الإدراك عند بعض الأطفال بالنسبة للاتجاهات : فوق ، تحت ، يمين ، يسار ، أمام ، خلف .

٣ - اللغة ونمو الفكر : تترافق اللغة والفكر ، ولا بد لهما أن ينموا معا عند الطفل العادي ، لكن هذا الترافق يختل لدى الأطفال الذين يعانون من العجز عن التعلم ، بسبب معاناتهم مشكلات إدراكية سمعية . ويبرز لديهم اضطراب في النطق . وينتقل الأمر إلى التجريد الذي يحتاج إلى ارتباط المفردة بالمفهوم ، وبالتالي القدرة على الاستنتاج والاستدلال .

٤ - النمو الانفعالي والاجتماعي : لا يمكننا حصر أنواع المشكلات الانفعالية وتباينها . ويتعرض الطفل العاجز عن التعلم عادة إلى تحديات تفوق قدراته ، فهو قد لا يحسن الجري أو الإمساك بالكرة ، أو فهم موضوع اللعبة ، فينكشف عجزه أمام أقرانه ، ونتيجة لذلك قد تتحطم « الأنا الداخلية » للطفل فيصبح فريسة للتوتر . ومن ثم قد يحاول تغطية عجزه بالصخب أو الجدل العقيم ، مما يتسبب في عدم

توافقه مع المجتمع ، فضلا عن اضطراباته النفسية .

دور الاختصاصي النفسي

يعرض الفصل السادس دور الاختصاصي النفسي الذي يقوّم القدرة العقلية للطفل العاجز عن التعلم ، عن طريق اختبارات مقننة ، متعددة الجوانب ، لفظية وغير لفظية . كما يبحث وجود المشكلات الانفعالية والاجتماعية وطبيعتها ، ويرشد الأبوين والمعلمات لاتخاذ ما يرونه صالحا لتحسين وضعه . وثمة مختصون آخرون يسعون لتقويم مدى تقدمه ، ولتعديل خطط علاجه ، ويكون هؤلاء مختصين في التربية الخاصة ، وهم الاختصاصي النفسي ، واختصاصي السمع ، (ليس في الأذن) ، والأخير يستخدم أجهزة متقدمة لمعرفة كيف تكون الترجمة الداخلية للسمع لدى الطفل .

ينتقل الكتاب في الفصل السابع إلى دور المدرسة في إعداد الطفل لمرحلة الرشاد وتنظيم تحصيله ، إذ قد لا تكون صفوف المدرسة النظامية مكانا مناسبا لعلاج الحالة . ولعل في تطبيق نظام المعلمة المتنقلة ، واستخدام غرفة المصادر ، فائدة لعلاج حالات العجز الطفيف عن التعلم . وخير ما نجده تلك النصائح التي تقدمها الدكتورة ايليس تومسون لمعلمة مثل ذلك الطفل ، إذ تقول : « جربوا الإصرار ، جربوا الاستقلال ، وجربوا تصميم مستوى الصعوبة حسب الطفل ، جربوا أي شيء ، عدا الازدراء والتوبيخ » . كما أنها تستصرخ المعلمين والمعلمات قائلة : « حسنوا التعليم يتحسن بذلك السلوك والتعلم » .

ويبحث الكتاب مرحلة « المراهقة » التي تشمل الفترة الحرجة (١٣ ـ ١٩ سنة) ، حيث تصاحبها تغيرات حيوية ، وضغوط داخلية ، تقود إلى الحيرة والاضطراب إزاء الدوافع والقوى الطائشة التي تتدفق داخل المراهقين . وإذ تتسلط هذه على المراهق العاجز عن التعلم ، فإنه يجد صعوبة أكبر مما يجده المراهقون العاديون في التعامل فيها . فهو يلاقي صعوبة في التكيف مع أقرانه ، فلا بد من وضع برامج اجتماعية ، تخرجه من قوقعته الداخلية ، ليستطيع التعامل مع أقرانه في السن ، ومن الملاحظ أن هؤلاء قد يبدعون في عمليات « ميكانيكية » أو « الكترونية » بشكل غير عادي ، كما يمكنهم تشغيل « أي شيء » دون أن يكونوا قادرين على الإفصاح عن مبادىء تشغيله .

ولكن هل هناك صلة بين العجز عن التعلم وجنوح الأحداث ؟

هذا هو ما يعالجه الفصل العاشر ـ الأخير ـ إذ يعتقد المؤلفون بوجود هذه العلاقة دون سند علمي ، غير أنهم يدعون لاستقراء بعض إشاراتها ، فثمة طفل يعجز عن ضبط نفسه ، وآخر يحاول استخدام سكينه ضد من وصفه « بالتخلف » . والطفل الجانح يكون قد أخفق على الأغلب في القراءة ، فلا يفهم بالتالي الكثير من المدلولات مما يعرضه إلى مردودات سلبية .

فالمدارس تفرز إلى الشوارع هذا النوع من المخفقين الذين يكونون ضحايا بأشكال مختلفة ، لعدم النضج بما قد يقودهم إلى الجنوح . ويؤكد المؤلفون ضرورة رعاية الأم الحامل من الناحيتين الغذائية والطبية ، ورعاية جميع المواليد حتى نهاية السنة الأولى من أعمارهم ، حيث أن هذا يؤدي إلى تخفيض نسبة ما يعرف بمرض الدماغ ـ الذي قد يتسبب في العجز ـ إلى العشر . وهم يدعون إلى مساعدة الأطفال بتقصي أسباب الجنوح ، لضمان أن يعيشوا بهدوء وسلام ، من خلال فهم الأسباب التي تقودهم إلى الجنوح . وبذلك يمكننا أن نجعلهم مواطنين منتجين . □

مكتبة العربي

مختـــارات



اسم الكتاب : السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث
المؤلف : الشيخ محمد الغزالي
الناشر : دار الشروق
عدد الصفحات : ١٦٠ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩م

يتناول الكاتب في هذا الكتاب رؤية الاسلام السمحة لكثير من القضايا والمسائل الخلافية التي شاع الحديث حولها ممن لايستندون على قاعدة علمية ، ولا قدرة فقهية ، فكثر الخلط والخطأ . ويذكر الكاتب بأن كتابه لإجلاء التشويه عن صورة الاسلام ، التشويه الذي يلصقه به أنصاف أو أعشار المتعلمين الذين يتصدرون القافلة ويثيرون الفتن بدل إطفائها . ويعرض الكاتب لنماذج من سوء الاجتهاد وضيق الأفق ، في قضايا مثل الغناء وعمل المرأة وبعض العادات ، والقدر والجبر . ويطرح آراء مستندة الى دليل يوضح فيها خطأ معظم ما يذهب اليه البعض في تحريم كثير مما حلل الله ، ومما تقبل به سماحة الاسلام .

□□□

اسم الكتاب : من الأنين إلى الثورة
اسم المؤلف : د . عبد العزيز المقالح
الناشر : دار العودة بيروت
عدد الصفحات : ٢٢٦ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨م

إعادة قراءة لأحداث تاريخية مرت في تاريخ اليمن العريق ، وهي أحداث يرى المؤلف أن الوقوف عندها وقراءتها يثريان الحاضر ، وينيران علاقاته . وحاول المؤلف في كتابه الاقتراب من الأحداث التاريخية بقدر من الحياد الموضوعي ، ويؤكد المؤلف أن الشعوب كالأفراد ، عليهم أن يستوعبوا حركة التاريخ دون أن يقعوا أسرى له مهما كان تاريخهم يحفل بفترات متوهجة أو منطفئة ، وإلا وقع الجميع أفرادا وشعوبا أسرى خاضعين للزمن مستسلمين للتاريخ .

□□□

اسم الكتاب : العرب والعلم والثقافة
اسم المؤلف : انطوان زحلان
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية
عدد الصفحات : ١٢٨ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٨م

إضاءة جديدة من سلسلة دراسات مركز دراسات الوحدة العربية ، يقدم فيها المؤلف جهدا علميا لتوضيح العلاقة بين العلم والتقنية وحركة الشعوب ومستقبلها ، وفي الوقت نفسه يقدم عرضا علميا لموقفنا في الوطن العربي من قضية العلم والتقنية والتحدي الذي يواجهنا .

وقد بدأ العلم والتقنية منذ أوائل القرن التاسع عشر في تغيير أنماط الإنتاج والعلاقات الدولية والقوى والبنى الاجتماعية ، وهذا التغيير المتسارع في العالم كله لابد له أن يلقي بآثاره على كل الأقطار ، ولايستطيع قطر ما ، أن ينعزل عن هذه الآثار ، ولا أن يتجنبها ، ومن هذا المفهوم العلمي الشامل ، يحاول المؤلف أن يضع التحديات العلمية والتقنية التي تواجه الوطن العربي في إطارها الاقتصادي والسياسي المناسب .

اسم الكتاب : المكتبة العربية تاريخها ـ تراثها ـ حاضرها .
اسم المؤلف : د . يوسف نوفل
الناشر : دار الغد ـ القاهرة
عدد الصفحات : ٣٧٣ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٨م

دراسات للمؤلف عن المكتبة العربية منذ نشأتها وارتباطها بالحضارة العربية القديمة والحديثة ، وهو يعرض في صدر الكتاب للمكتبات العربية الشهيرة في التاريخ ، وأشهر الأعمال المحفوظة فيها ، ثم يتناول ديوان الشعر في الأدب العربي ، والمكتبة الادبية ، فيعرض كيف تكتب الكتب ، وتاريخ العرب من الخط والكتابة ، ودور النساخ في إثراء المكتبة العربية ، ثم يتعرض للمكتبة الأدبية ، وأخيرا مكتبة التراجم والسير والمكتبة الصحفية .



اسم الكتاب : تاريخ الحركة المسرحية في دولة الإمارات ٦٠/١٩٨٦
اسم المؤلف : عبد الإله عبد القادر
الناشر : دار الفارابي . اتحاد كتاب وأدباء الإمارات
عدد الصفحات : ٢٩٧ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨م

جهد توثيقي يقدمه المؤلف لتاريخ الحركة المسرحية في دولة الإمارات العربية المتحدة ، يمهد لها في البداية بفصل يعرض فيه جذور بدايات الحركة المسرحية وكيفية ظهورها ، ثم يقدم سجلا توثيقيا للنشاط وللحركة المسرحية خلال الفترة من ١٩٦٠م إلى ١٩٨٦م ، وهي فترة التغير الاجتماعي في أقطار منطقة الخليج العربي . ولأن الحركة العامة للثقافة في الإمارات لم يؤرخ لها ، ولأن الفنون وعلى الأخص المسرح ، قد وقعت في الهامش ، بعيدا عن مركز الاهتمام والوعي ، فإن التوثيق الذي يقدمه هذا الكتاب يعد خطوة ضرورية لتأريخ الحركة المسرحية ودراستها ومناقشة تطورها وكيفية تعضيدها .



اسم الكتاب : أطراف الغابة
اسم المؤلف : سنين عثمان ـ ترجمة سامي الرزاز
الناشر : مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت
عدد الصفحات : ٣٤٣ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٧م

عمل روائي ، « كلاسيكي » البناء ، يقدم التجربة الأفريقية في وجهها الطبقي ، فالإضراب الطويل الذي تصفه الرواية برؤية نقدية تاريخية هو تسجيل حي للتناقضات داخل المجتمعات الافريقية ، وقراءة للمستقبل الافريقي ، كما يراه المؤلف ، مرسوما على أفق التحولات الثورية في افريقيا .

والرواية لواحد من أهم الكتاب الأفارقة ، فمؤلفها روائي ، ومخرج سينمائي سنغالي ، بدأ حياته صياد سمك ، ومارس في « داكار » أعمالا شاقة ، واشتغل عاملا في ميناء « مرسيليا » ، وخاض نضالات أوصلته الى أن يغدو نقابيا ، ومن خلال عمله النقابي خاض معارك وطنية كثيرة من أجل حياة أفضل لأبناء وطنه . □

من طلب الأمر لم يعن عليه

● أراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا ، فبادر الرجل فطلب منه العمل ، فقال له عمر : والله لقد كنت أردتك لذلك ، ولكن من طلب الأمر لم يعن عليه .

مسابقة العربي الثقافية

١ عباس بن فرناس عالم عربي ، ومخترع أندلسي ، اشتهر بمحاولته الطيران لأول مرة في التاريخ العربي كله ، وكان متعدد المواهب لاريب ، وقد أبدع في أحد المجالات التالية ، فأي مجال هذا ؟

* الشعر
* الموسيقا
* الرحلات الجغرافية

٢ متى اخترع البراشوت ؟

* قبيل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)
* قبيل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)
* اخترع البراشوت في أواخر القرن الثامن عشر ، وقبل اختراع الطائرة بأكثر من مائة سنة

٣ أول بالون للطيران طار في فرنسا سنة ١٧٨٣ ، ترى من كان ركاب ذلك البالون في طلعته الأولى ؟

* الأخوان مونت جولفيير ، وهما اللذان صنعا البالون .
* ديك وبطة وخروف
* رئيس البلدية ورئيس الشرطة

٤ الطائرات الحديثة التي نعرفها في الوقت الحاضر ، ترى من أي الطائرات الرائدة تم تطويرها ؟

* من الطائرات الشراعية
* من المناطيد أو البالونات

٥ الطائرة الأولى في التاريخ صنعها الأخوان رايت ، وأطلقا عليها اسم

ارفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي

العدد ٣٦٩

(فلاير«١») ، وقد نجحت في الطيران صبيحة يوم ١٧ / ١٢ / ١٩٠٣ ، ترى كم بلغت سرعتها القصوى ؟

* حوالي (٥٠) كيلومتراً في الساعة
* حوالي (١٠٠) كيلومتر في الساعة
* حوالي (١٥٠) كيلومتراً في الساعة

٦ أكبر مطارات العالم تبلغ مساحته ٢٢١ كيلومتراً مربعاً ، ترى هل يقع هذا المطار في أمريكا أم في أوربا أم تراه يقع في الشرق الأوسط ؟ وما اسم هذا المطار ؟

٧ أكبر شركات الطيران في العالم ، من حيث مجموع الركاب الذين تنقلهم سنوياً ، هل هي شركة أمريكية أم أوربية أم غير ذلك ؟ اذكر الدولة التي تملك هذه الشركة !

٨ قاذفة القنابل الأولى في التاريخ ، ترى في أي الحربين العالميتين ظهرت أول ما ظهرت وقامت بغاراتها المدمرة على لندن ، العاصمة البريطانية ؟

* في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)
* في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

٩ راج السفر الجوي عبر المحيط الأطلسي اعتباراً من سنة ١٩١٠ واستمر طوال ٢٧ عاماً ، وذلك بواسطة المناطيد أو الفنادق الطائرة كما سموها ـ ولكنه توقف فجأة ، وطويت صفحة السفر بالمناطيد قبل عام ١٩٣٧ م ، علل

* كانت المناطيد ألمانية ، وقد أقدمت أمريكا على شرائها بقصد افساح المجال لطائراتها .
* ألمانية النازية ، صاحبة تلك المناطيد ، هي التي قررت وقف خدماتها بسبب انهماكها في الاستعداد للحرب العالمية الثانية .
* الكارثة التي حلت بمنطاد هندنبرغ سنة ١٩٣٧ م .

١٠ ما هو سر قدرة الطائرة على الطيران ؟

* إنه في الذيل كما ثبت من تجارب عباس بن فرناس
* إنه في المراوح والمحرك
* إنه في جناحي الطائرة وفي ضغط الهواء الذي يتعرضان له .

١١ أي المطارات هو المطار الشغّال الأول في العالم ، من حيث مجموع الركاب الذين يغادرونه ويأتون إليه سنوياً ، ومن حيث عدد الطائرات التي تقلع من مدارجه وتهبط عليه ؟

* مطار شيكاغو الدولي في الولايات المتحدة
* مطار لندن الدولي
* مطار زيورخ الدولي في سويسرة

١٢ تضاعف مجموع عدد ركاب الطائرات في العالم ، وكما لا يخفى فقد بلغ مليوني راكب في سنة ١٩٣٧ ، ولكنه تضاعف أضعافاً في الأربعين سنة الماضية حتى بلغ في سنة ١٩٧٧ :

* ٧٥٠ مليون راكب
* ٥٠٠ مليون راكب
* ٢٥٠ مليون راكب

□

حل مسابقة

العدد : ٣٦٦

مايو : ١٩٨٩

١ « عزيزة أمير » واسمها الأصلي مفيدة محمد ، وهي التي أسست بمالها أول شركة مصرية للأفلام السينمائية . وقد سمتها « إيزيس فيلم » كان ذلك سنة ١٩٢٦م وعقب قيام عزيزة أمير بالعمل على المسرح ببضعة شهور .

وتجدر الإشارة الى أن بهيجة حافظ وفاطمة رشدي ، قد حملتا مع عزيزة أمير وآسيا داغر لواء النهضة السينمائية الأولى في مصر ، في معزل عن الرجال .

٢ أطول فيلم سينمائي ناطق لم يكن « ذهب مع الريح » ، وإنما كان « لورانس العرب » وذلك بفارق دقيقتين فقط . فقد استغرق الأول ٣ ساعات و ٤٠ دقيقة بينما استغرق الثاني ٣ ساعات و ٤٢ دقيقة .

٣ أنشئت دار السينما في اطلانطا سنة ١٨٩٥م . وهي أقدم دار للسينما في العالم حسب تأكيد المرجع المعروف « جنس » .

٤ بلغ مجموع إيرادات « سلفستر ستالون » من فيلم « روكي (٤) » حوالي ٣٠ مليون دولار . ١٢ مليونا مخصصات ثابتة بالاضافة إلى ٢٠ مليونا حصيلة حصته من مردود العرض وبيع التذاكر .

٥ فيلم « الحرب والسلام » هو الذي يفوق سائر الأفلام السينمائية من حيث التكاليف والجهود التي أنفقت في سبيل اخراجه وانتاجه . فقد استغرق اخراجه ٤ سنوات (١٩٦٣ - ١٩٦٧م) ، وبلغت تكاليفه (٦٥) مليون جنيه استرليني ، وجرى تصوير الفيلم في (٦٨) موقعا مختلفا ، وممن اشتركوا في التمثيل فيه (١٢٠,٠٠٠) جندي من الجيش الأحمر .

٦ شكسبير كاتب أو شاعر مفضل في نظر أرباب الصناعة السينمائية ، فقد أنتج هؤلاء ٣٠٠ فيلم على أساس روايات شكسبير . وتجدر الإشارة الى أن رواية « هاملت » وحدها كانت الأساس الذي اعتمد عليه لإنتاج ٤١ فيلما .

٧ الهند = ٧١٤ فيلما (زمن الواحد منها ساعة فما فوق) ، وذلك حسب احصاءات عام ١٩٧٩م .

اليابان = ٣٣٥ فيلما
فرنسا = ٢٣٤ فيلما
تركيا = ١٩٥ فيلما
الفلبين = ١٧٠ فيلما
انكلترا = ٣٨ فيلما

٨ جزيرة استشن هي التي يوجد فيها أكبر عدد من مقاعد السينما نسبيا ، إذ يبلغ عددها (٧٣٣) مقعدا ، ويبلغ عدد سكانها ٩٧١ نسمة .

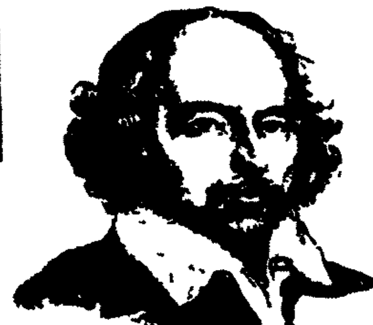
٩ ظهر الفيلم السينمائي الناطق الأول في التاريخ في المانيا ، سنة ١٩٢٢م . على أن الأفلام الناطقة لم تكتسح الميدان إلا سنة ١٩٢٧م ، حين ظهر الفيلم الأمريكي « مغني الجاز » وكان بطله « آل جونسون » .

١٠ نيويورك هي التي توجد فيها أضخم دار للسينما في العالم ، واسمها « قاعة مدينة الراديو للموسيقا » ، ويعود انشاؤها الى سنة ١٩٣٢ .

١١ بلغ مجموع إيرادات فيلم « ذهب مع الريح » (٣١٢) مليون دولار . وذلك لقاء عرض الفيلم طوال ٤٣ سنة . من سنة ١٩٣٩ - ١٩٨٢م .

وتجدر الإشارة الى فيلم (أي . تي E.T.) الذي بلغت ايراداته (٣٢٢) مليون دولار ، في فترة تزيد على سنة ونصف سنة قليلا (حزيران سنة ١٩٨٢ - يناير سنة ١٩٨٣م) ، ولكن قيمة هذه الإيرادات الفعلية تقل عن قيمة إيرادات « ذهب مع الريح » ، وإن أردت مزيدا من تفاصيل فعليك أن تقارن بين قيمة الدولار في الأربعينيات والخمسينيات وقيمته في الثمانينيات .

١٢ « انكلترا » هي التي شهدت عرض أول فيلم سينمائي ملون سنة ١٩٠٩م ، وكان الفيلم بلونين فقط ، أما الأفلام المتعددة الألوان فلم تظهر إلا سنة ١٩٣٠م ، وقد عرضت أول مرة في أمريكا .



الفائزون في مسابقة

العدد : ٣٦٦

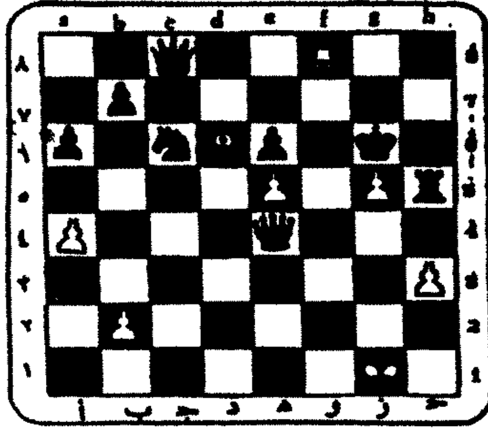
مايو : ١٩٨٩

- الجائزة الأولى : محمود محمد الطموني / دولة الكويت
- الجائزة الثانية : الدكتور محمد مصطفى السمري / الاسكندرية - جمهورية مصر العربية
- الجائزة الثالثة : نزار سليم محمد / المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - عمر سالم المصري / جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية .
٢ - محمد أحمد علي الغريبي / صفاقس - الجمهورية التونسية
٣ - حيدة محمد سيد أحمد / بورسودان - جمهورية السودان الديمقراطية .
٤ - عبد الزهرة عبد الجبار علي / البصرة - الجمهورية العراقية .
٥ - لميس صادق باقر /شركة زادكو - أبو ظبي - دولة الإمارات .
٦ - عبد العزيز عبد علي عبد النبي / المنامة - دولة البحرين .
٧ - هشام يوسف محمد / مخيم الوحدات - عمان - المملكة الأردنية الهاشمية .
٨ - ابتسام مختار الرمالي / طرابلس - ليبيا .

معركة بلا سلاح



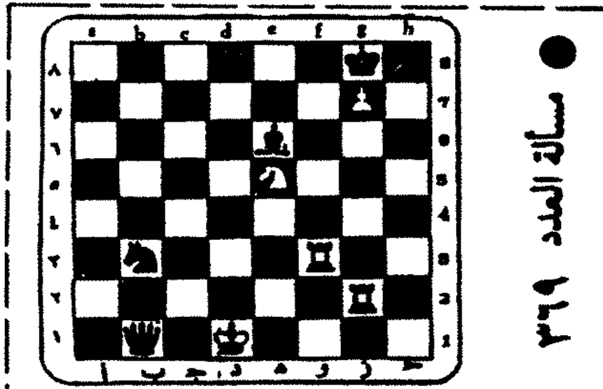
يعجب كثيرون من القراء عندما نشير في تحليلنا للأدوار من أن لاعباً ما ، يملك ميزة زوج الفيلة ، أو عندما نقول بأن قيمة الفيل النظرية تزيد عن قيمة الحصان بقليل ، فالحصان في نظرهم يملك طاقات جبارة بحركته الافعوانية الغريبة ، وقدرته الفائقة على القفز واختراق مواقع الخصم ، والهبوط في وسط تحصيناته المنيعة ، والقيام بالكش المضاعف للملك والوزير ، أو الوزير والرخ ، والفوز بأحدهما . غير أن اللاعب المتمرس يستطيع بسهولة أن يتنبأ بنقلات الحصان ويحدّ من أخطارها ، وامتلاك الفيل مقابل الحصان ، والأفضل من ذلك الفيلان ، إذ يمنح اللاعب إمكانات كبيرة للسيطرة على الرقعة ، في حين يمكن قصر دور الحصانين على مجرد الدفاع السلبي .

ويعد الفيل من القطع البعيدة المدى التي تستطيع السيطرة على الأوتار في جميع الاتجاهات ، فلو افترضنا أن أحد الفيلة يحتل مربعاً في وسط الرقعة لكان بإمكانه الانتقال الى ٣٢ مربعاً في الرقعة ، أي نصف الرقعة بالضبط ، وهكذا فإن مجال السيطرة الممكن أمام الفيلين هو كل الرقعة الخالية ، كما لا يخفى أن امتلاك فيل وحصان أو فيلين ضدّ ملك أعزل يؤدي الى الفوز بالدور ، في حين أن امتلاك حصانين في الشروط نفسها يؤدي الى التعادل .

ويقتضي الاستغلال الأمثل للطاقات الهجومية المدمرة الكامنة في الفيل اختيار اللحظة الحاسمة ، لتقديم البيدق الذي يسدّ طريق الفيل ، لفتح اللعبة ، وتمكين الفيل من السيطرة التامة على الأوتار التي تخترق قلب دفاعات الخصم .

والدور التالي من المباراة الدولية الكبرى المنعقدة في تيلبرغ في هولندا في العام الفائت ، بين الأستاذ اليوغوسلافي نيكولك ، ونظيره الألماني الغربي هوبنر ، وهو من الدفاع السلافي الذي كان في أوج مجده في ١٩٣٠م ، في مباراة بطولة العالم بين أليخين و يو ، ولكن شعبيته بدأت تتناقص منذ ذلك الحين ، لأنه يتيح للأبيض مقايضة فيل الوزير النشط بحصانه .

● مسألة العدد ٣٦٩



مات ٣ من وضع الصديق يوسف العجوز (الكويت)

□ ب . نيكولك (يوغسلافيا)	■ ر . هوبنر (ألمانيا)
١) د ٤	د ٤
٢) جـ ٤	د × جـ ٤
٣) ح - و ٣	ج - و ٦
٤) ح - جـ ٣	جـ ٦
٥) أ ٤	ف - ز ٤
(ف - و ٥ هي النقلة النظامية)	
٦) ح - هـ ٥	ف - حـ ٥
٧) حـ ٣	هـ ٦
٨) ز ٤	ف - ز ٦
٩) ف - ز ٢	ف - ب ٤
١٠) ت	ح - د ٥
١١) ح - أ ٢	ف - هـ ٧
١٢) هـ ٤	ح - ب ٤
١٣) ح × ب ٤	ف × ب ٤
١٤) و ٤	و ٦
١٥) ح × ز ٦	حـ × ز ٦
(الأبيض يحصل على ميزة الفيلين)	
١٦) ف - هـ ٣	ح - د ٧
١٧) و - جـ ٢	و - هـ ٧
١٨) و × جـ ٤	جـ ٥
١٩) ر(أ) - جـ ١	جـ × د ٤
٢٠) و × د ٤	ف - أ ٥
٢١) و - د ٣	أ ٦
٢٢) ر(و) - د ١	ر - د ٨
٢٣) و - ب ٣	ح - ب ٨
٢٤) ر × د ٨ +	ف × د ٨
٢٥) هـ ٥	و × هـ ٥
(الأبيض يفتح الخطوط للفيلين الخطرين)	
٢٦) و × هـ ٥	م - و ٧
٢٧) ف - جـ ٥	و - د ٧
٢٨) ر - د ١	و - جـ ٨
٢٩) ف - د ٦	ح - جـ ٦
٣٠) ف - هـ ٤	ر - حـ ٦
٣١) ز ٥	ر - حـ ٥
٣٢) ر - و ١ +	م - ز ٨
٣٣) ر - و ٨ +	م - حـ ٧
٣٤) ف × ز ٦ + !	م × ز ٦
(بديعة)	
٣٥) و - د ٣ +	يستسلم
(الشكل)	

لو أخذ البيدق مات ٢

□■□

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد رقم (٣٦٦) مايو ١٩٨٩

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ . جرير خازر خليل ـ الكرك / الأردن
٢ . رنا محسن ـ بغداد / العراق
٣ . مجدى محمد جمعة ـ أسوان / ج . م . ع
٤ . لينا محمد ما ملي ـ رأس الخيمة / الإمارات
٥ . سارة بن لامين ـ طرابلس / ليبيا

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ . محمد الهادي الصَيّاح ـ بوحجر / تونس
٢ . لمى طالب الضماد ـ دمشق / سوريا
٣ . عصام أحمد الغزاوي ـ دمياط / ج . م . ع
٤ . عبدالرزاق الشرمندي ـ كيرالا / الهند
٥ . مثنى علي الجميلي ـ الأنبار / العراق

حل مسألة العدد (٣٦٧) ـ يونيو ١٩٨٩

١) و × حـ ٥ ف × حـ ٥ ٢) و ٧ + (بالكشف) هـ ٥ ٣) ف × هـ ٥ (مات)

حوار القراء

العربي ـ ص. ب : ٧٤٨ الصفاة ـ الرمز البريدي : 13008 الكويت

الوحدة الاقتصادية سلاح العرب

● الأستاذ/ الدكتور رئيس التحرير

يسرني أن أبعث إليكم مهنئا على ما تبذلونه من جهد في سبيل إظهار المجلة بالمظهر اللائق ، لقد أصبحت بفضل جهودكم الجبارة من أرقى المجلات لاحتوائها على جميع ما يبحث عنه القاريء .

لقد شد انتباهي موضوع بعنوان « الزراعة ياعرب الزراعة » الذي نشر في العدد ٣٦٠ نوفمبر ١٩٨٨ ، بقلم الدكتور سمير رضوان ، وأقول : إننا في أمس الحاجة الى مثل هذه المواضيع وتكثيفها ، فالوطن العربي في مقدوره أن يكون مكتفيا ذاتيا من الحبوب الغذائية لو تضافرت الجهود العربية ، فعلى سبيل المثال : هناك أرض زراعية شاسعة ، ومياه صالحة للري ، في السودان والعراق ومصر ، وهناك أقطار عربية باستطاعتها التمويل ، وأخرى لديها الأيدي العاملة المدربة .

أما في المجال الصناعي فالوطن العربي يملك من الخامات والمعادن ما يجعله في مصاف الدول الصناعية الكبرى القادرة على التصنيع . ومن هذه الدول تستطيع الأقطار العربية أو بعضها على الأقل أن تدرك بالطرق المناسبة التقنية الصناعية الغربية التي يتهيأ مجال للتدريب عليها ، والأمر يتطلب توحيد الجهود ، وذلك بإرادة وتصميم ووحدة اقتصادية ، تذوب فيها الخلافات السياسية ، ثم تختفي الحدود السياسية مستقبلا .

القاريء / سعيد عمران السليماني
أبها ـ المملكة العربية السعودية

□■□

شخصيات تاريخية من الجزائر

● الأستاذ/ الدكتور رئيس التحرير

نطالع كل شهر مجلتكم العزيزة « العربي » ، ونحترم كل ما يكتب فيها من فكر وقضايا مهمة للمسلمين والعرب ، لكن لنا عتاب عليك وأنت قائد هذه المسيرة العربية ، وهو عدم تسليط الضوء على شخصيات من تاريخ الجزائر ، فهناك الكثير من العلماء المسلمين العرب عاشوا في الجزائر ، مثل الإمام عبد الحميد بن باديس ، والإمام البشير الابراهيمي . وهؤلاء

مفكرون جزائريون ، ومجاهدون أحرار ، صنعوا تاريخ الأمة العربية والإسلامية في الشمال الافريقي .

القراء / الصم القليبي المنور
أحمد حافور القادري /هواري أحمد المصري
الجامعة الإسلامية ـ المملكة العربية السعودية

ليس هناك تجاهل لأي شخصية عربية تاريخية ، ولكن هناك مساحة من الصفحات ، نخصصها في كل عدد لنتطرق الى شخصية تاريخية . والمجلة سبق أن نشرت لعلماء عرب من الشمال الافريقي ، ونتمنى عليكم متابعة الأعداد القادمة ، فستجدون التنوع الذي نحاول أن نسير عليه في خطة النشر .

□■□

العربي

يحيى حقي والخروج الى العالمية

● الأستاذ/ الدكتور رئيس التحرير

لقد جاء زادكم دسما ، في أيام مباركة ، نحتاج من الجميع الأناة والتمعن ألف مرة ومرة ، لاعادة النظر فيما حولنا ، وكالعادة جاءت مجلتكم ، وهي ذلك الصرح الثقافي الشامخ ، حافلة بالفن والشعر والاستطلاع ، والقصة والمناقشة الفريدة الشيقة ، وإنني قد سعدت كثيراً بالاستطلاع الخاص بالنفط الكويتي في بيوت الأوروبيين الذي نشر في عدد ٣٦٥ ابريل ١٩٨٩ ، وكذلك سعدت وأعجبت بموضوع الكاتب الكبير يحيى حقي للأستاذ سليمان مظهر في باب « وجها لوجه » ، وأفدت منه ، خاصة في حديثه عن قصة « قنديل أم هاشم » ووصفه لها بأنها طلقة أصابت الهدف ، وكذلك حديثه عن الفكاهة ومفارقات الحياة ، بهذه الدقة والصراحة ، وهذا ما نتوسمه جميعا في أدبائنا الكبار ، وكذلك باب « قراءة نقدية في كتاب » ـ بيت الياسمين ـ للدكتور حامد أبو أحمد .



لي ملاحظة حول رأي الكاتب الكبير يحيى حقي عن الخروج الى العالمية ، وأقول : إن الأدب العربي في رواياته وقصصه ونقده وتاريخه وجميع فروعه قد دخل دائرة العالمية ، ولنا نحن ـ فعلا ـ تأثير قديم على فن الرواية في

حوار القراء

أوربا . والله أدعو أن يدفع أدبنا العربي وكتابه الى الأمام ، فلقد خطونا الخطوة الأولى ، وعلينا أن نستمر .

القارىء/ جمال سعد محمد
الزرقاء - محافظة دمياط - جمهورية مصر العربية

□■□

ردًّا على د . الوردي

نشرت المجلة في عدد ٣٦٥ ابريل ١٩٨٩ مقالا للدكتور علي الوردي - « شخصيتك » - أود أن أعقب عليه : فالقول بأن العوامل الوراثية وحدها هي التي تبني الشخصية مردود عليه ، فنحن نعلم أن حالة الإنسان وتصرفاته وطباعه لا تثبت على نمط واحد طوال حياته ، بل تتغير من مرحلة لأخرى ، وأقصد هنا المرحلة العمرية ، نتيجة لتبدل في أفكاره ، وتراكم خبراته في الحياة على مر الأيام . أم أن د . الوردي يقصد أن يقول : إن على كل شخص أن يقنع بما هو عليه ، ولا يحاول بذل جهد مضاعف لتحسين أحواله ، لأنه مهما جد فلن يحقق أكثر مما تحققه له العوامل الوراثية ومهما سهر الليالي فلن يصل الى الكلأ ، فشخصيته تقف عائقا أمام كل تطوير !! هذا ما يستنتجه قارىء المقال وبخاصة الفقرة الأخيرة منه .

إنني مقتنعة تمام الاقتناع بأن باستطاعة الإنسان أن يغير في شخصيته تغيرا كبيرا ، ويستطيع أن يخلصها مما ترسب فيها من سلبيات التربية ومساوىء البيئة التي نشأ فيها ، ليصل الى مستوى معين ينشده ، والإرادة والتصميم والنشاط في العمل عوامل تجعل ذلك ممكنا ، وهذا لا يمنع من القول بأن للتربية والبيئة دورا كبيرا في تكوين الشخصية ، ولكن يستطيع المرء أن يسعى للأفضل ، فالبيئة ليست مسيطرة على الإنسان بحيث تقيده وتمنعه من أن يطور مستوى معيشته .

« أما كلمة الحظ » التي تكررت في مقال د . الوردي فهي كلمة عامة نلجأ إليها دائما عندما لا نجد تفسيراً لنجاح شخص ما في الحياة أو فشله ، فالقضية في النهاية مرتبطة بالثقة بالنفس ، وبالإرادة والإصرار ، وبالشعور بالحافز الداخلي الذي ينبع من الإنسان نفسه ويحثه على التقدم .

القارئة/ ليلى عطية عرار
الزرقاء - الأردن

العربي

كذلك تلقت المجلة عدة تعقيبات على مقال د . علي الوردي من القراء : فواز اليونس (كلية الحقوق - جامعة حلب - سوريا) ، وخالد بصبوص (دمشق - سوريا) ، وحسن سالم الكسادي (المكلا - حضرموت -

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) ، وتبدي جميع هذه الرسائل آراء متعارضة مع الفكرة التي أوردها الدكتور الوردي حول تكوين الشخصية .

□■□

اقتراحات وردود

● القارىء : حمدي محمد ابراهيم - من الجيزة ، بجمهورية مصر العربية - بعث بدراسة طويلة عن محتويات العدد ٣٦٢ يناير ١٩٨٩ ، يستعرضه بالتفاصيل ، مما يدل على الجهد ، والتركيز الذي بذله في القراءة والكتابة . فنشكره على هذا المجهود الطيب .

● القارىء خالد محمود البنا ، من جامعة طنطا ، بجمهورية مصر العربية ، يقترح أن تقوم المجلة بمجموعة من الاستطلاعات العلمية المصورة عن منطقة الربع الخالي ، في الجنوب الشرقي للملكة العربية السعودية ، وعن الالكترونيات والتقنيات في الوطن العربي ، وأخيرا عن منطقة الصحراء الكبرى في أفريقيا .

● القارىء هاني محمد حسن ، الجيزة ، جمهورية مصر العربية ، يسأل في باب الشطرنج ، عن إمكانية نشر طريقة اللعب ، حتى يكون ما ينشر من أدوار مفهوما لمن لايعرف كيفية اللعب .

● القارىء أحمد المكنيس ، الرباط ، المغرب ، يطلب من الدكتور محمد عيسى صالحية أن يقدم معلومات إضافية عن العالم « السفياني » ، مؤلف كتاب سفير الكتب ، وعن الذهب الذي جاء ذكره في عدد (٣٦٢) يناير ١٩٨٩ أثناء عرض كتاب الشهر «التقنية عند المسلمين » .

● القارىء أيمن جمعة - حمص - سوريا ، يقترح أن يخصص باب لعرض المواضيع القانونية ، يشرح مواد القانون الأساسية بشكل مبسط موجز . فنقول له : إن هناك مجلات متخصصة في القضايا القانونية ، لكننا نحاول أن ننشر ما يردنا في القضايا العامة المتعلقة بالقانون وفروعه ، ولا مانع من تخصيص باب بهذا المعنى إذا دعت الحاجة .

● القارىء صلاح سالم الجابري ، حضرموت ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، يشكو من قلة الأعداد التي تصل ، ويطلب زيادة كميتها المرسلة ، كما يقترح إشراك القراء في كتابة « واحة العربي » .

● القارىء عبدالإله خلو ، من حلب في سوريا ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن أهم الآثار الموجودة في الكويت ، وآخر التطورات الثقافية والعلمية فيها .

● القارىء أحمد إدريس أبوبكر ، من قنا بجمهورية مصر العربية ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن « مدينة الأقصر » وآثارها التاريخية . ونقول له : إن المجلة قامت باستطلاع عن تلك المدينة في العدد رقم (٣٤١) شهر (أبريل ١٩٨٧) بعنوان الأقصر - الحياة موت والموت حياة .

حوار القراء

● القارىء غنام حمدان السويد ، من محافظة الرقة ـ سوريا ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن مدينة « دير الزور » في سوريا .

● القارىء عبدالله بن منور الحربي من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية ، يقترح أن تخصص المجلة مساحة أوسع لصفحات الثقافة والأدب .

● القارىء ماجد سعيد عامر من المنطقة الوسطى ـ سلطنة عمان ، يطلب الأعداد الأولى من المجلة وإمكانية إرسالها بالبريد ، ونقول له : يمكنك أن تكتب مباشرة للوكيل المساعد للإعلام الخارجي بوزارة الإعلام ، دولة الكويت ، للحصول على أي عدد من الأعداد السابقة من المجلة .

● القارىء أيمن حسن عباس من محافظة طرطوس ـ سوريا ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن الأماكن السياحية في سوريا .

● القارىء عبدالواحد أحمد عبدالحميد من أشمون ـ جمهورية مصر العربية ، يقترح أن تزيد المجلة عدد القصائد المنشورة .

● القارىء محمد بن مسعود بن عبدالله القري ـ صمم ـ سلطنة عمان ، يقترح زيادة عدد النسخ من كتاب « العربي » المخصصة للموزع حيث أن الكمية الموزعة في المكتبات لا تكفي السوق .

● القارىء جابر عبدالجواد أحمد من بني سويف ، جمهورية مصر العربية ، بعث بعض الاقتراحات للمجلة منها إعادة نشر استطلاعات المجلة في كتاب ، وإيجاد باب يهتم بتبسيط العلوم التطبيقية وعلوم الطبيعة .

● القارىء عامر محسن من المملكة العربية السعودية ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاعات عن سوريا والجزائر والأرجنتين ومنغوليا ونيجيريا ، وأن تتوسع في باب أرقام ، بحيث تعطي الأرقام والاحصاءات مساحة أكبر ويطلب من الدكتور رئيس التحرير أن يخصص أحد مقالات افتتاحية الشهر عن موضوع (الجامعة المفتوحة) .

● القارىء سلطان محمد الخالدي من الخبر المنطقة الشرقية ـ المملكة العربية السعودية ، يقول : إن المجلة نشرت في العدد (٣٠٨) يوليو ١٩٨٤ استطلاعا عن « عالم المسلمين في الاتحاد السوفيتي » ، جاء فيه أن أستاذاً اسمه اقجان بن جاتسبك الماشاني قال فيه : إنه ألف ثمانية كتب عن العالم العربي « الفارابي » واكتشف أن الفارابي أثبت أن هناك علاقة بين الموسيقا وحركة الأجرام في الكون ـ حبذا لو قامت المجلة بعرض لأبحاث هذا الأستاذ خاصة أن المجلة تهتم دائماً بنتاج العلماء ، وبخاصة المسلمين منهم وبدراساتهم .

● القارىء علاء السيد رجب من الدقهلية ـ جمهورية مصر العربية ، يقترح اضافة باب للمجلة بعنوان « هل تعلم » ، وأن تقوم المجلة باستطلاع عن مدينة المنصورة ، وزيارة معهد الكلى والمسالك البولية المجهز بأحدث ما توصل إليه العلم الحديث .

● القارىء محمد عبدالفتاح أحمد من محافظة المنيا ـ جمهورية مصر العربية ، يقترح أن يخصص باب ثابت تناقش فيه مشاكل الشباب وكيفية التغلب عليها ، وأن تنشر المجلة موضوعاً عن المساحة التصويرية .

● القارىء حسنين عبدالحليم زعزع من القاهرة ـ جمهورية مصر العربية ، بعث يشيد باستطلاع المجلة الخاص بمدن الصحراء الليبية المنشور في العدد ٣٦٤ مارس ١٩٨٩م .

● القارىء محمد خبازة من عين الدفلة ـ الجمهورية الجزائرية ، بعث يطلب زيادة عدد النسخ المرسلة من مجلة « العربي » ومطبوعاتها للجزائر لعدم توافر الكمية الكافية .

● تؤكد « العربي » للقارىء خالد أحمد من الكويت أن المجلة قامت مؤخراً بزيارة لمحافظة حضرموت بجمهورية اليمن الديمقراطية ومدنها الجميلة والتي منها مدينة المكلا . وستقوم المجلة بنشر الاستطلاع في عدد قادم ، علما بأن « العربي » سبق أن نشرت استطلاعاً عن « المكلا » في العدد رقم (٧٦) يونيو (١٩٦٥) .

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أغسطس ١٩٨٩ م

الإنسان بين الجوهر والمظهر

(نتملك أو نكون)

تأليف : اريك فروم

ترجمة : سعد زهران

مراجعة : د. لطفي فطيم

٥٠٠ فلس

الكتاب رقم ١٤٠

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

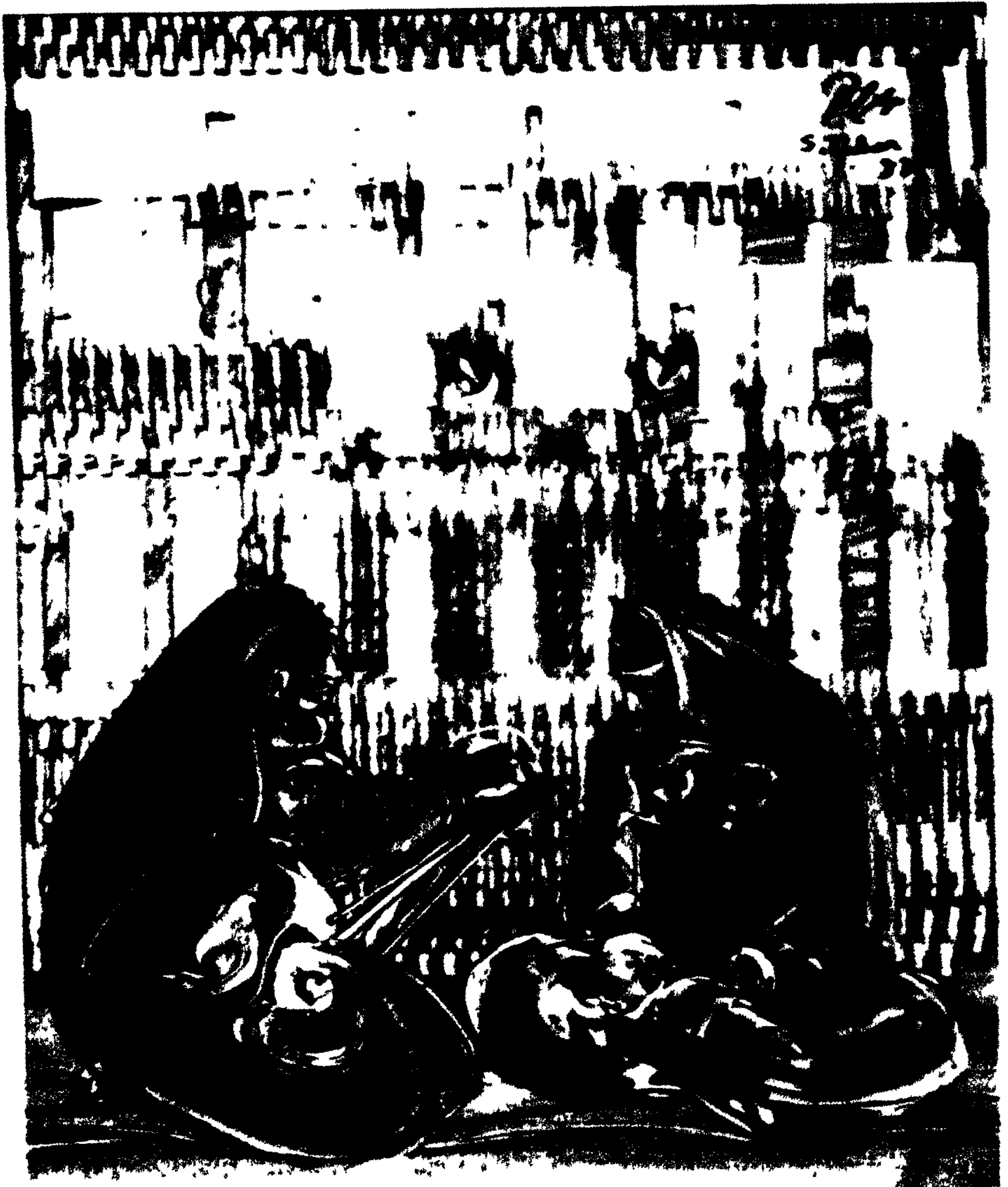
العدد ٢٣٩ أول أغسطس ١٩٨٩

نهدا تريزياس
لون الزمن

تأليف : جيوم أبولينير

ترجمة وتقديم : نادية كامل

مراجعة : يحيى حقي



تكوين - للفنان المصري صلاح طاهر